ك.ز الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف محمود بن عمر الزمخشري-٥٣٨هـ. بخط محمود بن ابراهيم بن الحسين الخجندي سنة ٧٧٠هـ.

ج ٢ (٢٧٤ق) ٢٣ س ١٣٫٥×٢٢ سم

٢٩١١ز نسخة وسط ، خطها نسخ حسن ، مشكوله ، بعض الأوراق ، منفرطة ، طبع.

الاعلام ٨ : ٥٥ ، معجم المطبوعات ١ : ٩٧٤

١- التفسير ، القرآن الكريم وعلومه أ- الزمخشري ، محمود بن عمر-٥٣٨هـ ب- الناسخ جـ- تاريخ النسخ د - تفسير الكشاف - تفسير الزمخشري .

Copyright © King Saud University

سئل من املاك سلمان ابن احمد ابن سعيد ابن محمد الجملي
عفى الله عنه ولوالديه وللمسلمين اجمعين امين
حرر في ذي الحجة الحرام ختام سنة واحد وسبعين ومائة والف
١١٧١

١٦

قد دخل في ملك الفقير الى الله
محمد صديق ابن عبد الرحمن
عفى الله عنه
امين

نقل منه الى ملك الفقير اليه
علي بن المرحوم احمد المالكي
المغربي غفر الله له امين

مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات
اسم الكتاب: الكشاف عن حقائق التنزيل رقم ٢٩١١
اسم المؤلف: محمود بن عمر الزمخشري
تاريخ النسخ: ٧٧٠ هـ
عدد الأوراق: ٢٧٤ ق — المقياس: ١٢×٢٢ سم
ملاحظات: ج ٢ أوله ناقص

٢١٢
ل ٥ ز

وضع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرأ الاية وفي امثال العرب من حفر
لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ بسكان الهمزة وذلك استثقاله
الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة
ثم ابتدأ وهو ابعيق وقرأ ابن مسعود ومكر اسيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين
كذبوا بتسليمهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادة
النحو في الانتقام من كذب الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك
متعول الامحالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في
وجههم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلاماتهم لينجع ليسبقه
وبقوله بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة
تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك على ظهرها من شؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا
هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر
فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان بعباده بصيرا وعنه يا جبريل
عز رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل
من اي باب شئت سورة ابن مكتة وهي ثلث وثمانون اية ن

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ ياسين
بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل يا سين وبالكسر على الاصل الجر وبالوقف على
هذه يا سين او بالضم كحيث ومنذ مبنيا لانه وامثلت وعن ابن عباس معناه يا انسان
في لغة طيء والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء
به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم
ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي لانه كلام حكيم فوصف بصفة
المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة
الى ان يكون خبرا او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت

Copyright © King Saud University

ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره
ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين
الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وايضا
فان التنكير به دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيم على صراط مستقيم لا
يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن ما انذر اباؤهم قوما غير منذر
اباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر اباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك
ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول
الثاني لتنذر قوما ما انذر اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على
الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم
وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه
غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا
ما في الآي الآخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم
وآباؤهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين
ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد
القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت
عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه
لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلوبين المقمحين في انهم يلتفتون الى
الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤوسهم له وكالحاصلين
بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم
متعامون عن النظر في آيات الله فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت

ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود
والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها
موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي
صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره فان
قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه
بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة
سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا
بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده
حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي
وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين الا صيحة واحدة قرئت منصوبة
ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال في
ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في
الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من
سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير
والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم
على كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى
والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة
من العذاب وعن ابن عباس في اقتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في
التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن
الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل
عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون
والفاكهة والفكهة المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة
وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث

ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر هم يحتمل ان يكون مبتدأ
وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل
والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة
وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون
به لانفسهم كقولك استوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح
واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وترامو وقيل يتمنون من قولهم
ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج
وهو من الدعاء اي ما يدعوا به اهل الجنة يأتيهم وسلام بدل من ما يدعون كانه قال
لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه
قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد
لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما
نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا
على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون واما الذين كفروا الاية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن
كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم
يمتاز من بعض العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم
من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به
اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته
الكسر الا في الباء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم

ينعم وضرب يضرب واجهد بالجاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دجا هذا
اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط قوم منه
ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدي برد انيابها العلى لافقر مني
انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا
لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه
بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط
المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس
عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو
اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل
لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار
توبيخا له على الاعراض عن نصائحه قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين
وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى
الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد
الاجيال يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم
فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ تختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم
وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ تختم على افواههم وتتكلم ايديهم
وقرئ لتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على افواههم
وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان
يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى
ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى

على انه لو شاء لمسخ اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا
سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا ومعابا عليهم
ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا
ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا ولو شاء
لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا
طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق
والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها
على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم
مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع
واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن
قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ بالحركات الثلاث فالمضي والمضي
كالعتي والعتي والمضي كالصبي **ننكسه** في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما
خلقناه قبلا وذلك انا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه
يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل
قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص
حتى في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس
السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ثم يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم
شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم
ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل
بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على
مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه من التنكيس
والانكاس **افلا تعقلون** بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه شاعر وروى

وروى ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم
القران الشعر على معنى ان القران ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو
على الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية
واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه
فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظ عربي كما ان
ذاك كذلك **وما ينبغي له** وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو
اراد قرض الشعر لم يتات له او لم يتسهل كما جعلناه اميا لا يتهدى للخط ولا
يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى
رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتاتى له **فان قلت** فقوله انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل
ما لقيت **قلت** ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة
من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات
منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم
ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع
انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور
غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران
من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقران مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ
به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي يقرا
في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم
بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القران او الرسول وقرئ
لينذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه **من كان حيا** اي عاقلا متاملا لان
الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان **ويحق القول** وتجب
كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع منهم الايمان **مما عملت**

ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع
الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة
من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او
فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير
ان يقرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها
لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف
الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه
الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل
الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع من
الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد
فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب جمع مشرب
وهو موضع الشرب او الشرب اتخذ الالهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا
بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لالهتهم معدون محضرون يخدمونهم
ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او
اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم
يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار قرئ
ولا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم
واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم
عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم
في الاخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول
ان قرا قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى

المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القران
والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية
رسول الله صلى الله عليه ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما
تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان
تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران
على تقديرك فتفضل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تتفضل
بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او
فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله عن الحزن على كون الله
عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك ما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تدع مع الله الها اخر فتح الله عز وجل
انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه
في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره
بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة
من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة
اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج
ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه
في الرم وصف له والصقه وهو كونه منشا من موات وهو ينكر انشاءه من موات
وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف
الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي
الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي
هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا

فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق
قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في
الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم
مثلا قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله
على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى
بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان
يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له
بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة
كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل
بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول
ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها واما اصحاب
ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها
فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت
عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه
شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائها ودقائقها
ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها
به وهي الزيادة التي تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في كل
شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما
خضراوان يقطر منهما الماء فيستحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار
باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ
منه كدينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ على الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم وقرئ يقدر من قدر
على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى

تعالى لخلق السموات والارض اكثر من خلق الناس وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين
ان يخلق مثلهم في الصغر والقماء وبالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم
لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق العليم الكثير المخلوقات العليم الكثير
المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة
الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي
فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن قلت هو مجاز
من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا
ورد عليه امر الآمر المطاع فان قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع
فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره
ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على
الاجسام اذا فعلت شيئا ثم تقدر عليه من المباشرة بحال القدر واستعمال الآلات وما
يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص
داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان
تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت
كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة
كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن
ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك
فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس
من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل لكل حرف فيها عشرة
املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحييه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب

الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره
وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال
عليه السلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون وقيل اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم سبحانه
بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة من قوله عز وجل وانا
لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب
سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من
قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من
تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر
الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله
والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة وفي سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر
الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت
اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم
فالآيب كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه
كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك
كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة
في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان وجدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات
فبيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها
بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما
على العكس وكذلك اذا اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف

طوائف والثانية والثالثة على آخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني
ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا
او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر
عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام
التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس
كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فان قلت فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان
به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت
المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان
زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء السماء لحسنها في انفسها واصله
بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة
وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما
يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء
الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك
ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب
على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى
لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا
من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة
المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف
والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن

عباس هم يتسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف
اتصل بما قبله قلت لا يخلوا من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او
استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك
الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم
فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون
ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك
الا من امهل حتى خطفه واسترق استراقه فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب
الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام
كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما
في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير
موجود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل
هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت
اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى
بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس
والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة
وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا
للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على
الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على انه قد جاء
مجيء القبول والولوع والواصب وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومين
بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل
الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان
الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلهما اختطف

اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي لمعنى
الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل
فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في الاشدين كلدة وكنى بذلك لشدة
بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض
والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل
على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد
خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد
بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق
وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة
من قرا ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا
من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم
البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب
عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم
بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او
احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا
ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ايذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه
من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم
وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الاضاءة بل عجبت من قدرة الله
على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار
قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اي
بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم
يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون
ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف يجوز العجب على الله وانما هو

روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت
فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يخيل العجب ويفرض
وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان
وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال
ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم عبد الله بن مسعود وكان يقرا
بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء
لا يتعظون به واذا راوا اية بينة من ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون
يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها واباؤنا معطوف
على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة
الاستفهام والمعنى نبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم
ابعد وابطل وقرئ او اباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ
قال نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب
شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي
مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية
والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فرعت لصوته
ومنه زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم يريد تصويته بها
فاذا هم احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من
كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم
الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه اي نجازى باعمالنا هذا يوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق
الهدى والضلالة احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم
وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل الزنى
مع اهل الزنا واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم

نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم
بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على ذلك خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين
متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم
مستسلم غير منتصر وقرئ لا يتناصرون ولا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت
اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فيها يصافحون ويماسحون ويناولون
ويتناولون ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى لما سموا
اختها اليمنى ويتمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر معيبا عندهم
وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها بالشمال
وكان رسول الله صلى الله عليه يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتى
بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته
فصده عنه واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل
الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب
ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم
يؤد زكاة فان قلت قولهم اتاهم من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت
اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا
من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها
يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان و
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم
والغواة لشياطينهم قالوا بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم
عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من
تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا
قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا

واستجمعا فيها العقوبة ولو جلى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به عن لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد غمني هوازن قتلا بي ولو جلى فولها لقال قتلن مالك ومنه قول المحلف للحالف حلف لاخرجن وللتخرجن الهمزة لجوابه لفظ الحالف والتاء لقال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة تحصله للتعبير لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغوائكم لتكونوا امثالنا فانتم فالاتباع والمتبوعون جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام ثم ازاح علته في استوجبه انهم كانوا اذا سمعوا كلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا اذا كرالله الا قليلا بتقدير النون وقرأ على الاصل لذا يقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة بمعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص ليست في خلق غيرها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات بايناه وقوله وهم مكرمون هو الذي يتولاه الملك في جدا الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تفزع عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وانس وقل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تقال للرجل فيها الخمر كائس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت على لذة وعن

وعن الاخفش كل كأس في القرآن معناها خمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بانه يصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار بلا اخاديد قال الله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين صفة بمعنى لذيذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ وورد فعل لفعلك رجل طب وطيب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأعلى اليعدي من خشية الجدثان يزيل النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وانتصب وما منه الغول التي في كاد نيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحليم ويروى على البناء للمفعول من يزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران تزيف وتزوف ويقال للمطعون يزف ما زاد اذا خرج دمه كله وترخت الركية حتى تزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المزوف ضرطا وقد يزفون من الزف الغارب اذا ذهب عقله او سرابه قال الحمزي ليت انزفتم او صحوتم ليس الندامى كنتم آل الاخرجا ومعناه صار ذا نزف وتطيم اتسع السحاب وتشعثه الريح هتك الرجل وكيثته وحقيقتهما هتك ظلا في التشع والكث وفي قراءة طلحة بن مصرف يزفون بضم الزاي من ازف يزف كقولك يقوب اذا اسكروا والمعنى لا يهرفون فيها فساد من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صخب او صداع او خمار او غربلة او لغو او تأثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فاقرنه واقرده بالذكر قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون شبههن بيض النعام المكنون في الاداحي وبياضه بياض النساء وتسميتهن قضمات الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتجاذبون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا اجاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه حي بما مضى على عادة الله في اخبار قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين من شدد الصاد من التصدق

وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين
مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الاخرة خيرا منه فقال اينك لمن المصدقين بيوم
الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا **ائنا لمدينون** لمجزيون
من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل
من دان نفسه قال يعني ذلك القائل **هل انتم مطلعون** الى النار لاريكم ذلك القرين قيل
ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض
بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة
اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب
ومطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال
طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع
انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع
من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من اداب المجالسة ان لا
يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون
بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير
والامرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتاخ بينهما كانه قال تطلعون وهو
ضعيف لا يقع الا في الشعر **في سواء الجحيم** في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن
ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة
وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينهما
وبين النافية والارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين **ولولا نعمة ربي** هي العصمة
والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب
وكونه من اهل الجنة **من المحضرين** من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين
وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم باعمالهم

باعمالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة
وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت بقوله المؤمن تحدثا
بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا
وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان
هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وعلا تقريرا
لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة
المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق خير نزلا اي خير حاصلا
ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والربع في الطعام يقال طعام كثير النزل
فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم
الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير
بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم
فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند
لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا
ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن
المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة
الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في
الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق
الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها
اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه الكراهة
وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر
محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس
شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا

في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة قال الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر
هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خسنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد
التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك اصلا ثالثا يشبه به منها من الشجرة اي من
طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان
كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق
او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة
شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به
والاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا
وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملأون البطون من شجر
الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملئ تعذيبا بذلك
العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر
الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة
على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفة في الزيادة عليه ومعنى
الثاني انه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها
الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملأوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم
ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الى
الجحيم علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم
اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل
اسراع فيه شبيه بالرعدة ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم
العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا
منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين

ومجزنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل
وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل
ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض
ويلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما
نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه
الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف
اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون
ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم
ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم
به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لا
علمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسمهم
وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه
فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع
ملكه سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير
لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا
كما تقول اعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر وتنتهي اليه من فلكها في اخر
السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها
تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك ومستقرها
لانها لا يعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل
مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة وقيل
الوقت الذي يستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ
ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس

ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير
الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم
قرئ والقمر رفعا على الابتداء وعطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر
منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة
في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من
ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستسر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه
المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان
البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد
بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء فاذا
كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين
شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ
العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبريون والبريون والقديم المحول واذا قدم
دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم
الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم
من مضى له حول واكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل
واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما
على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة
وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في
وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل
آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من
ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها فان قلت لم

لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا
في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ
سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين
فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ذريتهم
اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي
الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم
فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى
يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن
والزوارق لا صريخ لا مغيث ولا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون
من الموت بالغرق الا رحمة منا الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون
فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من بعد موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي
ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن نغرقهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد
ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني
من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة
لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا
كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض
عند كل آية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله
بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوه
هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما يقولونه من تعليق الامور بمشية الله
ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى

والعقد من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا
امروا بالصدقة على المساكين قالوا والله ايفقرنا الله ونطعمه نحن فقال بعضهم ان
الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن اجهد بذلك نزلت في مشركي
قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون
قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فجزموهم وقالوا لو شاء الله
لاطعمكم ان انتم الا في ضلال قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جواب
للمؤمنين قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها
واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انهم
بغفلتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم
او متاجرهم ومعاملاتهم او سايد ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون
يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الجنة فانهم لا
يغفلون لا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع
الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة قرئ الصور بسكون الواو
وهو القرآن او جمع صورة وجمعها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ويسلون
يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قرئ ماوئلتنا وعن ابن مسعود من
اهتنا من هب من نومه اذا انتبه واهنه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن
بعضهم اراد هبتنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبتنا على ان من
الجارة والمصدر هذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان
يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا
محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا وانما هذا ما وعد
الرحمن وكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين تذكروا
ما سمعوه من الرسل فجيبوا به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما

قلت يتعاه قالا غلال واصلقه الاذقان ملزوزون اليها وذلك ان طوق الغل الذي في
عنق المغلول تكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العود نارا من
الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطامن راسه ويرفعه فلا يزال منقمحا والمقمح
الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روى فرفع راسه
وبنية شهرا قماح لان الابل ترفع رووسها عن الماء ليبرده فيهما وهما الكانونان
منه اقتمحت السويق فان قلت ما قولك فمن جعل الضمير للايدي وزعم
ان الغل لما كان حاجزا يقيد والعنق بذلك سمي جامعة كانه ذكر الاعناق
دون الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك الدليل عليه قوله فهم مقمحون
الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي
لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك
الظاهر الذي يدعو المعنى الى نفسه الى الساطل الذي يخفونه تمثل لتحق الابلج الى الباطل
الابلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل يجوز على
هاتين القراتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب
الاضمار المتعسف ظهور لون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه لما ذكرته قرئ سدا
بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم
فاغشيناهم اي اعميناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان
يطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين
من العشا وصل ثوابت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي
ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثلمت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكها عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي
اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره فان قلت قد ذكرت ما ذكر
على استفاد ايمانهم مع نبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر ولانما كانت تصح هذه
التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان

مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان
قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين
وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد
مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب
صنفوه او حبيس احبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او
سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء
احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او مسيئة
يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من
اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا
النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فاتانا في ديارنا وقال
يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما يكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد
لما قال رسول الله وعن عمر بن عبد العزيز لو كان مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي
تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ما ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول
وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب
كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى
واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب
القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية
انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا
عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو
حبيب النجار صاحب ياسين فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض
ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا

وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى
الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا
به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل
سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا
الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل
معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء
ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت
شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم شمعون وهذان فتعجب
الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح
عليهم جبريل فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها
وتعزز الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا
بثالث وهم شمعون فان قلت لم ترك ذكر المفعول به قلت لان الغرض ذكر المعزز
به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام
منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوض
مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق
فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا
الا بشرا لان الا ينقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فان قلت

لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا قلت لان الاول ابتداء
اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد
وكذلك شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق
التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ اي المكشوف بالآيات الشاهدة
لصحته والا فلو قال المدعي والله لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة كان قبيحا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة
الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واستهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا
بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما
حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن
قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب
شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم
وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ اين ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط
وأأين ذكرتم بالف بينهما بمعنى أتتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة
الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيركم لان ذكرتم وقرئ أن وان بغير استفهام بمعنى الاخبار
اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم
معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان بذكرهم كانوا بحلولهم فيه اشأم بل انتم
قوم مسرفون فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم
مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل
الله رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله
صلى الله عليه وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل
اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه

فقتلوه وقيل توطأوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول
اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة
جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن
ابي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة
دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة
لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف لهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح
حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني
مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه
قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت
بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل
عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول
وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم
هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على
انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر
بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل
قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي به
وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اي
لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق
اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه
مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال
كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه

فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى القول
له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما
وجد من قوله عند ذلك القول العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها
سببا في اكتسابهم مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح
المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه
تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن افعال الجهل والتأني على من اغتاظ
نفسه في عمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في اقتداءه
والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته وابائه
له العوابل وهم لغير عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطا
عظيم في امرهم وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه
الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غيظ له وتضاعف لذته وسروره
والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي من معنى
قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفر لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية
بمعنى باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه بعضهم من المصابرة والاغراق الذي حتى
قتل الا ان قولك بم غفر لي يطرح الالف اجود وان كان اثباتها جايزا يقال قد علمت
بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل الملائكة
جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا
قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء
وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء
على ما اقتضته الحكمة وارجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت
فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قلت فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها بالف من الملائكة مردفين ثلاثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف

الف من الملائكة مسومين وقلت اما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط
بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحته ولكن الله فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على كل نبي وعلى كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على جميع النجباء
والولاة من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا ممن ذكرناه انزل له جنودا
من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من
عالم الامور التي لا يوصل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة
لهم كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة
اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء
الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها
قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيئذي الرمة وما بقيت الا الضلوع
الجوائع وقرا ابن مسعود الا زقية واحدة من زقى الطائر يزقو ويزقي اذا صاح
ومنه المثل اثقل من الرواقي فاهدوا كما تخمد النار يقعود وماد لما قال
فيئذ وما المراد الا كالشهاب وصوته يحور وماد ابعاد هو ساطع يا حسرة
على العباد نداء للحسرة عليهم كما قيل لها تعالي يا حسرة فهذ من احوالك التي
حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان
يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على جاهلهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة
الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله على سبيل الاستعارة في معنى
تعظيم ما جنوه على انفسهم ومجونها به وفرط انكار له وتعجيبه منه قراءة من
قرا يا حسرتا تقصد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على
الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد
على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يعلموا وهو معلق عن العمل كم لان
كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا
ان معناه ناقد في الجملة كما نقد في قولك الم يروا ان زيدا المنطلق وان لم يجز

في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره
الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن
كسر ان غير الاستيناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على
هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه
قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم
نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد
وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا
كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو
الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون
مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون فان قلت كيف
اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة
وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع
بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاءوا جميعا القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها
على اللسان واحييناها استيناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز
ان توصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما
فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني
وقوله فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق
به منتظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر
واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء قرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وغير وسكون والضمير
لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي
والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه
فعل الله وخلقه وفيه اثار من كد بني ادم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا

المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين
ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف
وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه
احسن الاجابة واوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم
بابلغ ما يكون ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي
انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم
القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد
حام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من
المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه في الاخرين من
الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام
المحكي كقولك قرات سورة انزلناها فان قلت ما معنى قوله في العالمين قلت
معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت
الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم علل مجازاة نوح
عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر
بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان
وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد
منه وان من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرايعهما او شايعه
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في
اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم الا
نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة فان قلت
بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه
وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع
افات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من

بعض فتناولها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله
قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون
الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه
كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا
مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في
انفسها ويجوز ان يكون حالا يعني اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق
بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته
الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم
اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به اذا يفعل بكم وكيف
يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها
وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب
انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه
يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم
وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام
ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له ان يكذب قلت قد
جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين
والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عوض وورى والذي قاله ابرهيم صلوات
الله معواض من الكلام وقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحبني فاذا السلامة داء وقد مات
رجل فجاة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت
في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية
من روعة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي فقال
الا تاكلون ما لكم تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبادتها فراغ عليهم

فاقبل

فاقبل عليهم مستخفا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم
يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب
ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل
بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم اليه
يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه
اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون
على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان
بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث
ذكرها هنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين
ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم
فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه
الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه ورفوا اليه نفرا منهم دون
جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى الاصنام ليأكلوا الطعام
الذي وضعوه عندها لتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسالوا من
فعل هذا بها لم يتم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية
والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصواف والثاني ان يكسرها ويذهب
ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم
وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على اعين الناس والله خلقكم وما
تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا
لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب
والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها

جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين
يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه
فان قلت فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم
وعملكم كما يقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل
والكتاب ان معنى الاية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز
وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق
المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان
يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم
ولا كان لكلامك طباق وشيء اخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في
ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه
من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القران فان قلت اجعلها موصولة
حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك
لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل
غير محتج على المشركين لحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك
الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون
الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره
كما اذا جعلتها مصدرية في الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار
وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا
واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوا بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به
الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين
لم يقدروا عليه اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة
اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه
صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي

ربي سيهدين كان الله وعده وقال له شاهديك فاجرى كلامه على سنن
موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله
وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلى الله عليه
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين يريد الولد لان لفظ
الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال
علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت
الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب
ووهب وموهب وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه
يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من علمه حين عرض عليه ابوه
الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله
الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله
به ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة
شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت
معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه
ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه
فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي
قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم
عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوته ولم
يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه
وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره
على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتى في المنام
فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في

المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما قال يقول الممتحن وقد راى انه راكب في
السفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قايلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح رواه في ذلك من الصباح الى
الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطن فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى
راى ذلك مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة
الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم
قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر
ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقرى ماذا ترى ماذا تبصر من رايك
وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي يا ابت افعل
ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرى ما تؤمر
به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله قلت لم يشاوره ليرجع الى رايه
ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان
جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون
عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل
نزوله ولان المفاضة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل
لو شاور ادم الملايكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته
له في المنام من غير وحي اليه وكما وعد رسول الله صلى الله دخول المسجد الحرام
في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم
صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت
الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احديهما يقال سلم لامر
الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرى بهن جميعا اذا انقاد له وخضع

وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع
فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه
على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد
ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي
بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي
ينحر فيه اليوم فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما
تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله
وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في
تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه
مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد الياس البلاء المبين الاختبار البين الذي
يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان
يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير
وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم
ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي انه هرب
من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي
وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي
انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله

فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد
ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا
شعب ثبير اخبر بما امره فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك
لا ينتضح عليها شيء من دمي فتنقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك
واسرع امرارها على حلقي حتى تجيز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ
على امي سلامي وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل
لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه
وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على
حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول
بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا
ابرهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل
والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود
الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه بهذه الاية فيمن نذر
ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح من ولديه قلت
قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين
انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه قال ابن الذبيحين وقال له اعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم
نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه
اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل
وعن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل
واسرائيل فقال يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل
واسرائيل وانا بين اظهرهم قد استمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى
لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما

اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في
شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق
وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر
فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فساله فقال ان يهود لتعلم
انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منطوقين
في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن
العلا عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما
كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل
وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره
على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من
نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله
فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلقا للموعد
في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة
من التابعين انه اسحق والحجة فيه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك ان الله تعالى اخبر
عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام
حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف
من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فان قلت قد اوحي الى
ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا
وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بدل وسعه وفعل ما يفعل
الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع
الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا
بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم
وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما

يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه **فان قلت** الله تعالى هو
المفتدي منه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه **قلت** الفادي
هو ابرهيم عليه السلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه
اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته **فان قلت** فاذا كان
ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء
والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل **قلت** قد علم بمنع الله ان حقيقة
لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه
مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش
بدلا منه **فان قلت** فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام
ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان **قلت** الفائدة في ذلك ان يوجد
ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه
فان قلت لم قيل ها هنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك
قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره
مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين **فان قلت** فرق
بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول
والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك
المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب حاله
لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق
حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف
تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به
فالخلود وان لم تكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين
الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق **قلت** هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك

المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك
وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود
لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين
حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون
من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا
جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا
ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع
علمه بانه سيكون نبيا **وباركنا عليه وعلى اسحق** وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه
وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه
على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر
والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما
لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على
ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه **من الكرب العظيم** من الغرق او
من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما
وقومهما **الكتاب المستبين** البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال انا انزلنا التوراة فيها
هدى ونور وقال من جوز ان تكون التوراة عربية ان تشتق من وري الزند فوعلة
منه على ان التاء مبدلة من واو **الصراط المستقيم** صراط اهل الاسلام وهي صراط
الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ الياس بكسر الهمزة
والياس على لفظ الوصل وقيل المراد هو ادريس النبي وقرا ابن مسعود وان ادريس
في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى
اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من

ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه
اربع مائة سادن وجعلوهم انبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم
بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد
الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل
هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم
ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب
واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها
لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ
على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الناس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون
فان قلت فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان جمعا
لعرف بالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف
اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى
الشام ليلا ونهارا افما فيكم عقول تعتبرون قرئ بضم النون وكسرها وسمي هربه
من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم
القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر
والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة
على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في
الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح
الميم من ليم فهو سليم لما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي
بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل
هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين
وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء

الرخاء وقال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ
وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته
وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في
المضائق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة
لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت
اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن
الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن
لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت
سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل
قوية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم
اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح
على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو تفعيل
من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذبان لا يجتمع عنده وقيل
لرسول الله صلى الله عليه انك لتحب القرع قال احل شجرة اخي يونس وقيل هي التين
وقيل شجرة الموز تغطي بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل
بالشجرة كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة
فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان
قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يظنب البيت
على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل
نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا
فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما
فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا مائة الف او يزيدون في مرأى الناظر

اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل
مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة
وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث
اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة
الضيزى التي قسموها حيث جعله لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة
بنات الله مع كراهتهم الشديد لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا
في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني
تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر
احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤا في الحلية
وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم
اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء
لكبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر
الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ
مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص
علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل ولذلك اشهدوا خلقهم ونحوه
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم لما لم يعلموا ذلك بطريق
المشاهدة لم يعلموا بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال
ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة

وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة
ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع المذكر والمؤنث تقول
هذه ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام
على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسرة الهمزة على الاثبات
قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش
وهذه القراءة وان كان محلها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف
هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن
جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر
ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله
فاتوا بكتابكم الذي عليكم انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع
واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه
احلام قريش وتجهيل نفوسها واشتراك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من
ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا
ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم
انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك
جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمي الملائكة جنة قلت قالوا
الجنس واحد ولكن من حيث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن ظهر
منهم ونسك وكان خيرا له كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما
ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا
منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار
وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي
بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا

ذكره في غير هذا المقام وقرّه وكنّاه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى
انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون
مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب
حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن
فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن
في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم
والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا متناسبين
له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم **الا عباد الله المخلصين** استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء
وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء
بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه
فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين
سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم
على الله **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان
امرأته كما تقول افسدها وخبّبها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما تعبدون
بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فلما جاز السكوت على كل رجل وضيعته
جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون سادّ مسد الخبر
لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم
لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي ما تعبدون بفاتنين بباعثين او
حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب
قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال الجحيم
وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جميعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين
هي ولام التعريف **فان قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو **قلت** من

من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في
مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله
صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان يحذف
لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به باله
واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين
دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما منا احد الا له مقام
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن حلا وطلاع الثنايا بكفي
كان من ارمى البشر **مقام معلوم** مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله
مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه
وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما تؤمر
وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا
في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل الملك في صلاتهم غير
المسلمين **المسبحون** المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله
سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت
الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة
رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا
على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره
وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين
لرب العزة وتجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه
لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا
لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين
ممجدين ولما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه يعني

وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلاة
ويسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركوا
قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم
التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا لما كذبوا ولا خالفنا لما خالفوا
فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب
فكفروا به ونجوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا به فسوف تعلمون مغبة
تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
وفي ذلك انهم كانوا يقولون للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم واخره الكلمة
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات
عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا
والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا
وعلوهم عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم
انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم
في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا
يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم
واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من
الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول
عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن
القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة وابصرهم
وما يقضي عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك وما يقضي
لك من النصرة والتابيد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال

على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها
قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف
تبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه
بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا
اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة
وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا
وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس
بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن
مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك
نزل بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام
في المنذرين مبهم في جنس ما انذروا لان ساء وبئس تقتضيان ذلك وقيل هو نزول
رسول الله يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى الى رسول الله خيبر وكانوا
خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم
فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين فانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد
الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه
يبصرونهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صفوف المسرة وانواع المساءة وقيل
اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخرة عذاب الاخرة اضيف الرب الى العزة
لاختصاص بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز
ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها لقوله تعز
من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو
منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم
فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين

والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من جسن العواقب والعوض تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنا كتابه الكريم وعقوا عقلت
قرائه المجيد وعن علي رضي الله عنه من اجب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة عن رسول
الله صلى الله عليه من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل
جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين **سورة ص مكية وهي ست**
وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز
ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار
حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف
للتعريف والتانيث لانها مغنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين
على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل نيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة
ومنها القدى وهو ما يعارض الصوت من الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة وقفاه
عارض القرآن بعملك فاعمل يا وامر وانته عن نواهيه **فان قلت** قوله صاد والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متناقض غير منتظم فما وجه انتظامه
قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل
التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب
للدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد
خبر مبتدا محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني من الحروف التي المعجز
العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله
وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال
بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله

لله ورسوله واذا جعلتها متقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز ذلك ان
تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة
والقرآن ذي الذكر بها تقول مررت بالرجل الكريم وبالتسمية المباركة ولا تريد بالتسمية
غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك
او الذكرى الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرايع وغيرها
كقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتذكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتها
وتفاقمهما وقرئ في عزة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم
اهلكنا وعند لذوي العزة والشقاق **فنادوا** فدعوا واستغاثوا وعن الحسن
فنادوا بالتوبة **ولات** هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت
على رب وثم للتوكيد وتغيير بذلك جلبها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم
يبق الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزها جميعا وهذا
مذهب الخليل وسيبويه وعن الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وحقت
بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا احين مناص لهم وعنه
ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء
اي ولا احين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص
اي وليس الحين حين مناص والرفع ولات حين مناص حاصل لهم وقرئ حين
مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان اذ حين بقاء **فان قلت** ما وجه الكسر في اوان **قلت** شبه باذ في قوله
وانت اذ صحيح فيما تمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل
ولات اوان صلح **فان قلت** فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم **قلت**
لما قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزله قطعه من حين
لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف
ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء

كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف
على الفعل الذي تتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف
على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده
بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء
خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته
واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر غمر الجزاء اذا قصرت عنانه بيدي
استناص ورام جري المسحل منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم
يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون
المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى
كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد
وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه الا لصحته
روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ
منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت
شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام
وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله وقال يا ابن اخي هؤلاء
قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه ماذا تسالونني
قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وتدعك والهك فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم
ما سالتكم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا اي تعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله
مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله اجعل الالهة الها
واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل
التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله

قوله لان ذلك في الفعل محال الملا اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم
باجتنابه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء
من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ
منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان
يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول ويجوز ان يراد
بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة
اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله
عليه ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك
بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملا منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن
مسعود وانطلق الملا منهم يمشون ان اصبروا في الملة الاخرة في ملة عيسى التي هي اخر
الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها
اباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة على ان يجعل في الملة الاخرة حالا من هذا
ولا تعلقه ما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث
في الملة الاخرة توحيد الله ما هذا الاختلاق اي افتعال وكذب انكروا ان يختص بالشرف
من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد
على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم اما
واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد
بل لما يذوقوا عذابي فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم
لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك
يعني ما هم بمالكي خزائن رحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا

للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة
وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها
الذي يقسمها على ما يقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا
ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية
والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم
فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم
الرحمة الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له
فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون
ويستصوبون ثم خساهم خسة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب
فلا يبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهدون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك
اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم
لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هناك ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب
باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات
العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان
يسبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد
من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه
العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه اولئك الاحزاب
قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم
وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية
على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد

واحد من الاحزاب كذب بجميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم
جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية
اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص
انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق شدة العقاب وابلغه ثم قال كذب الرسل
فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون
اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة
النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي
الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستاخر هذا القدر من الزمان كقوله
كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد
من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد
انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من
قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما
قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل
الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها فان قلت كيف طابق
قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه
قلت كانه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم
بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك
لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل
والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم
وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا للندم عليها فما الظن
بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه اصبر على ما يقولون وصن نفسك
وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود

وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه وتسبيته
الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وبكاليفه كان على هوضه
باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف
الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وآيا ذ كل شيء ما يقوى به انه اواب
توّاب رجاع الى مرضات الله تعالى فان قلت ما ذلك على ان الايد القوة في الدين
قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد والاشراق وقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه دعا
بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس
عن ابن عباس قال اهل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه
لم يزل في نفسي ما عرفت صلاة الضحى الا هذه الاية وعنه لم يزل في نفسي من صلاة الضحى
شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى
ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لاجد في كتب الله صلاة بعد طلوع
الشمس فقال انا واجد ذلك في كتاب الله يعني هذه الاية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم
اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية
اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات
على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير
يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد
شيء وحالا بعد حال لو كان السامع يحاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول
الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محترقة لم يكن شيئا وقوله مجنونة في مقابلة
مسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث
شبها بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك لو قيل وسخرنا الطير تحشرن على ان

ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكن
لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح
جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها
وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل
داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب
موضع المسبح اما لانها كانت تدجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يدجع اليه
فجعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله
وطلب مرضاته من عاداته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل
الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا
ملكه قويناه قوله تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت
حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه
وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة
البينة فاوحى الله في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاوحي اليه
في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت
اباهذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احدنا لطمنا الله على قفاه فقتله
فهابوه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز
بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام
ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول
بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من
يخاطب به يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخلط حاجة مظان الفصل
والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا
موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون وبجوز ذلك ولذلك
مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شيئ كان

الفصل يعني الفاصل كالصوم والزور وارد ت يفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي
يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في
القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب هو قوله البينة
على المدعي واليمين على المدعا عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول
بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفصح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده
فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد وجوز
ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء
في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان داود عليه
السلام يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت
لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد رويانا ان الانصار كانوا يواسون
المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاجتها
فسال النزول له عنها فاستحيى ان يرده فعجل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل
له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن
ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول له عنها فحسب فان قلت لم جاء على طريقة
التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل
اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان وقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا
فيه واجلب لاستشاطته وحياته وادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يشافه به
صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا
في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ويقبح
وان تحكى له حكاية ملائمة لحاله اذا تاملها استشاط غضبا لصاحب الحكاية فاستشاط
لنفسه وذلك ازجر له لانه يتصدى لذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد
والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم الى نفسه قلت

وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب
بعث البلقا ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من تقدم على التابوت
لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه وسلم
فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
على الشهدا وتزوج امراته نحو ما ونحو مما يقبح ان يتحدث به عن بعض
المتسمين بالصلاح من افنا المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبيا وعن سعيد
المسيب والحرث الاعور ان عليا رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على
الانبيا وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق
فكذب المحدث به وقال ان كانت العصمة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس
خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكشف الله عنها
سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احببت ان
اراك علت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام
ليس الا الطلبة الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاء على طريقة
التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل
اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان وقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا
فيه واجلب لاستشاطته وحياته وادعى الى التنبه على الخطاء فيه من ان يشافه به
صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا
في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ويقبح
وان تحكى له حكاية ملائمة لحاله اذا تاملها استشاط غضبا لصاحب الحكاية فاستشاط
لنفسه وذلك ازجر له لانه يتصدى لذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد
والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم الى نفسه قلت

ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا
بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه
الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق
الى استماعه والخصم الخصماء ولا يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى
حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول
ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك
قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم
على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا
اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض
فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين
ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف
سماهم خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين
في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بما انتصب اذ قلت لا يخلوا اما ان
ينتصب باتاك او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبأ رسول
الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود لا يصح
اتيانه رسول الله وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف
وتقديره هل اتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل
واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه
والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا
ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا
وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه
اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما

ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم
ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل
عليه خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ
ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط
وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق سواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين
الحق ومحضه اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او خبر لان والمراد
او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من
الخلطاء وكل واحدة من الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع
وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع
ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به
واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل واراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني
خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي
المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه
قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم
في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه
امر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود
عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا
مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه
تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في
ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما
خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما

تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من
الخطبة لم تستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن
المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له فرميت
غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا
لولا ان الخلطاء يأباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم
فان قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما
لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض
لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد
له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول
كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد ويقول ايضا في تصويرها لي اربعون
شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت
ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امرأة انثى للحسناء الجميلة
والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها واريد في تكسرها
وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام
وقوله تمشي رويدا تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل
خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير
وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه
السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل
استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه
معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت
ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت
احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير
احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي

وهي الخليطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة
الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة
مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما
شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما
لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد
ففي اربعين بين خليطين لاي شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث
شياه فان قلت فهذه الخليطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة
فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله
وعند ابي حنيفة رضي الله لا شيء عليه فان قلت ماذا اراد بذكر الخلطاء
في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة
الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي
عليه اكثرهم مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه
وان له في الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة و
حذفها اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف
الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم
وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث
ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير
له معناه وعلى داود وايقن انما فتناه انا ابتليناه لا محالة بامرأة اوريا
هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس
افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد
لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه في سجدة التلاوة
على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان

يكون قد استغفر الله لذنبه وحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر
للسجود راكعا مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة واناب ورجع الى الله بالتوبة
والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة
او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب
ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك
واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه
واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش
خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة
على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان
كثيرة من المهاير والسراري والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله
عنها وانما فرع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان
ذنب داود الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسالته **خليفة في الارض**
اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه
عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء
القايمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير
فاحكم بين الناس بالحق اي يحكم الله اذ كنت خليفته **ولا تتبع** هوى النفس في قضايك
وغيره مما يتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا **فيضلك** الهوى فيكون سببا لضلالك
عن سبيل الله عن دلايله التي نصبها في العقول وعن شرايعه التي شرعها واوحى بها ويوم
الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم
القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال
لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة
لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام
الانبياء ثم تلا هذه الاية **بينهما باطلا** خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او

او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع
المصدر وهو صفة اي ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها
التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا
لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها للعبث لا للحكمة
هو مظنون الذين كفروا **فان قلت** اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض
وما بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا
ظانين انه خلقها للعبث لا للحكم **قلت** لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب
والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه
لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحد الحكمة من
اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه
ولا يقدره حق قدره وكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام
فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال
من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ
مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبروا الايات التفكر
فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة
والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طايل وكان
مثله كمثل من له لقحة درور لا يحتلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن
الحسن قد قرا هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه
وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات القران فما اسقطت منه
حرفا وقد والله اسقط كله ما يرى للقران عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو
بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الورعة لا كثر الله
في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين

وقرئ فهم العبد على الأصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه أوابا رجاعا إليه
بالتوبة أو مسبحا موقوتا للتسبيح مرجعا له لأن كل موقوب أواب والصافن
الذي في قوله الصفون فما يزال كاته مما يقوم على الثلاث كثيرا وقيل
الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل هو المتحتم وأما الصافن فالذي يجمع
بين يديه وعن النبي صلى الله عليه من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ
مقعده من النار أي واقفين كما يخدم الجبابرة فإن قلت ما معنى وصفها
الصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في المحض وإنما هو في العراب الخلص وقيل
وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقعة وجارية يعني
إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موقفها وإذا جرت كانت سراعا خفافا
في جريها وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف
فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابتها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها
أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقيل معنى
وهبتموه فلم تعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا إلى الله وبقي
مائة فما في أيدي الناس من الخيل فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله
خيرا منها وهي الريح تجري بأمره فإن قلت ما معنى أحببت حب الخير
عن ذكر ربي قلت أحببت متضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل إنني أنبت حب
الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو معنيا عن ذكر ربي وقد كرر أبو الفتح
الهمداني في كتاب التبيان أو أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء إذا
جبنا وليس ببدال والخير المال كقوله إن ترك خيرا وقوله إنه لحب الخير لشديد
والمال الخيل التي شغلته أو سمي الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال
رسول الله صلى الله عليه الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقال في زيد
الخيل جئتك وفد عليه وسلم ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد

زيد الخيل وسماه زيدا الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستعيرون من السابق
فقال رسول الله صلى الله عليه فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخيل
والتوارى بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن توارى الملك أو الحجاب بحجابهما والذي
دل على أن الضمير للشمس مرور ذكرها العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر
وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير
أن الحجاب جبل وراء قاف مسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه فطفق مسحا
مجعل يمسح مسحا أي يمسح السيف سوقها وأعناقها يعني يقطعها تقول مسح
علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسعر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن
كشف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكشف القطع ومنه الكشف في القاب الزحاف
في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا
لها وإعجابا بها فإن قلت بم اتصل قوله ردوها على قلت بمحذوف تقديره
قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فما ذا قال سليمان
لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر
الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسوق وهمز الواو لضمتها كما في
أدور وتطبير الغرور في مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة
في السين كما هي في الواو وللملائمة كما قيل موسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد
وقرئ بالساق والكتفاء بالواحد عن الجمع لا من الالتباس فيل فتن سليمان بعد ما
ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد
له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو
نخبله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحابة فمارأعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا
فتنبه على خطابه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه وروي
عن النبي صلى الله عليه قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة
بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل

تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا
ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة
الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون
وهي مدينة في بعض الجزاير وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر
فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها
واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه
واسلمت واحبها وكانت لا يرقا معها حزنا على ابيها فامر الشياطين
فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها
يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب
المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا
وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه
عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر
وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان
فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن
والانس وغير سليمان على هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته
فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان
حثوا عليه التراب وسبوه ثم الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم
سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع
امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن
ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد
سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه

ملكه صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص
وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها
فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد
ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون
من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام
وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان
تختلف فيه الشرايع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة
فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله تعالى
والقينا على كرسيه جسدا اناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه
نبوا ظاهرا قدم الاستغفار عن استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين
في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى
من بعدي دوني فان قلت ما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة
ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان ناشئا في بيت الملك والنبوة
ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زايدا
على المماليك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته
قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي
لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على
حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة
واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم
مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه
فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا
يضبطه عليها الا هو وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا

ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له
انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراته
على الله وسيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال
فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم قرى الريح والرياح
رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد
واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن روبة ان رجلين
من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا
هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح كل بناء
بدل من الشياطين واخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من
الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهم
اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في
القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم
مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه
ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول
القايل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه
من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده
واصفده اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة
عطاؤنا بغير حساب يعني حما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن
من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي
قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا
على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير اي لا
حساب عليك في ذلك عبدنا ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني باني

باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غايب
وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب
والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه
من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان
قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم
وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر
في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه
وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه
اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله تعالى في دعائه مع انه فاعله
ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به
من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف
البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين
فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين
وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه
في ناحية ملك كافر فداهنه فلم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك
حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية
فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ما تغتسل به وتشرب
منه باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل
من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل
ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة
فشرب منها رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير
اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبته

الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة
من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه
ليضربن امراته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن
خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه انه اتي
بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة
ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها
مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة
في حاجة فخرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب
اذا قام وقيل لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت
بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب
اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق
وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به
واسترحمه قلت الشكوى الى الله لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما
اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء
لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء
فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء
على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان
يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة
القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه
قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم
يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت سبعان ولا كاسيا ومعي
جائع او عريان فكشف الله عنه ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان
لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على

على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق لما
كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان
عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله
عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة
ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى
الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض
بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي
الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن
اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها
بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على
الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر وانما
همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها
ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء
وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم
فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة
وبانهم من اهلها واخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة
من بخالصتهم المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير
على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت واليسع كان حرف التعريف دخل على
يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل
عوض من المضاف اليه معناه كلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر
وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه
واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان

للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب
اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت
والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا
وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس
هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة كقوله جنات عدن التي وعد الرحمن
وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في
للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير
تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل
الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة
خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم كان اللذات
سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان
التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم
قرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما
تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي الامر هذا او
هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم
من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا
فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد
اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت
منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه
الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا
معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات آخر من شكل هذا المذوق من مثله

مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وآخر اي وعذاب آخر او ومذوق
آخر وازواج وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما
الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم
معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة و
الدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي
يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم
العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له اي اتيت رحبا
من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم
بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه
قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة
لرؤساء الكفر في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل
هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي
دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير
او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء
قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا
السبب باغوائهم وكان العذاب جزاهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء
هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون
في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله
لا مرحبا بهم من كلام الخزنة وما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون
اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا
الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب
وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى
الله هؤلاء اسوء فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا

انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا **فزده عذابا ضعفا** اى مضاعفا
ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو
ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من
العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين
رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير
فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم وكانوا عندهم اشرارا **اتخذناهم
سخريا** قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار
وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيث لها في الاستسخار منهم وقوله
ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اى ما لنا
لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا
امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انهم خفي
عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة
على معنى اى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراءهم وتحقيرهم وان
ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم
وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة
لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك
انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام
محذوفة فيمن قرا بغير همزته لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة
الاستفهام وحذفها قبل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد
واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان
ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار
وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس **فان
قلت** لم سمي ذلك تخاصما **قلت** شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال

السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا
بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما
لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله
للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد
بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز
الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجا اليه قل لهم ما
الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف
عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه **قل هو نبأ عظيم** اى هذا الذي انبأتكم به من
كوني رسولا منذرا والله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل
شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم
امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا
وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله
ان يوحى الي الا انما انا نذير اى لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف
اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان
انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اى ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك
وقرئ انما بالكسر على الحكاية اى الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا
ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد
وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة **فان قلت** بم يتعلق اذ يختصمون
قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم
واذا قال بدل من اذ يختصمون **فان قلت** ما المراد بالملأ الاعلى **قلت** اصحاب
القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم **فان
قلت** ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال
لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول

بينهم فلم يكن التقاول بينهم وانما ان يقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته
من الملاء الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في
الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم
الملاء الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول
لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون
قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم
فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته
حساسا متنفسا فقعوا فخروا كل الاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا
عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات
فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله
على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعرف الله
فيه مفسدة فينهى عنه فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد
منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله
كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد
وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله فان قلت ما وجه قوله خلقت
بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين
على سائر الاعمال التي تباشر بغيرها حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل
لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا
مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت فما
معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس
السجود لآدم واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجدته
لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو طين وهو مخلوق من نار ورأى

ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب
وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة
وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له
من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى
التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخلطائه كان هو مع
انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود
لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء
وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود
لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما
لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي
تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان
عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور
بعض سقاط الجسم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى
علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته
بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه
من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة ممن انت حتى يصرفك عن السجود
له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل له معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير
واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد من العالين ممن علوت
وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن
ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف
حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا
من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار
تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار

مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح منها من الحية وقيل
من السموات وقيل من الخلقة التي منها انه كان يفتخر بخلقته فغيره الله خلقته
فاسودّ بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا والرجيم
المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المذءوم والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على
اثره والرجم والرمي بالحجارة واولان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله الى
يوم الدين كان لعنه ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع وتخذل الله قلت لن ينقطع
وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه
اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عند اللعنة فكانها
انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت الذي
تقع فيه النفخة الاولى ويموت فيه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اخر ابه ومعنى المعلوم
انه معلوم عند الله متقن لا يستقدم ولا يستاخر فبعزتك اقسام بعزة الله
وهي سلطانه وقهره قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله فان
علينك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق قول اعترض بين المقسم به والمقسم عليه
ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق
المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول
مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله
كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن
والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد
وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع
الاول وجر مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين
ومنهم منك من ذرية ادم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلوا ان
يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من
المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا ولاملانها من الشياطين ومن

ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم
من اولاد الانبياء وغيرهم عليه من اخر الضمير للقرآن او للوحي وما انا من
المتكلفين من الذين تصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط
بمتصنع ولا مدع ما ليس عندي حتى انتحل النبوة والمقول القرآن ان هو الا
ذكر من الله للعالمين للثقلين وحي الله فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه
المتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن
نبأه اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه
من صحة خبر وانه الحق والصدق فيه هدد عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخر الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب
صغير او كبير ٥ سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية
وهي ست سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف او الجار
صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او خبر صلته كقولك هذا الكتاب من فلان
الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب
هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل تجوا قراءة
والزم فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى
الثاني انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفيه
السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى
واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان
يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وانما من جعل مخلصا
حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب يدرج به الكلام الى قولك
لله الدين الا لله الدين الخالص الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص

له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على العيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك الخلوص
نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن
الحسن الاسلام **والذين اتخذوا** ويحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة
وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى
الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين
اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء **فان قلت** فالخبر
ما هو **قلت** هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم اي ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم
وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم **فان قلت** فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع
القول المضمر **قلت** يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا
من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود باظهار القول قالوا
ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به الهتهم
وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في غدا بن
اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة
وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم
بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم
مشركون اولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى
وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا
قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في
بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم بينهم يوم القيامة بين المتنازعين
من الفريقين المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم
في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا
من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ
ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا

محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص
الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه
اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام
والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من
خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاهم اتخاذهم اولادا ثم
تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين
في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان
يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه
واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه
ولا جنس له واذا لم يتات ان يكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى قوله
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء الهتهم
فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير
كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على
كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب
والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان
الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه
ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تكوي
الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب
الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار
ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها
على اثر بعض **الا هو العزيز الغفار** الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب
التائبين او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم
الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة **فان قلت** ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها

وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها الا على وحدانيته
وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه
الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم يجر بها العادة ولم يخلق
انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع
فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود
وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله
بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم
وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح
كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه
انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن
والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل
منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة
لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن
والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله هو الله
ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره فان الله غني عنكم
عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان
ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي
يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا
لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد
تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام
الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه

يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى
ولم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما
جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام
به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني
جعله يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس
ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي
كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل
بفتح الياء وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله واضلاله
والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من
باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان
والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته
وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في
المعنى متاع قوله قليل ثم ماواهم جهنم قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة
الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره
امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله
بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل
ام هو كافر واهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما
يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام
فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم
على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة
واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه
ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا
فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه

اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت
في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى
في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله فتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر
بالادغام في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا
فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد
علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف
باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان يقع صفة لها لتقدمه
قلت هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق
وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان اليه
حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف
الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجثموا مع العجز وتحولوا
الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا
احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا
بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا وقيل هي ارض الجنة
والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص
واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير
مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب
الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى
باهل الصلاة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى
باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر
لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به
اهل البلاء من الفضل قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول

اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة
في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر ليحرز
القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه تنزل بذلك
منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد
الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم
مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل
على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان
اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون
اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول من خالف دين ابائه وخلع الاصنام
وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا
نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي
صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال
السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من
الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين
استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين ابائه
فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله
قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور
من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يختص الله وحده
دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل
العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا
فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه
والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية

على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه
واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا
اهليهم لانهم كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا
من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل خسروهم
لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم
الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله
الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط
الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين **ومن تحتهم** اطباق
من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد به الله عباده ويخوفهم
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه **يا عباد فاتقون** ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه
عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي الطاغوت فعلوت من الطغيان
كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان
او الشيطان لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان
طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك
المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على عين الشيطان والمراد بها هاهنا
الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى
هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل
يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت
مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا في الدين
يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب

وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله
واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر
وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير
قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار
والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع
الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن
الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون برفعه على الابتداء
وخبره اولئك اصل الكلام افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية
دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف
على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره انت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو
ان تكون الآية جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في
النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم
العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه
في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله
تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا
تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق
العذاب بتحصيل الايمان فيه **غرف من فوقها غرف** علالي بعضها فوق بعض **فان**
قلت ما معنى قوله مبنية **قلت** معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي
على الارض وسويت تسويتها **تجري من تحتها الانهار** كما تجري من تحت المنازل من

غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى
وعدهم الله ذلك انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من
السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه وادخله ونظمه ينابيع
في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه هيآته
من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير
وسمسم وغيرها ثم يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له
ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا
وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل
واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا وقرئ مصفارا افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى
انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي
القلب ونور الله هو لطفه وقرا رسول الله صلى الله عليه هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف
انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة
ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل
نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي
اذا ذكر الله عندهم او آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم
رجسا وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت اذا قلت
قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه
واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من
العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش عن
ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه ملوا ملة فقالوا له حدثنا
فنزلت وايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع
منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله

مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث
وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة
بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على
الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخيير والاصابة
وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه
متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد
ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان
ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والاعادة كما كان قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك
لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما صح
ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك
تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات فلذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ
ومكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف
الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة
اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من
متشابها كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان قلت
ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة
فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة
رسول الله صلى الله عليه ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وتنصح ثلث مرات وسبعا
ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا
شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع
وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقعشر جلده من الخوف

وقف شعرن وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل
تصوير الافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبايات
وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته
وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم ومال عنها ما كان بها من الخشية
والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته لان بالى قلت ضمن معنى فعل متعد
بالى كانه قيل سكنت او اطمانت الى ذكر الله لينة غير مقبضة راجية غير
خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان افضل امره
الرحمة والرافة ورحمته سابقة غضبه فلا صالة رحمته اذا ذكر لم تحضر
بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤوفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود
وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي
محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من ايات الوعيد
ولخشى قلوبهم في اول هلة فاذا ذكروا الله ومبنى امرهم على الرافة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة
الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين
حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله
ومن يخذله من الفساق والفجرة فماله من هاد اولئك الكاملين من الخشية والرجاء
هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به هذا الاثر
من يشاء من عباده يعني من صح اولئك وراثهم حاشين راجين فكانه قيل لهم رغبا
هم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يوثر فيه
الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فماله من هاد من يوثر فيه بشيء قط يقال
اتقاه بدرقة استقبله موقيا بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب
شدته ومعناه ان الانسان اذا القى محوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان

ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه
الى عنقه فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف
بغيره وقايه له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي
جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون من حيث لا يشعرون
من الجهة لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بينا هم امنون
رافهون اذ فوجيوا من ما منهم والحزي الذل والقماءة كالمسخ والخسف
والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله قرانا عربيا حال من كتابه
كقولك جاني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح
غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل
مستقيما او غير معوج قلت فيه فايدتان اخذ بهما نفي ان يكون فيه عوج
قط ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج يختص بالمعاني دون الاعيان
وقيل المراد بالعوج الشك واللبس والتناقض وقد اتاكم يقين غير ذي عوج
من الله الا له وقول غير مكذوب واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما يقولون في رجل
من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي
انه عبده فهم يتجاذبونه ويتغالبونه في بعض شيء ومشاهده واذا عنت له
حاجة تداعوه فهو متحير في امرهم ساهر قد شعبت الهموم قلبه وتوزعت
افكاره لا يدري ايهم يرضى بحذقه وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم
لمالك واحد وخلص له فهو معتنق وخلص له فهو معتنق لما يرمه من خدمته معتمد على
بما يصلحه فهمته واحدة وغايته مجتمعة اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد
بمثل هذا المثل من اثبت الهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد
منهم عبوديته ويشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض
وبقي هو متحيرا ضايعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب
رزقه وممن يلتمس رفقه فهمته شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها

واجرًا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه مشتغل عليه في عاجله
موءمل للثواب في اجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاجر
الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاجرت اسنانه سالما لرجل خالصا له
وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهو مصادر وسلم
والمعنى ذا سلامة لرجل اي خالص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ
بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون اقطع لما شقي
به او سعد فان المرأة الصيق قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة
على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد
لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة وكون
فيصل وامثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل
والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا
شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة
فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يترقبون
برسول الله صلى الله عليه موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة
البلى بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ ميت
وميتون والفرق بين الميت والميت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما الميت
فصفة حادثة تقول زيد ميت غدا كما تقول سايد غدا اي سيموت وسيسود واذا
قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله
انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن
فكان قد كان ثم انكم ثم انكم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون
فتحتج انت عليهم بانك فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون
بما لا طايل تحته يقول الاتباع الهفنا سادتنا وكبرآنا ويقول السادات اغوتنا الشياطين
وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا

بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يكتونهم بالحجج واهل القبلة
بكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا وما نرى
ان هذه الاية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم وبيننا واحد ديننا
واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها
نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وبيننا واحد ودينا واحد
فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا
وعن ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي
الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن الغالبية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي
يدل عليه كلام الله هو ما قدمناه ولا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله
وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة
الذين كذبوا على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق لما امر الذي هو الصدق
بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاه بالتكذيب كما سمع به
من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما
يسمعون مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق والام في الكافرين
اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه جاء بالصدق وامن
به واراد به ابو بكر ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الآن هذا في الصفة وذلك في الاسم ويجوز
ان يريد بالصدق القرآن الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق
وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقرئ
وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به بعض اذاه اليهم كما نزل عليه من
غير تحريف وقيل وصار صادقا به اي سببه لان القرآن معجز والمعجز تصديق من الحكيم
الذي لا يفعل القبيح لمن اجراها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا
بالمعجز وقرئ وصدق به فان قلت ما معنى اضافة الاسوء والاحسن الى الذين

عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي
يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل
بني مروان واما التفضيل فايذان بان السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات
المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند
الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن اخلاصهم
وقرئ اسوأ الذي عملوا جميع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة
النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله وبكاف عباده
وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى
عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها
احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله
عز وجل اليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف
وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد
قال اممهم نحو ذلك فكفارهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم
وقرئ يكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة
من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة
وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم اجرهم بالذين
من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم
من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم
قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت
لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان
يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق
العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة

صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات
رحمته حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يجيروا بنت شفة قال حسبي الله كافيا
لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبي صلى الله عليه سألهم
فسكتوا فنزل قل حسبي الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد
قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة
قال الله تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى
ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة
لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه
قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم
ايضا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة
بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان
قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة
الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه
ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم
عاليا في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وعليه من حيث ان
الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليله من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه
صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ
مكاناتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار
الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن
اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على
الاختيار دون الاجبار الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان تسلب ما هي به حية
حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد
سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها

حين تنام تشبيها للنائم بالمتوفى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يتمزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حتمة ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي يتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والناس يتنفسون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والفرض ما ذكرت اولا لان الله عز وجل علق الموت والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت وانما الجملة هي التي تمام ان في ذلك ان في توفي الانفس مايته ونايمة وامساكها وارسالها الى اجل لايات على قدرة الله وعلمه لقوم يتحيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له وهاهنا الشرطان مفقودان اولو كانوا اي معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة مدار المعنى على قوله وحده اي اذا ذكر الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا

وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله بعهم اولم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اذا استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه افرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشر وجهه وتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في ادیم وجهه فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بانمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لجاههم واعذار لرسول الله وتسلية له وعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الان تكلم فما زاد على ان قال آه اوقد فعلوا وفراهل الابة وروي انه قال على اثر قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وبدا لهم من الله وعيد لا كنه لفظاعته وشدته وهو تطير من قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء وويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى اية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم اكن احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم وحين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم واحاط جزاء هزئهم التخويل مختص بهم

بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في
من فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب
كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت
ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في
انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة
انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان
لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى
اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه
في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته
فان قلت ما السبب في عطف هذه الاية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة
بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده
اشمازت على انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مس
احدهم ضر دعا من اشماز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي
اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في
الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم
ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم
الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا تحكم بيني وبين هؤلاء الذين
يجترئون عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو
ان للذين ظلموا متناول لهم اول كل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم
به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم
والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وهي الا جملة
ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو فان

فان

فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم
اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا التسبيب لطف وبيانه انك
تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه
ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة
كان الكافر حين التجا الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه
مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد
بهذا الكلام الانكار والتعجيب من فعله الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام
وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه
راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي
قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقيل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق
فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا
باسط الا الله عز وجل اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة
وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه
لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود
يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته
وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وفاطمة رضي الله عنها يغفر
الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل
قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر
له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي
انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا

قوله بشرط التوبة اشارة الى مذهبه

فاقتتلوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي
الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة وعن رسول
الله صلى الله عليه ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله
ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وانيبوا الى ربكم
وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة ليلا يطمع
طامع في حصولها بغير توبة والدلالة على انها شرط فيها لازم لا يحصل بدونه واتبعوا
احسن ما انزل اليكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه واتم لا
تشعرون اي بغتة اكم وانتم غافلون كانكم لا تحسون شيئا لفرط غفلتكم وتهتموا كم
ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس
وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس تميز من الانفس اما بالجاج في الكفر شديد
او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى وربّ بقيع ان هتفت بجمعه
اتاني كريم ينفض الراس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا
ونطيع رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا
التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب
الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم
قالوا فرط في جنبه يريدون في حقه قال هابن البرير اما استيقن الله في جنب وامن
له كيد جرى علينك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه
فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن
الحشرج ومنه قول الثاني لمكانك فعلت كذا يريدون لا خلك وفي الحديث من الشرك
الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق
فيما يرجع الى ادآء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في ذات
الله فان قلت فمرجع كلا هلك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الله الكناية
وتلا عنها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف

مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله
وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية
مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله
حتى سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر
اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم تملك علمه ونسوا اتاه
ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه
ملك الموت في الدهماء كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة
الشيطان واستحطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن لو ان الله
هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج
عن الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض
ولم يتبعه حتى تهدى واما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكي عنهم
التعلل باعوآء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحو لو هدانا الله لهديناكم
وقوله قد جاءتك اياتي ردّ من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به
واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر
التآء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله
لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لانه لا يخلو اما ان يتقدم على احدى
القرائن الثلاث فيفترق بينهن واما ان يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه
من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو
التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان
الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى قوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب
من تلبيها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان يقع بلى جوابا للخبر منفي
قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت كذبوا على الله ونسفوه عالا يجوز عليه
وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا

لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل
القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويولم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق
ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا
متسترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء **وجوههم مسود**
جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب
قرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده وتفسير
المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لهم لا يمسهم
السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل
الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم
لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة
لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة **فان قلت** لا يمسهم ما محله من الاعراب
على التفسيرين **قلت** اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني
فمحله النصب على الحال **له مقاليد السموات والارض** اي هو مالك امرها وحافظها
وهي من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه
قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل
مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية **فان قلت** ما للكتاب
العربي المبين وللفارسية **قلت** التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من
كونه مهملا **فان قلت** بم اتصل قوله والذين كفروا **قلت** بقوله وينجي الله الذين اتقوا
اي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء
كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها
من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات فالله خالقه وفاتح
بانه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال

سال عثمن رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه عن تفسير قوله له مقاليد السموات
والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه
والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون **افغير
الله** منصوب باعبد وتامرونني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك
حين قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة
قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني
ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا تراك
تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونني
ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرا
اعبد بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون او حذفها قرئ
ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون وبالياء اي ليحبطن الله
او الشرك **فان قلت** الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد **قلت**
معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله اوحي اليك والى
كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا **فان قلت** ما الفرق بين
اللامين **قلت** الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد
مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط **فان قلت** كيف صح هذا الكلام مع علم الله
تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات يصح
فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم
جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه **فان
قلت** ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط

العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة
ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم
كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل
تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد
ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد
لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره
عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه
تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو
بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل صلوات
الله عليه جاء الى رسول الله فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة
على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع
وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم
قرا تصديقا له وما قدروا الله الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم
منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك
ولكن فهمه وقع اول شيء واخره في الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة
وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل
السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا
في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات
من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات
قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير

والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان
العلوم كلها مفتقرة اليه عيال عليه اذ لا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة
الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من احاديث الرسول وقد ضيم وسيم الخسف
بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير ولا
ولا يعرف قبيلا من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله
جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع
القصد الى الجمع وتاكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر
ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض
فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا
اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة
السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن
قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغهن الا قبضة واحدة من
قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمن والقلة جرعته
اي ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة
فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار
ما يقبضه بكف واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرا قبضته بالنصب قلت
جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم والسموات مطويات من الطي الذي هو ضد
النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه
وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه وقدرته وقيل مطويات بيمينه
مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض
عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته
وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله
واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين

وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على
الحال سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه
من الشركاء فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع
والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة
من قرا نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت
لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون
ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاءه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم
ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم قد استعار الله عز وجل
النور للحق والقران والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت
الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات
والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة
اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم
بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها
وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم عطف على اشراق الارض من وضع
الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون
للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور
فلان وقال رسول الله صلى الله عليه الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الاية باثبات العدل
ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلات
به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملا الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف
الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم
من الحفظة والاخبار وقيل المستشهدون في سبيل الله الزمر الافواج المتفرقة بعضها
في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا
هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر

نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت
دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في الشدة قالوا
بلى اتوكما وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر
والضلال اللام المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف
بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين
جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان
جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه
شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها جاءوها
وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول
اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة
لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها
فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد
بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على
السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه
لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن
يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس
المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب
والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل
دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا
من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب
الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا

ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن
تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا
وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون
لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء
ولا يحتاج الى جنة غيره حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان
والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت
يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء
بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين لا يكون على
سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء
بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم
اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه
بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة
الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا
وعن رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر
سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة
وقد قيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون
اية وقيل ثنتان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء
الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرا ومنع الصرف
للتانيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والتوب
والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول
والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات
تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان تكون مثله معارف قلت اما غافر

غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب
ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتهما غير حقيقية وانما
اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد العقاب
فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج
بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء
المعارف هذه النكرة الواحدة فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة
جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها
جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف
واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم
عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عتادليه فثنوا ما هو
وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذاك
وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير
على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان
يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة
الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة
الابدال فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي
افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة
من الطاعات وان يجعلها مجاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول
وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع
في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله
الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله
لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة
جعل يقراها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها

حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا
اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا
تكونوا اعوانا للشياطين عليه سجل على المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال
بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد
في سبيل الله وقوله صلى الله عليه ان جدالا في القران كفر وايراده منكرا وان لم يقل
ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغرنك
ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر
لا احد اشقى منه عند الله وجب على من يحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره
اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت
قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان
مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل
وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم
وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك الاحزاب
الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة
من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها **لياخذوه** ليتمكنوا منه
ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ
فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم **فكيف
كان عقاب** فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه
معنى التعجيب **انهم اصحاب النار** في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب
المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف لام

لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك
وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة يجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات روي ان
حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وعن النبي صلى الله عليه لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من
الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله
وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى
يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على
حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء
وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش
سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف
صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح
بما لا يسبح به الاخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله ويؤمنون
به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت**
فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه
بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان
وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله
مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما
وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب
عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق
الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون
به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم
وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه

على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين
ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي وقط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس
الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى
ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر محتمل ان يكون بيانا ليستغفرون
مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال
وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع
كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان
ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان
يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت
معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي
نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك
وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات
اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر
المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت فما الفائدة في استغفارهم
لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة
الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام
والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم اي ينادون يوم القيامة
فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم
القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم
الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم
في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة

الخبيثة ومقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم
الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشد
امتنا اثنتين اماتتين واحياتين او موتتين وحياتين واماتتين واراد بالاماتتين
خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء اجالهم وبالاحياتين الاحياة الاولى
واحياة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا
اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك
للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر
الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات
والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح
لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما
على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل
الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلاث احياءات
وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها او يزعم ان الله
يحييهم في القبور وتستمر بهم الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين
من الصعقة في قوله الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا لقوله فاعترفنا
بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش
العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر
على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما نبعه
من معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام الياس
واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط
وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم

اى ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم
بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلى الكبير دلالة على
الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه
ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا يريكم اياته
من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما
يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اى اعبدوه
مخلصين له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات
ذو العرش يلقى الروح ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم او اخبار مبتدا
محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرى رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع
الدرجات كقوله ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة الى ان يبلغ العرش وهى دليل على
عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة
عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات
ثوابه التى ينزلها اولياءه فى الجنة الروح من امره الذى هو سبب الحياة من امره يريد
الوحى الذى هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال او من كان ميتا
فاحييناه لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرى لتنذر اى لتنذر
الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرى لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول
ويوم التلاق يوم القيامة لان الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه اهل السماء
واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون لا يسترهم شىء من جبل او
اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة
لا تكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة عرلا لا يخفى على الله منهم شىء
اى من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شىء فان قلت قوله لا يخفى
على الله منهم شىء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شىء برزوا او لم

يوم هم

او لم يبرزوا قلت معناه انهم كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب
ان الله لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال
لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم
ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار حكاية لما يسال عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادى مناد
فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم
القيامة فى صعيد واحد بارض واحد بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط
فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل
نفس الاية فهذا يقتضى ان يكون المنادى هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم
عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مامون لان الله ليس بظلام
للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى
وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنه اذا اخذ فى حسابهم
لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها ازفة الازفة القيامة سميت لازوفها
اى لقربها ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهى مشارفتهم دخول
النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فتموتوا ولا
ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجاء كما قال فلما راوه
زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب
القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا
حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من افعال العقلاء كما قال
رايتهم لى ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون
ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اى وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله

فادخلوها خالدين الجميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة
نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى
قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون
الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو يحتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا
الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحو ولا ترى الضب
بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله
قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم
لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما
هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع
البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفايدة في ذكر هذه الصفة
ونفيها قلت في ذكرها فايدة جليلة وهي انها صممت اليه ليقام انتفاء الموصوف
مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان صفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون نفيه لك ازالة
لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالي
فرس ان كبة وما معي آلة سلاح "اجاريت به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح
علة مانعة من الركوب والمجاريه كانه يقول كيف ياتاتى مني الركوب والمجاريه
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع يطاع معناه كيف ياتاتى الشفيع
ولا شفيع فكان ذكر الشفيع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا
لانتفاء الشفيع موضع الامر بالمعروف وغير المنكر الذي لا ينفي ان يتوهم خلافه الخاينة
صفة للنظر او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخاينة من الاعين لان قوله
وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خاينة الاعين قلت

قلت هو خبر من اخبار هود في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح
قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر اهوال يوم التلاق الى قوله ولا
شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله
لا يقضي الا بالحق والعدل استغنايه عن الظلم والهتكم لا يقضون شيئا وهذا انهكم بهم لانهم لا
يوصف بالعدل من لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خاينة
الاعين وما تخفي الصدور وعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم
عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالياء والتاء
هم في كانوا هم اشد منهم فضل فان قلت من حق الفضل ان لا يقع الا بين معرفتين
فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد صارع المعرفة
في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام
واثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم او اراك
واكثر اثارا لقوله منضدا بعضه فوق بعض ونحوا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات
فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالنبوة
فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي
انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل
آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني
انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما بقي عنهم
هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد
وقع اعادة عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه بصدهم بذلك عن مظاهرة موسى
وما علم ان كيده ضايع في الكرتين جميعا ذروني اقتل موسى كانوا اذا هموا بقتله
كفوا بقولهم ليس بالذي نخافه وعن اقل من ذاك واضعف وما هو الا بعض السحرة
ومثله لا يقاوم الاساجرا مثله وتقولون اذا قتلته اذ ظلت الشبهة على الناس

واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن
انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة
وكان قتالا سفاكا للدماء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه
ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه
شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها
على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع
الفزع ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل
قوله ويذرك وآلهتك والفساد في الارض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن
وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف
عليكم ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر
من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز ان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد
دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى
الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما
سمع موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي
هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا
بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر ليشتمل استعاذته فرعون وغيره
من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان
للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط
ظلمه وعسفه وقال يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب
بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله وعباده
ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام رجل
مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون
آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم

ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل حزبيل او حزبيل
والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا و
الدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله
ان جاءنا دليل ظاهر على انه ينتصح لقومه ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم
وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم
علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح
قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه
وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من
سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة
سمعتم منه هذا القول من غير رؤية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات
العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال
لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا وان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه
ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت
لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت
لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك
معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى
تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا
عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه
اردفه يصيبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه
ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه
وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد

بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان
صحة الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه
ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله
واهلكه ولا يستقيم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه
الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه
كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا
له اانت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله
عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق
ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا ظاهرين في الارض في ارض
مصر عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم
فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم
به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم
بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم
برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب
وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم
الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر
يعني ان لسانه وقلبه متواطيان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا
للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر
احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كغلام
او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا
من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وساءار وقصار وجبار ولا يصح
القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعوارج وبنات غير منظور فيه

فيه الى فعل مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم انه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم
بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على
الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال
الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب
وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف
يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان
لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب
قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك
الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم
كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام
للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن
الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون
معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم
لانهم كانوا ظالمين التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون نصائحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير
النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج
بعضهم في بعض اذا سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين عن قتادة منصرفين
عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين هو يوسف بن يعقوب
عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين
سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر
وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى
اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان

وتقدمه عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم
الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف
وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى
تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين
يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف
فان قلت كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا
واحدا وكانه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان
قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في
المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه
وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظاير ويجوز ان يرفع
الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير
في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون
مبتدا وبغير سلطان اتيهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك
الجدال ويطبع الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف
الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام
لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكباير وقرئ سلطان بضم اللام
وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما
تقول رات العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه اثم قلبه وان كان الاثم
هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة
لصاحب القلب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه
من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل
ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان قلت ما فايدة هذا التكرير

التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات قلت اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان
تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمهما ثم اوضحهما
ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوفة اليه ليعطيه السامع
حقه من التعجب فابهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب
على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل او الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله
ومثله زينا لهم فهم يعمهون وقرئ زين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز
وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين
الى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء
عمله وصدوا هو وقومه قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح
بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع
ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الاخرة والاطلاع
على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما
ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي
ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذروا نذر واجتهد
في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من ال فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة
للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب وفي
هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من ال فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض
سببه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها لان الزيادة
على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة
فحسنة لانها فضل قرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها
يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل

الصالح فبغير حساب تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة
فان قلت لم كرر نداء قومه ولما جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت
اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ لهم عن سنة الغفلة وفيه انهم
قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه
واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم
سروره وغمهم غمه وينزلوا على نصيحه لهم كما كرر ابرهيم صلى الله عليه في نصيحة
ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان
للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما
الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى
الطريق وهداه له به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك
به ما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل
لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق
ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم ان تعتدوا
اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل
من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا يعدلك من فعله
فلذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع
لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب
حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل
وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني
اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته
ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعوا
هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله

وقوله في الدنيا والاخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره
وفي الاخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرا من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس
له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي
لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل
المجازي عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد
السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ
فستذكرون اي فسيذكره بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل
نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم
النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب
فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل
من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا
قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها
ويجوز ان ينتصب على الاختصاص عليها غدوا وعشيا هذين الوقتين يعذبون بالنار
وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس اخر من العذاب او ينفس عنهم
ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت
الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال
لخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع
عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه
منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما
فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا
يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار

المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل بنحو ما فعل نمرود
ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الاية على اثبات
عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي
تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو ان معرفة والتنوين
عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا
حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف
متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد
قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لخزنة جهنم
للقوم بتعذيب اهلها فان قلت الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم
تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على
لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر
قليذم من العياليم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة المتوكلين
بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار
بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم
اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا
فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم
والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس
قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع
دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافر في الحياة الدنيا ويوم الاشهاد اي في الدنيا والاخرة
يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا
في بعض الاحيان امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم
ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة

الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه لتكونوا شهداء على الناس واليوم
الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا
بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله
ولهم سوء الدار اي سوء دار الاخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا ينفع بالتاء والياء
يريد بالهدى جميع ما اتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا وتركنا
على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التوراة هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على
المفعول له او على الحال واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله
حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما اتاه من
اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء اثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك
كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما
يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلا كلمتك
حق واقبل على التقوى واستدراك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء
عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر اتاهم ان في صدورهم الا كبر الا
تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا
اياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك
ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما
سبقونا اليه او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر
ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الايات وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه
البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله فيرجع الينا الملك فسمى
الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من
يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو
ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض

بما قبله قلت ان مجادلتهم في ايات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة
ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق
عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها
مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله
لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواهم ضرب
الاعمى والبصير مثلا وللمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم لا ريب
فيها من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون
بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين
يستكبرون عن عبادتي والاستجابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد
سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء
وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى
النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه الدعاء هو العبادة وقرا هذه الاية ويجوز ان
يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة
ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه
الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال
لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن
ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد
داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النار فان قلت
لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى المقابلة
قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا
فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف

يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكر لا ريح فيه لم يتميز
الحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض
تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذاك انما يستوي بالاضافة فان قلت
فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص للكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان
الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة
التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي
هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء
والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه يصرفون عن عبادته
الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيه همة
طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص
ويؤفكون بالتاء والياء هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل
الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في
العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد
قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله
في احسن تقويم فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي طاعة من الشرك والرياء قائلين
الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها
الحمد لله رب العالمين فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه عن عبادة الاوثان بادلة
العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة
العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل
والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل
وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية لتبلغوا

أجلكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يتقيكم لتبلغوا ولذلك لتكونوا وأما
ولتبلغوا أجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل
يوم القيامة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد
منكم أو اقتصر على الواجد لأن الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة أو من قبيل
هذا الأجوال إذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج فإذا قضى
أمرا فإنما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الأحياء
والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك
من الاقتدار إذا قضى أمرا هون شيء وأسرعه بالكتاب بالقرآن وبما أرسلنا به
رسلنا من الكتب فإن قلت وهل قوله فسوف تعلمون إذ الأغلال في أعناقهم إلا مثل
قولك سوف أصوم أمس قلت المعنى على إذ الأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار
الله عز وجل متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان وو جلة المعنى على الاستقبال
وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية
على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بحرا السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذا أعناقهم
في الأغلال كان قوله إذا الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين
معتقبتين يحمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره مشائيم ليسوا
مصلحين عشيرة ولا ناجب كأنه قيل بمصلحين وقرئ والسلاسل يسحبون في
النار يسجرون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه البحر كأنه سجر بالجيم
أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوء بها أجوافهم
ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك أنا عائدون
بجوارك قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فإن قلت أما
ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون
بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا
وقيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله يغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم

بتعذيبهم في سائر الأوقات وإن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم إلا أنهم لما لم ينفعوهم
فكأنهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا
وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا
خيبته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم
عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الإضلال بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان ادخلوا أبواب
جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء
مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم
أو جهنم فإن قلت التئم قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرتك
الله فنعم المزار وصلى المسجد الحرام فنعم المصلى قلت الدخول الموقت بالخلود
في معنى الثواء فإما نرينك فإن نزل وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك
ألحقت النون بالفعل الا ترى أن تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك
فإن قلت لا تخلو إما أن تعطف أو نتوفينك على نرينك ونشكها في حرف واحد
وهو قوله فإلينا يرجعون فمتى لك فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون
غير صحيح وإن جعلت فإلينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك لبقي المعطوف
عليه بغير جزاء قلت فإلينا يرجعون متعلق بنتوفينك جزاء نرينك بمحذوف
تقديره فإما نرينك بعض الذي من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو إن نتوفينك
قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فنلتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله
تعالى فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم
مقتدرون ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة
آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه إن الله
بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في قراءة من الآيات على رسول
الله عنادا يعني إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية

باذن الله فمن لي بان آتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا
جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة المبطلون المعاندون
الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات وانكروها وسموها سحرا الانعام الابل
خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل لتاكلوا منها لتصلوا الى
منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم
قلت في الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين
او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة
الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى اذا
قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك
في البر والبحر فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها
حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله عليها ويزاوجه
فاي ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة
بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي
اغرب لابهامه واثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة
او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فرحوا بما عندهم
من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادرك علمهم في
الاخرة وعلمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى
ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون البينات وعلم الانبياء
كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين
من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن

وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن
قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم
من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة
في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم
من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء
به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين
ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ومنها ان يجعل الفرح للرسل
ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا اسوء عاقبتهم
وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من
العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم
الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ
والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع
واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب
بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم
ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح
ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله
فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار
مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف
فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال
فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما
راوا باس الله سنت الله بمنزلة وعد الله وما اشبه من المصادر المؤكدة وهنالك

مكان مستعار للزمان اي وخسروا انفسهم وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك
المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء
بالحق عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا
مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ان جعلت حم
اسما للسورة كانت في موضع المبتدأ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا
لمبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج
ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ
فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ
ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها
من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص
والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال
اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل
عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت
بم تعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم
او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا
لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب
او خبر مبتدأ محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان
فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه والاكنة جمع
كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل
الحق واعتقاده كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف
ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم
عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من حبل او نحوه فلا

فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرك
وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت
لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة
من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك
مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة لما قيل وفي آذاننا
وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك
قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل
انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة
الا في المعاني فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا
في اكنة قلت من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما بشر مثلكم وقد اوحي الي
دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما
يوحى الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص
العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ
الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر
فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت
لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذاك اقوى دليل
على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على
ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا نقرت عصبيتهم
ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب
وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل
المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون
من آمن منهم برسول الله وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان الممنون المقطوع

وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملون ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وائنكم بالف بين همزتين خلقكم الذي قدر على خلق الارض في مدة يوم من هو رب العالمين فيها رواسي جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل له رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معترضة لطالبيها حاضرة لمجتليها وليتقرر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مستقر الى ممسك لا بد لها منه وهو تمسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماءه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء ذلك لمن خلق الارض وما فيها كانه قال كذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان وقيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يرتبط بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالجر كاتت الكل الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت بم تتعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الكلمة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد كان الارض خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخابرة بين ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت اربعة ايام سواء فايدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق

ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو منها الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وانتدب اليه ومنه قوله تعالى فاستقموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف لصرفه عزوجل كما يكون عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فابيس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما اراد هما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ايتيا شئتما ذلك او ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض والتصوير ان قدرته في المقدورات لا تغير من غير ان يجشم شيء من الخطاب والجواب ونحو قول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني ورايي المحدد الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتاتي كل واحدة منكما ما جبتها الاتيان الذي اريد وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنضم قراءة من قرا اتيا واتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتواتكل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ولتحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت هو مثل للزوم

تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال لما يقول الجبائي ثم تحت
يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال لمعنى
طائعين او مكرهتين فان قلت ملا قيل لها ائتيا طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى
لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع
والكره قيل لها ائتيا طائعين في موضع طائعات بحو قوله ساجدين فقضيهن بحوز ان يرجع
الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال لها طائعين وبحوز ان يكون
ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والعرف من النصبين ان اجراها على الحال والتمييز
على التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في
آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا
دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع اربعة ايام سواء لم يفهم انهما
كاملان ام ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها
في يومين كاملين وقيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه
اخصر واوضح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من معاضات القرائح ومحاصل الكلام
ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من المتأخر وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب
في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبر من خلق الملائكة والتيارات وغير ذلك اوحاها
وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون
منصوبا على المعنى كانه قال خلقنا المصابيح زينة وحفظا فان اعرضوا بعد ما تتلوا
عليهم من هذه الحجج على جلالته وقدرته فحذرهم ان تعمهم صاعقة اي عذاب
شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من
الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته
فعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا
فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما جلى الله عن الشيطان لانهم
من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لاتيهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول

وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم تكن له فيه حيلة وعن الحسن انذروهم
من وقايع الله فمن قبلهم من الامم وبعدا بالاخرة اذا حذروهم ذلك فقد
جاءهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه من الكفار ومن جهة المستقبل
وما سيجري عليهم وقيل بعناه اذا جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت
الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاءوهم وكيف يخاطبونهم
بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين الى
الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي
او مخففة من الثقيلة اضله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قلنا لكم لا تعبدوا
ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم
به كافرون يعناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به
وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا
امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان
عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من
ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد بذلك الرياسة عقدنا
لك الالوية فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار هن اي بنات
قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه ساكت فلما
فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فما سمع عتبة
على فيه وناشد بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما
نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبوت

فغضب في اقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو
بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب
فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة
وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من
اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل
كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة
في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل
من تمييز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف
بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد
بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال
والقوة الشدة والصلابة والبنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال
الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون
عليه بازدياد قدرهم يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد
المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة الصرصر
العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها
تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء
وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس
او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام
النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب
كانه قال عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه ولعذاب
الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به
الا ترى الى البون بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر قرئ ثمود بالرفع والنصب

والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم
التاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت
اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه كقولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل
البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة
قلت للدلالة على انه مكنهم واراح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل
البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب
وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم
تكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله
عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون
وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل اعداء الله
الكفار من الاولين والآخرين يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم
حتى تلحق بهم توالبهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة
رحمته فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان
يخلوا منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه من ان يكون
وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من
المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها
ثم انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن
الفروج اراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من
المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى
خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم
علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم المعنى

انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك
خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين
بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون
وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان
من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا
مهيمنا حتى يكون في خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا
وتصونا منه مع الملاء ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ
ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم
بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا لم ينفعهم الصبر لم ينفكوا به من الثواء
في النار وان يستعتبوا وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا
مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سئلوا ان
يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني
لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة
قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن
اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر
فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم
وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر
الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب
وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله
ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا يريد فانت في جملة اخرين
فانت في عداد اخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله

محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم
انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقرئ والغوا فيه
بفتح الغين وضمها يقال لغا يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل
تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند
قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على
القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا
فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم
باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة
اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا
يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذي
كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ
محذوف فان قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه ان النار
في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول
الله اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها جزاء
بما كانوا باياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب
اللغو ارنا اللذين اضلانا اي الشيطانين اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان
على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال
الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه
اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه
واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء
في معنى الاعطاء واصله الاحضار ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة
وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون

الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى لم تثبتوا على الاقرار ومقتضياته ومعنى ابى بكر
الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون
فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشد قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى
عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب
وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه ادوا الفرائض وقال سفيان بن
عبد الله الثقفى قلت يا رسول الله اخبرنى بامر اعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت
ما احوف ما تخاف على فاخذ رسول الله بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة
عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلثة مواطن عند الموت وفى القبر واذا قاموا
من قبورهم ان لا تخافوا ان مخففة اى وهى مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء
ضمير الشان وفى قراءة ابن مسعود لا تخافوا اى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق
لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله ان الله
قيله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوا ابدا ولا تخافوا مما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم
كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فلذلك الملائكة اولياء المتقين واحبتاؤهم
فى الدارين تدعون تتمنون النزل الرزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال نزلا
الى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله وعن عايشة رضى الله عنها ما كنا
نشك ان هذه الاية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث فان كون
موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هو الا طبقة العالمين العاملين
من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين لنفس التعرض
لله تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابى
حنيفة رضى الله عنه تريد مذهبه يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما
فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اغتاظتك اغتياظة فادفع بها السيئة
التى تريد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل ساءك اليك اساءة فالحسنة ان

ابن تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتفتدى ولن من يد عدوك فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك
الشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية
التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير ووفق لحظ عظيم من
الخير فان قلت فهلا قيل فاذا فيه بالتى هى احسن قلت هو على تقدير قايل قال
فكيف صنع فعقل الادفع بالتى هى احسن وقيل ادفع بالتى هى احسن وقيل ازيد والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة
فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة قلت اجل ولكن
وضع التى هى احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان
عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس بالتى هى احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل
والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة
وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله فصار وليا مصافيا
النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه
على ما لا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد وان ما ينزغنك نازغ وصفا
للشيطان بالمصدر او للتسويل والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع
بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه الضمير فى خلقهن
لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث فقال الاقلام
برشحها وبريشهن ولما قال ومن اياته كن فى معنى الايات فقيل خلقهن فان قلت
اين موضع السجدة قلت عند الشافعى رحمه الله تعدون وهى رواية مسروق عن عبد
الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابى حنيفة رضى الله عنه يسامون لانها اتمام المعنى
وهى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس
والقمر كالصابئين فى عاداتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لله فنهوا
عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون
وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة

ودعهم وشانهم فان الله عز وعلا سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله
العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة
عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر
فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى
الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو هو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت
بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وقيل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة
وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض يقال
الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله
لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر
قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا
فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من
الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون
قلت ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال
تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه
قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل
ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك
لذو مغفرة ورحمة لانبيائه ذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا
مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم
فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة كانوا
لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض
والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت بلسان تفقهه ءاعجمي وعربي
الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه عربي

عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي
منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن
اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان ايات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا
فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا
فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت
كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع
في انكار المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمي ومكتوب
اليه عربي وذاك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب
اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا
اخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير
ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة
اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء ارشادا الى الحق
وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر
منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في
موضع الجر معطوفا على قوله للذين امنوا على معنى قولك هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان
يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في اذانهم منه
وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله تعالى فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني
انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة
لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم
هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم
ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه

يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وترى من تمرات من اكمامها جمع كم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجفن الطلعة اى وما يخرج شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين وفيه تهكم وتعريض اذناك اعلمناك ما منا من شهيد اى ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم انهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا ان لا يقولوا والمحيص المهرب فان قلت اذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد اذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعاد في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء الخير وان مسه الشر اى الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل ويتكسر اى ينقطع الرجاء من فضل الله ورحمته وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اى هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال برا وهذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما اظن الساعة قايمة

تمامه ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يرتد وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة فعسى امر الآخرة على امر الدنيا وعند بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب في بصرهم على ما اعتقدوا وانهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل جعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة انطرته البغية وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر قبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع قد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفات الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع ونأى على القلب كما قالوا راى في راى فان قلت حقق لي معنى قوله ونأى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشئ وجهته يقال منزلة الشئ نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذيب ويريد ونفيت عنه الذيب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضر فلان مجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى نفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الاعراض والازورار كما قالوا ثني عطفه وثوى بركنيه ارايتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل التدبر واتباع الدليل

امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فيما
انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط
في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق
بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وللخلفاء من بعده ونصار
دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي بارحة العرب خصوصا من
الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة
والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على
ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار
المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة
في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله
واية من اياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين
الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة
الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل
ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر وتضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى
وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه
ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون
عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع
مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من
عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة وقرئ في
مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها و
وظواهرها وبواطنها ولا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم
ومريتهم في لقاء ربهم ٥ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ

قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات ٥ سورة
حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب
يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى
الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى
كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ
واللطف العظيم لعباده من الاولين والاخرين ولم يقل اوحي اليك ولكن على لفظ المضارع
ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما
اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل
الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء
للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن
قرأ توحي بالنون قلت بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم
صفتان بالابتداء والظرف خبر قرئ تكاد بالتاء والياء ويتفطرن ويتفطرن وروى
يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتائين مع النون ونظيرها حرف نادر
روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تشممن ومعناه يكدن يتفطرن من علو شان الله
وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد
السموات يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها
الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة
بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمى فلذلك
قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدي الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر
جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة
التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل

يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز
وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا
لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل
الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا
وقد دل الدليل على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم الملائكة فما اراد الله
الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به
الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة
ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت فقد فسرت
قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما على
احدهما فكانه قيل تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه
والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون
خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من
سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة
الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها
اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون
مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة
ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود
ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار

الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداد الله
حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم
عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض
اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا
اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت
برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة فالكاف
مفعول به لاوحينا قرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قرآن
بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك
قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني
لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني
ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر
بالياء والفعل بالقرآن يوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقرئ يجمع بين كل
عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب
فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق
والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم
مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في دار البؤس والنعيم كما يجتمع الناس
يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق
على معنى مشارفتهم للتفرق لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر
والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في
الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره

الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره
دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى
ولو شاء ربك مشية قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة
فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون
بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا
نصير في عذابه معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى
وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط
مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق
لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء
حكاية قول رسول الله للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين
فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله
وهو اثابة المحققين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي
عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه
وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه
من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من
سنة رسول الله وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا
طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على خلاف المجتهدين في احكام الشريعة
قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع
على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات
وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم

انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام
ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرا
الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان
جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير
في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب
مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير
وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك
تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة قالوا مثلك لا
يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه على ذاته قصدوا المبالغة في ذلك
فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه
فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت
لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه
وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته
والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس
كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فايدتها وكانهما عبارتان
معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان
وان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود
لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل
ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال
وصاليات كلما يوثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وقرئ ويقدر
انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين
دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام
من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي

هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء ويكون وسائر ما يكون
الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها
فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان
اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه
قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة
واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد
يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع
منهم توفيقه ويجدي عليهم لطفه وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من
بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا
كلمة سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيامة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم
ما افترقوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد
رسول الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين
بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما
بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا
للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله
كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل
وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر
شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة
اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح
ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض
كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لا عدل بينكم
في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد

قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان
المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم
لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت
كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل
والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون في الله
يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين
الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود
والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم
واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام
داحضة باطلة زالة انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والسوية ومعنى
انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا
به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم
وغير ذلك الساعة في تاويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان
قلت كيف توفق ذكر اقتراب الساعة انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب
ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والسوية والعمل بالشرائع قبل ان
يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف
المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان
الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها
ولشهادة العقول على انه لا بد من دار جزاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل
بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته
وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت
كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين
العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد

صنف من البر لم يطمع مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف لينزل ذلك الموصوف
بحظ صاحبه فمن قسم له منهم مال يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله
يرزق من يشاء لما يرزق الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها
صاحب الولد وهو القوي القاهر القادر الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب
سمي ما يعمله العامل مما ينبغي به الفائدة والزكاء جزاء على المجاز وفرق من عمل العاملين
بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعف حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي
شيئا منها لا ما يريد ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه ومآله نفيت
قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم
له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه والهمزة
معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم
الشياطين وتعلق الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم
لانهم متخذوها شركاء لله فكانت تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت
سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابرهم صلوات الله انهن
اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او ولولا
العدة بان الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين
وشركائهم وقرا مسلم بن خلد وان الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل بمعنى
ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين
في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ازق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم يريد وبال واقع بهم واصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا كاءة
روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها واثرها عند ربهم منصوب بالظرف او يشاؤن
فيها يبشر من بشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب
الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار لكونه واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى

الى الموصول لكونه هذا الذي يبشر الله رسوله او ذلك التبشير الذي يبشر الله عباده روي
انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض ترون محمدا يسال على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء منقطعا اي لا اسالكم
اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابتهم
كانت صلتهم لا زمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم اجرا قط ولكني
اسالكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت هلا قيل الا مودة
القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى قلت جعلوا نفس
المودة وحقرا لها لعرقها في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريدا جمتهم
وهم مكان حبي ومحله وليست في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى
انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقدير الا المودة
ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد
في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا
مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى
رسول الله صلى الله عليه حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من
يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وارواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذرياتنا
خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني
في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه
عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا
فقال عباس او ابن عباس فرض لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فاتاهم
في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول
الله قالوا الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال فلا تجيبوني فقالوا
ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك الم يكذبوك
فصدقناك الم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا

وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله عليه من مات على حب
آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب
آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات
على حب آل محمد بشره ملك بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة
كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان
الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على
حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن
مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين
رسول الله وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني
في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه
ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا
حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تحبوا
الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن
يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله
عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر
المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها
توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي
مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل
على المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا
مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ
الله يختم على قلبك فان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه

عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا
الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني
لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد
ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة
الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه
وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله بانه يمحو الباطل الذي
هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر
على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني
لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق
عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم
فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله
سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه
فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه
وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم
على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن
بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا
هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال
يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية

واذاقه النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
ويعفوا عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
ويعلم ما يفعلون قرئ بالتاء والياء اي يعلمه فيثيبه على حسناته ويعاقب على
سيئاته ويستجيب الذين امنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم
اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاءهم
واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة
اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم
يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه
دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا لبغوا
من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى
بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها
ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني روحان تبعا وشوحطا يعني
انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ اي لتكبروا في الارض
وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة
تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا ننظر الى
اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها ينزل بقدر بتقدير يقال قدره
قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب
الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط وكما يوجبه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم
على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط
لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم قلت لا شبهة
في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على
البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الان

الان قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما
يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال
مطروا اذن اراد هذه الاية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي
الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد
المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا يحمل على
المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها
قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم
شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او فضيلة من فضائلهم وبنو
فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا
بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها
مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق اذا يدخل
على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء وقال
الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها اخر الليل ناشطا مذعورا في مصاحف اهل العراق فبما
كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير
فاء على ان ما مبتداة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والاية مخصوصة
بالمجرمين ولا تمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا
جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض
الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة
حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من
الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا الله عنه مولاه اكثر كان قليل النظر
في احسان ربه اليه وعن اخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته
في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله مطهر

عبده بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في
اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الاخرة
ومن عوقب عنه في الدنيا لم يثن عليه العقوبة في الاخرة وعنه رضي الله عنه هذه
ارجى اية للمؤمنين في القرآن بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب من ولي
من متول بالرحمة الجواري السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء
كانه علم في راسه نار وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل
نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر لكل صبار
على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي
وكل همته بالنظر في ايات الله فهو يستملي منها العبر يوبقهن يهلكهن والمعنى انه
ان يشاء يبتل المسافرين في البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري
على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا
بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن
قلت على يسكن لان المعنى ان يشاء يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن
بعصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه
او ان يشاء يهلك ناسا ويبح ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرا ويعفو
قلت قد استانف الكلام فان قلت فما وجوه القراءات الثلث في ويعلم قلت اما
الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على
تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على
التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله
خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب
على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت
واكرمك علي وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه
في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك ضعيف

ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام
ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان
يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا
على ضعفه ولا يجوز ان يحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام
ولا وجهه لو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الايات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى جزم ويعلم قلت كانه قال او ان
يجمع بين ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين من محيص من محيد عن عقابه
ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه
اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطاه
الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على للذين امنوا وكذلك ما بعده ومعنى
كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كثير الاثم وعن ابن عباس كثير الاثم هو الشرك
غضبوهم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم
كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدا واسناد يغفرون اليه لهذه
الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله
عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان امنوا به واطاعوه واقاموا الصلاة
واتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه المدينة
اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون براي حتى
يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر
كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم
ترك رسول الله وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو ان يقتصروا في الانتصار على ما
جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قراها قال كانوا يكرهون
ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فان قلت اهم محمودون على الانتصار قلت
نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي

دم او رد على سفيه مجاماة على عرضه ورد عاله فهو مطبع وكل مطبع محمود كلتا الفعلتين
الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب ان قوبلت الاساءة
ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال جزاك الله قال انت جزاك الله فمن عفا واصلح
بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
فاجره على الله عن مبتهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة
على ان الانتصار لا يكاد يوقع من فتح التجاوز والسوية والاعتداء خصوصا في حال الجرد
والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه
اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم
ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله
بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وقيئ قراءة من قراءة بعد ما ظلم فاولئك
اشارة الى معنى من وجوز لفظة ما عليهم من سبيل للعاتب ولا للعاتب في العايب انما
السبيل على الذين يظلمون الناس بتدئيهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر ووفض امره الى الله ان ذلك منه
لمن عزوم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من فوهم السمن منوان بدرهم ويحكى
ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرض فصفح العرق ثم قام فتلا
هذه الاية فقال الحسن رحمه الله عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو
مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجح ترك العفو مندوبا اليه وذلك
اذا اجتيح الكف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان زينب اسمعت عايشة بحضرته وكان ينتهاها فلا ينتهي فقال لعايشة دونك فانتصري
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد
خذلانه خاشعين متضايلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل قد يتقلق من الذل ينظرون
ويوقف على خاشعين من طرف خفي اي ينتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم

لاجفانهم ضعيف خفي مسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى
المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملاء عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحبات
وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف
يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال
اي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد له اي لا يرده الله
بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير
المنكر اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في
صحايف اعمالكم اراد بالانسان الجنس لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين
لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة
والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران
ولم يقل فانه كفور ليشمل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم
كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويقنطها لما ذكر
اذا مسه الانسان الرحمة واصابتهم بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة
والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما يقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث
وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل آخرين فلا يهبهم ولدا قط فان قيل
لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد
ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الاية وكفران الانسان بنسيانه الرحمة
السابقة عند ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان
سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من
جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب
تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما آخرهم لذلك تدارك خبرهم وهم احقاء بالتقدم
سعوا بهم لان التعريف تنوية وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام
المذكورين الذين لا يحمون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير

وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقديمهن ولكن لمقتض اخر فقال ذكرانا واناثا لما قال انا
خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا
وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم لمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان
لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام
والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في
ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص
واوحى الي الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجل اي الهمني وقذف في
قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه
لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه
وهو من وراء الحجرات فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة
واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل
وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء
على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا
ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح
ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا
موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا
خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسل
بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله
او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي
وعطف يرسل عليه وما معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل
فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو ان يسمع من وراء حجاب
وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في

في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي عليه السلام الا تكلم الله وتنظر اليه ان
ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر
موسى الى الله فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم
على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول قلت هذه الاية انه علي عن صفات
المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير
واسطة اما الهاما واما خطابا روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون
به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه ما كان
يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا
وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطيهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا
معصومين من ارتكاب الكباير ومن الصغاير التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف
لا يعصمون من الكفر قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها
الطريق اليه السمع فيعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى
كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلاة
لانها بعض ما يتناوله الايمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا
هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعوا عن رسول
صلى الله عليه من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له
سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي
تسع وثمانون اية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرانا عربيا جوابا للقسم
وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره
قوله ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم
واساليبهم وقيل الواضح للمدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة
وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى

مفعولين او بمعنى خلقناه مؤدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا
عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه
عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ ام الكتاب
بالكسر وهي اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي
اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ على رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من
بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندها منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت
في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ويدود عنكم
على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب
غرائب الابل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر
على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه
وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على
معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب
من قولهم نظرا اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب
على الظرف كما تقول صفحه جانبا وامش جانبا ويعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي
هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال
اي صافحين معرضين ان كنتم لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم فان قلت كيف
استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرطية
الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المحقق لثبوته كما تقول الاجير ان كنت عملت
لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل
من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وما يأتيهم حكاية حال ماضية
مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه الضمير في
اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله تخبره عنهم ومضى

مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي
حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم فان قلت قوله ليقولن
خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله
فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه قلت هو من
قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت
لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد
والعباد ولم يكن طوفانا والازواج الاصناف ما تركبون اي تركبونه فان قلت يقال
ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب
المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور
ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم
معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى
الله عليه انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال
الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل
ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم
وعن الحسين بن علي رضي الله عنه انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا
هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد
فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها
جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف
الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانة مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء
اذا اطاقه قال ابن هرمة واقرنت ما جملتني ولقل ما يطاق احتمال الضد يا دعد
والهجر وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة
للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا تقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى
واحد فان قلت كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون قلت كم من ركب

دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة
انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب
التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله
به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع
ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من
ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله
من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين
مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور
الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون
الا اوامره ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة
شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين
فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب
الجنازة **وجعلوا له من عباده جزءا** متصل بقوله ولئن سألتهم عن خالق السموات
والارض ليعترفن وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده فوصفوه بصفات المخلوقين
ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه
كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء
ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث
منحول ولم يقنعهم ذلك حتى استقوا منه اجزاء المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزاءه
جمدة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزية وقرئ جزءا بضمتين **لكفور مبين**
لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله **ام اتخذ**
بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا
لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور
على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وادوهن

وادوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون
من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له
وترك شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما
ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور **بما ضرب للرحمن مثلا**
بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله
من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس
ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بيت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا
وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة
فقالت ما لابي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا ... غضبان ان لا نلد البنينا ... والظلول
ليس لنا من امرنا ما شئنا ... وانما نأخذ ما اعطينا ... والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر
الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه
مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة
المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج
الى مجاثاة الخصوم ومحاداة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحج
به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قل ما
تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشء
في الزينة والنعومة من المعائب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب
ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا
واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها بباطن بلباس التقوى وقرئ
ينشأ وينشأ ويناشأ ونظيره المناشأة بمعنى الانشاء المعالاة بمعنى الاعلاء قد جمعوا
في كفره ثلث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه
من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد
الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا

جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ اشهدوا واأشهدوا بهمزتين مفتوحة
ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم
الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر
يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة سنكتب شهادتهم
التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب
بالياء والنون شهادتهم وشهاداتهم ويسألون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة
من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة فان قلت ما انكرت
على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل
على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على
سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم
بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي
الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها
على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين وتشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل
هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه
كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب
لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم
بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق
عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم الضمير

الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة
الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم قبل هذا الكتاب نسبنا
فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا
على امة على دين وقرئ امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة
التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الام
وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبران او الظرف
صلة لمهتدون قال مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا
الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قرئ قل وقال وجئتكم
وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا
انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتناه بما هو اهدى واهدى قرئ
براء بفتح الياء وضمها وبرئ فبرئ وبرآء نحو كرام وكرام وبراء مصدر
كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال
نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على
انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا
بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت
كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من جهتين احدهما ان ذات الله مخالفة
لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود
بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان يكون الا صفة
بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي
فطرني فهو نظير قوله ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله
سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع
بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان مع استمرار الهداية في الحال

والاستقبال وجعلها وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد تكلم بها وهي
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال
فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد
منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف
وفي عقبه كذلك وفي عاقبة اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء يعني اهل
مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا
بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به
وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان
قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء قلت كان الله اعترض على ذاته في قوله وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك في تغييرهم لانه اذا متعهم بزيادة
النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان
لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على
نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وعرضه بهذا الكلام توبيخ
المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقه هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو
سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم
لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاءوا بما هو شر
من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضمنوا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته
والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة
الله في تخيير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم

عظيم وهي الغاية في تسوية صورة امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين
من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة والطائف
وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير
الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة عبد ياليل وعن قتادة الوليد
بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا
القرآن علي او على بني مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون
ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم تكونوا الا رجالا
من اهل القرى جاءوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن
ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا
وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة
للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين
لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا
يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن
تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم
معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم
في اسباب العيش وعاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج
وموالي وخدما لينصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم
ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر
المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي
هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم
الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه
من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم

ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم
الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه
ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان
يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها
رزق الله واذا لم يسلكها تناولها وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع
ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه
الله الى ما لم يشرعه ولبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان تكونا بمنزلة
اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف
وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع
سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج
جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها فما استطاعوا ان يظهروا وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي
التضعيف لما متاع الحياة الدنيا اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ
بكسر اللام اي للذي هو متاع الحياة كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية
وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك لما قال خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر
قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولو كراهة ان يجتمعوا على الكفر
ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا
وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة
ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب
عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه ولو وزنت عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي
كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم وتهالكهم عليها فهلا
وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي

تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين
فكانت الحكمة فيما دبر جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى قرئ ومن يعش
بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر
نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان
من غير عرج قال الحطيئة متى تاته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف
بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشوا اذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارت الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق
هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله
صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل
ويتعامى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين
الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن
ويقيض له شيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان
من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير
واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له
ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما
قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من
المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين اضاف البعد اليهما انكم في محل الرفع
على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب
اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم
به من العذاب ما لا يبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى
ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون
تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم
مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو

بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء
أعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه
فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا
لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من اليوم ونظيره إذا ما
انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه يجد ويجتهد
ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا
في الغي فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله إن الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها
إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي
صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة كقوله أو نتوفينك
فإلينا يرجعون وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل
بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة
في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون
الخفيفة وقرئ بالذي أوحي إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا
لك الظفر والغلبة أو أخرناه إلى اليوم الآخر متمسكا بما أوحينا وبالعمل به فإنه الصراط
المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله
ولا يحرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاء في أمرك ولكن كما يفعل الثابت
الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وإنه وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف
لك ولقومك ولسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم
وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة
السؤال لإحاطته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن ملكهم هل جاءت عبادة
الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز

المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر
حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال
والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها
إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه جمع له الأنبياء ليلة
الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل لهم سلهم فلم يشكك ولم يشاك وقيل معناه
سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب
الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه
وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا
وإذا للمفاجأة فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة
معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم
فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في
الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان
المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة
كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قرنتهم
رجلا رجلا فإن قلت فهو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر
من كل واحدة منها فيكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت
الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة
في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير أن تختلف
آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم
فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها
فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت

سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها
ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم الافضل
كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها لعلهم يرجعون اراد ان يرجعوا عن الكفر الى
الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره
به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد
وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن وانما لم يكن الرجوع لان الارادة
لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك
قرئ ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر مع
قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعيد منوي اخلافه وعهد معزوم
على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون
وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك
من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو
الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه
جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى
فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده
عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكانه نودي به
بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك
ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره
لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر
وتجري نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة
لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتفعت الى دعوى الربوبية همة
من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر

مصر واوقاتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء
مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها
الخصيب وكان على وضوء وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها
ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله
لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هذه متصلة لان المعنى افلا
تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله ام خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت
خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على
بل اانا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم
من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال اانا خير
كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين اي
ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس
معه من العدد والات والملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت
به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه
القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق
من ذهب مقترنين اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا
بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله
عليه وسلامه فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه
ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساور جمع اسورة
واساوير وقرئ القي عليه جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من يا اساور
وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه
فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفز من
قولهم للخفيف فز اسفونا انتقمنا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه
الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي

وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرئ
سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا
جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشأن
سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون لما قرأ رسول الله صلى الله
عليه على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا
شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه
السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى
بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد
والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا
وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم ونزلت هذه الآية
والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه
بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وصحيح
فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه بجدله كما يرتفع
لغط القوم ولجبهم اذا تعبوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون بالضم
فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان
آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما
ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين
الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله قوما لدا
وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون به ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه
السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة
الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا

محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للجبلة مساغا
فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب
المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك وتوقر رسول الله حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير
العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى
لانهم عبدوا آدميا نحن ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير ام هو على هذا القول
تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما
قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة
الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا
ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد
محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه
وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر
عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل
فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا
اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم
شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا
عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا
آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء
لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا
تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات
القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى لعلم للساعة اي شرط من اشراطها

تعلم به فسمّى الشرط علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس لعالم وهو العلامة وقرئ للعلم
وقرا ابيّ لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمّى ما تعلم به علما وفي الحديث ان عيسى
عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه
دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام
يؤمهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل
الخنازير ويكسر الصلبان ويحرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن
الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها فلا تمترن
بها من المرية وهي الشك واتبعوني واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقل هذا امر
لرسول الله ان يقوله هذا صراط اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في
وانه للقرآن عدو مبين فلما بانت عداوته لكم اذا خرج ابوكم من الجنة ونزع عنه
النور بالبينات بالمعجزات او باليات الانجيل والشرايع البينات الواضحات بالحكمة
يعني الانجيل والشرايع فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت
كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما لا يعنيهم من امر دينهم الاجراب
والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم الاجراب
الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب
فان قلت من اين رجع الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم
بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان
الساعة فان قلت ما ادى قوله بغتة من معنى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه
قلت لا ان معنى قوله وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله
تاخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تاتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب
بعدائ ستقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتحابين وغير ذات الله وتنقلب عداوة
ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا
ثواب التحاب في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء

السوء وقيل نزلت في امية بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عبادي حكاية لما ينادى
به المتقون المتحابون في الله يوميذ والذين امنوا منصوب المحل صفة لعبادي كانه
منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا
عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم تتبعها الذين امنوا فيياس الناس منها غير المسلمين
وقرئ يا عباد لا خوف بالرفع لا تنون لا خوف شر ورا ينظهر جبانه اي اثر على وجوههم كقوله
تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والجنة
المبالغة فيما وصف بجميل والكوب الكوز لا عروة له وفيها العصير للجنة وقرئ
تشتهيه وتستلذه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما
مستلذة في العيون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدا والجنة خبرها والتي
اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها
خبر المبتدا او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في
الظروف التي تقع اخبارا او بنفس الموصول على الوجه الاول تعلق تاء ورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها
بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها
واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرا عريانا من
ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها
مثلاها لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا
وتقصر حبسها والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الفحام تجعل المجرم
في تابوت من نار ثم يرمى عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى منه فصل عذاب البصريين
عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وقرا علي وابن مسعود يا مال بحذف الكاف
للترخيم كقول القائل والجن يا مال عيرنا تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرا
ونادوا يا مال فقال شغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يستطيعون
بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع

كما يقال يا جار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكز موسى فقضى عليه والمعنى ل
ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قالوا ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم مالا بلاس قلت
تلك اذمنة متطاولة واحقاب ممتدة فيختلف فيهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة البلاء
عليهم وعليهم انهم لا يفرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما هم ماكثون لا بثون وفيه استهزاء
والمراد خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه يلقى على
اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ل
ليقض علينا ربك لقد جيناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جيتكم
ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله
بذلك كارهون لا يتلونه وينفرون منه ويثمرون ان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب
ام ابرموا مكرا امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدنا لما ابرموا
كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون
في امر رسول الله فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه
او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم على نحو سمعهما وتطلع عليهما ورسلنا
يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه
وابداها للذي لا تخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات
النفاق فان قلت ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح تردونه وبحجة واضحة
تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى الطاعة والانقياد له كما يعظم
الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة
في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه
بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال لذهاب
امكان المعلق بها محالا مثلها يقصد في ضرب اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما الى انقلاب
الوجود وانواها ونظير ان يقول الرجل للجبار ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا
عليه عذابا سرمدا فانا اول من تعذبه هو شيطن وليس بآله فمعنى هذا الكلام وما وضع

وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه
ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على بهاجة المذهب وضلالة الرأ
اليه والشهادة القاطعة بجالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار
والاستمزاء من ان يكابه وبحر هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له ام والله
لا بد لك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت انه لك ايك ما عمدت اليها غيرك وقد يجعل الناشئ عما
اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف الملي بالنكت والفوايد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ
وجوهه فيقال ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة
الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد
اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد
فانا اول من قال بذلك وعبد وجحد وروي ان النضر بن الحارث قضى قال ان الملايكة
بنات الله فنزلت فقال النضر الآن ان له قد تصدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن
قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو ثم نزه
ذاته عما هو صفة بريوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسا
ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره ورد هم في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى
يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واغلام لرسول الله
انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ذلك دعوتهم كل صعب وذلول خذلانا لهم
وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء والعاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك
يعلق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو جواد في طيء وحاتم في تغلب على تضمين معنى
الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طيء جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله
وفي الارض الله كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحوه لئلا والراجح الى الموصول محذوف لطول
الكلام كقولهم ما انا بالذي قايل لك شيا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل
ان يكون في السماء صلة الذي وآله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه
في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض

ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك
آلهتهم الذين يدعون من دون ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم
عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص
هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون
من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قرئ بالمحركات
الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا
وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة
على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في
المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى
من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله
وامانة الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله
يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم يائسا
عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد
من الله وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب ٥

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون اية وقيل
تسع وخمسون ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء
المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن
والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة
البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها

تسميتها ليلة البراءة كذلك الله عز وعلا يكتب والصك ان البيدار اذا استوفى الخراج من اهله
كتب لهم البراءة كذلك الله عز وعلا يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة
بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العباد فيها قال رسول الله صلى الله عليه من صلى في هذه الليلة
مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار
وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة
قال عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة
قال عليه السلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مساحن
او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنى وما اعطي فيها رسول الله من تمام الشفاعة وذلك
انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي
الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة
الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة
ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل
الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وليلة القدر
في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل
جملة واحدة من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر
وكان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها
يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما
جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه الانذار والتحذير من
العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة
مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي تتعلق بها منافع
العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى
يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امرهم منها الى الاخرى
القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة

القدر وندفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذلك الزلازل و
الصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة
المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق
مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل
ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون كل امر
حكيم كل شأن ذي حكمة اي مفعول على ما يقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان
الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرنا من عندنا نصب على
الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه
فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا
وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي
هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه
فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي
انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل
فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك ثم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا
كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال
الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا
ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال لما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل
له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل
رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من
جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة
فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد
بن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ الحسن رحمة
من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له انه هو السميع العليم

العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب السموات
وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم
موقنين قلت كانوا يقولون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل
وانزال الكتب رحمة من ربك الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون
به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان
كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه ان بلغك حديثه
وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير
صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل هو مخلوط بهزء ولعب يوم تأتي السماء
مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان
فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة
يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه
اول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى
المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله الآية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم
والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة
يقول انه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم
فليقل الله فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا
لما استعصت على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين
السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم

ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه
دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب الى
قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل المضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي
قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف
يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم
ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله من الآيات
والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان
عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا
يلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع الابتهال فان قلت كيف يستقيم على قول
من جعل الدخان قبل القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان
تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون
ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيامة كقوله فاذا هم جاءت الطامة الكبرى
انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك اليوم فان قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه
انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان يحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء
وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل
البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد
للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك
سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا
الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه
لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء
الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله

الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم الشأن والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول
به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي لقوله ارسل معناه بني اسرائيل ولا تعذبهم
ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول
دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه
ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة
برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجموني ان تقتلون
وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو
غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا مولاة
بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي
ولا تتعرضوا لي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاجلكم هذا ان هؤلاء بان هؤلاء
اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم
مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرئ بقطع الهمزة
من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون
جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل
فقد دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين الرهو
فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على
الاعجاز تتكل اي مشيا ساكنا على هينة اراد موسى لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق
كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون
الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه
الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا
فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند
وقرئ بالفتح بمعنى انهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل

المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف
منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر
كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستخرين
مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل
خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه فما بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت
له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه
الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية
ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل
والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه
من بكاء مصلى المؤمن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي
ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم
فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا
بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت
هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا من فرعون بدل من
العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون
المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون
تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس
من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه
من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا
رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا
في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا الضمير في اخترناهم
لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز
ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين

العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الآيات نحو فلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله
في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار
ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش
فان قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حيوتنا الاولى
وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا
موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا
الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة
كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان
تعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة
من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله الا حياتنا
الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا
يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا
لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن
كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون هو تبع الحميري
كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذي ملك برا
وبحرا وعن النبي صلى الله عليه لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما
ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبر بن ناحية حمير
هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا

لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله الكفار كم خير من اولئكم بعد الذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الحسنين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرأ سيقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولى كائنا ما كان شيئا من الاغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الاجمال والشياع كل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينصب على الاستثناء انه هو العزيز لا يضيق منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه قرئ ان شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرت بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل ان شجرت الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون الزبد والتمر التمر فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرت الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الاثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا كان يطعم اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال الكلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مودية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد لها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز ببلاغته وغرابة نظمه واساليبه من لطايف المعاني والاغراض ما لا يستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رضي الله عنه يجهل ذلك فلم يكن ذلك منه عن بحقق وتبصر وروي عن ابن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذايب الفضة والنحاس والكاف في محل نصب بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه

يقال للرجل خذه فاعتلّه فعتلوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي قرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صلب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكروا العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب تقول ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعل بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن رضي الله عنه انه قرأ به على المنبر ان هذا العذاب ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامن من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخاين فوصف به المكان استعارة لامن المكان المخيف كما يحمون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل استبرق ما رق من الديباج والاكثر ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي السين لغط عجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجراءه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك ابنا هم وزوجناهم وقرئ بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين ان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بيض عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها

في المستقبل هو من باب التغليب او الحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى بستقيم ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها وقرئ وقوفهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا بمعنى
كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اى ذلك فضل فانما يسرناه
بلسانك فذلكه للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اى سهلناه حيث
انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما
يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قراهم الدخان في ليلة اضبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من
قراهم التي تذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اضبح مغفورا له سورة الحاثية مكية وهي
سبع وثلثون آية وقيل ثنتان بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره
تنزيل حم تنزيل الكتاب من الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ
والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث على الخلق المضاف الى الضمير المضاف الى الله
قلت على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور فقبح العطف عليه استقبحوا
ان تقال مررت بك وزيد امس وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان الكرهوا ان يعولوا مررت
بك انت وزيد قرئ ايات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا
في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت
فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اذا رفعت الواو ومعناهما فعلت الجر في واختلاف الليل والنهار
والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي علامة الرفع في آيات الجر وواختلاف
وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش
شديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكرها في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود
والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على

على التكرير وزيفهما بارهي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما
بث من دابة آية وقرئ تصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات
والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا
فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر
الارض من صنوف الحيوان ازداد وا ايمانا وايقنوا واتضح عندهم اللبس فاذا نظروا في
سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار وتنزل الامطار وحياة
الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عملوا واتضح
علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة
اى تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اى متلوة عليك بالحق والعامل ما دل
عليه تلك من معنى الاشارة ويجوز هذا ابعلى شيخا وقرئ نتلوها بالياء بعد الله وآياته اى بعد
آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد
حديث الله وهو كتابه كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء
الاثيم الكذاب الاثيم المتباعد من اقتراف الآثام يصر يقيم على كفره ويديم عليه واصله
من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينجي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات
والاذعان لما تنطق به من الحق منزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث
وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والاية عامة
فيمن كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت لمعناه في قوله
القايل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقته بان يتجوز ايتها
بنفسه وبطلب القرار بشهادتها وامارياراها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فجعل
ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد مارآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع
وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق متى تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول
اصراره على الضلالة بعدها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها
والضمير ضمير الشان كما في قوله كان طبيه تعطوا الى ناصح السلم ومحل الجملة النصب

على الحال اى يصر مثل غير السامع واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اى اتخذ الايات
هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها
الله على محمد صلى الله عليه خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه
ويحتمل واذا علم من اياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به
على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى
قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون حصب جهنم انتم ومغالطته رسول الله وقوله
خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية نفسي بشيء من
الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك اشارة
الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام
قال اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ارجف كالنسر ومنه قوله عز وجل
من ورائهم اى من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون
الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم
هي القرآن اى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وانما
رجل والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة او
بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فان قلت
ما معنى في قوله جميعا وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى
انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته
وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا
منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس منة
وقرا سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه
خبر مبتدا محذوف اى ذلك او هو منه حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل
لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع

بوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين
ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها في عمر رضي
الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي
عمر بن الخطاب فقرا قارئ هذه الاية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع لنجزي تعليل للامر
بالمغفرة اى انما امروا بان يغفروا بما اراد الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة
فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف قلت هو
مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل لنجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم
على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون
من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي
بصبره واحتماله وقوله لرسول الله عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في
وجهي وقرئ ليجزي قوما اى الله عز وجل وليجزي قوم وليجزي قوما على معنى وليجزي
الجزاء قوما الكتاب التوراة والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس
لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم
على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما اتيناهم بينات ايات ومعجزات من
الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال
الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اى لعداوة وحسد على شريعة
على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا
تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش
حين قالوا ارجع الى دين اباءك ولا توالهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون
فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس
جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة
وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن وايقن وقرئ هذه بصائر اى هذه
الايات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب

ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل
المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم
ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك
لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان شديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق
ومن قرا سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية
وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين
كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي
المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هولاء
على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هولاء على البشرى
بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول
الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان
المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل
سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء
وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري
رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد
الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل
ليت شعري من اي الفريقين انت ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او
على معلل محذوف تقديره وخلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل
نفس اي هو مطواع لهوى الناس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل
الاهه وقرئ الهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن رفضه
اليه فكانه اتخذ هواه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على
علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه
ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة

والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالفتح
والكسر وقرئ تتذكرون نموت ونحيا اولادنا او نموت بعض ونحيا بعض او نكون مواتا نطفا
في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا
والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون
ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك
الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث
الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا
فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر قرئ حجتهم بالنصب والرفع على
تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا
به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم
وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان
حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل
الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا
الرسول وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو
الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا
واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا
على الاتيان بابائهم وكان اهون شيء عليه عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل
من يوم تقوم كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد
استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية
مجتمعة وعن قتادة من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى
جهنم قرئ كل على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحائف اعمالها
فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون
محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة

تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته
اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده **ينطق عليكم** يشهد عليكم
بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان **انا كنا نستنسخ** الملائكة ما كنتم تعملون اي
نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال
لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها
ما الساعة اي شيء الساعة **فان قلت** ما معنى ان نظن الا ظنا **قلت** اصله نظن ظنا
ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستفهام ليفاد اثبات الظن
مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين سيئات
ما عملوا اي قبائح اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننسيكم نتركم
في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير
المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا
فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم **قلت** كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل
والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء
ولا يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه **فلله الحمد** فاحمدوا الله الذي
هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب
الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات
والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه من قراحم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم الحساب **سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل خمس**

بسم الله الرحمن الرحيم الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى تنتهي اليه وهو يوم القيامة
والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون
لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن

عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني
ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله
الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم
عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم
الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم
ذاهب وقرئ اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم
وقرئ اثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة
فاما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر
كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم
ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل
بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم
ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم
اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة
وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي
العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد
كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب
وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم
بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات
مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا
والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضميرين للتسجيل
عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه
من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا

امر من في البطلان لا شبهة فيه ام تقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه وهمزة ام الانكار والتعجيب كانه قيل ادع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يفعل الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله ممن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله عليه السلام ما املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا اتارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ويثيبني ويعذبكم بالعلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم مرغب بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وامنوا او اشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا يملكون قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنفيح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله فما تغنون عني انتم المنصوبون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الايات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد جاء موسى صلوات

الله عليه وسلامه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادري انه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي وبكم من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اتترك بمكة ام او من بالخروج الى ارض قد رفعت لنا ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي لا يفعل الله عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيز صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف خلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحى الي الله عز وجل جواب الشرط محذوف تقديره ان كانا القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المستطر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا

وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من
ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد
بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله
بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله
في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه
قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند
الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو
الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به وكذلك الواو الاخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد
فقد عطفت جملة قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة
قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت
عليك واعرضت لم تتفق في انك اخذت ضمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني
ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول
مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد
جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل
على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه
فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة
قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود
فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم
وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقونا اليه رعاء
البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى تفتر ثم يقول لولا اني فترت

فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعوا اليه محمد حقا ما سبقتنا
اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت
لا بد من عامل في الظرف في قوله اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم
ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المعنى والاستقبال فما وجه هذا الكلام
قلت العامل اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا وقولهم حينئذ
الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر
صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار
ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم
كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه
وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى
على واتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما
يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى
او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا
حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة
ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول
وقرئ لتنذر بالتاء والياء وليتنذر من نذر اذا حذر ظلموا وبشرى في محل النصب معطوف
على محل لينذر لانه مفعول له وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما
واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه
على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة
حمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع
اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل
ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان
قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان

الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال
كل حي مستكمل لعدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فايدة وهي الدلالة على الرضاع
التام المنتهي بالفصال ووقته وقرى حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل
ويستوفي السن يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح
الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته
الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر
عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما
نعمة وقيل عليه في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح
لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي
الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يخرج في عراقيبها يصلي من المسلمين من المخلصين
وقرى يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقريا بالنون فان قلت
ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد
اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى
كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز
وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة
وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من
المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال مبتدا
خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القايل ذلك القول ولذلك
وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة
هو بعث عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه
وقد دعاه ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فاقف بهما وقال ابعثوا الي
جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول محمد ويشهد
لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القايلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول

القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عايشة رضي
الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد
قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس
هو الذي قال الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة فغضبت وقالت
والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت
فضض من لعنة الله وقرى اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين
وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع
واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرى اتعدانني بنونين
واتعداني باحدهما واتعداني بالادغام وقد قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل
اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن
طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرى اخرج وقد خلت القرون من قبلي
يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام
لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرى ان بالفتح على معنى آمن بان وعد الله حق ولكل
من الجنسين المذكورين ولكل درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا
من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة
درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين
وليوفيهم وقرى بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم
اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم
بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها
ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض
عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم

طيباتكم اى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه فى دنياكم وقلة هممتم به
واخذتموه فلم يبق لكم منها شيء آخر حظكم شيء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت
الدعوت بصلايق وصناب وكراكد واسنمة ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم
فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت طيبكم طعاما واحسنكم
لباسا ولكنى استبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه انه دخل على اهل الصفة وهم
يرقعون بواريهم بالادم ما يحدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو
احدكم فى حلة ويروح فى اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته
كما تستر الكعبة قالوا بل نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرى اذهبتم بهمزة
الاستفهام واذهبتم بالف بين همزتين الهون الهوان وقرى عذاب الهون وقرى
تشقون بضم السين وكسرها الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر
جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرى من
بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله
انى اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده
كلهم ينذرون بنحو انذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه بعثت الرسل الذين بعثوا قبله
والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت
وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولكان تجعل وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه
اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه وهم
ان لا تعبدوا ويكون المعنى عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن
تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم الافك الصرف يقال افكه عن رأيه عن الهتنا عن عبادتها
تؤفكنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت صادقا فى وعدك فان قلت من اين طابق
قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال

استعجالهم بالعذاب الاترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندى بالوقت
الذى يكون فيه تعذيبكم جملة وصوابا انما علم ذلك عند الله فليس اذ عوا بان يأتيكم بعذابه
فى وقت عاجل يقترحونه انكم ومعنى ابلغكم ما ارسلت به وقرى ما لتخفيف الذى
هو تأنى وشرطى ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يوجب سخط
سخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل ينبغى ان يكونوا مستدين لا
متهمين وانا ساتلين غير مادين لهم فيه فلما رأوه فى الضمير وخفان يرجع الهاء نونا
وان يكون مبهما فسره بقوله عارضا امتميزا وامتا حالا وهذا الوجه اعرب
واقصح والعارض السحاب الذى يعرض فى افق من السماء ومثله الحيتى والعنان من حيا
وعنا اذا عرض واضافة مستقبل وممطر وادية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان
الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو القول فيه مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل
عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرى قل بل هو ما استعجلتم به هى ريح اى قال الله قل تدمر
كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرى تدمر
كل شيء من دمرته تمارا ذا هلاكا ترى الخطاب للرائى من كان وقرى لا ترى على البناء
للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهى عن الحس لا ترى بقايا ولا اشياء
الا مساكنهم ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية
وقرى لا ترى الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم وروى ان الريح كانت تحمل الفسطاط
والظعينة فترفعهما فى الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل قال من ابصر العذاب امرأة منهم
قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى اول ما عرفوا به انه عذاب انها رأوا
ما كان فى الصحراء من مواشيهم تطيرهم الريح بين السماء والارض فدخلوا
بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاجاف
فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم
فى البحر وروى ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا فى حقب عين
تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على

الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة
وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما
ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة قام وقعد وجا
وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان تكون مثل قوم
عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت ما فايدة اضافة الرب الى الريح قلت
الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه
واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ان نافية
اي فيما ما مكناكم الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع
ومثله متجنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد
اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة
لفظ التنزيل فقال لعمرك ان ما بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده
الاخفش يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب وتؤول بانا مكناهم
فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير اية في القران هم احسن اثاثا ورئيا كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار من شيء
اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه فان قلت بم انتصب اذ كانوا يجحدون قلت بقوله
فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستوا مؤدى التعليل والظرف في قولك
ضربته لاساته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساته فانما ضربته
فيه لوجود اساته الا ان اذ وحيث غلبتا دون ساير الظروف في ذلك ما حولكم يا
اهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد اهل القرى ولذلك
قال لعلهم يرجعون القربان ما تقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم
الى الله حيث قالوا هولاء شفعاونا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف
والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه
لفساد المعنى وقرى قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا

ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم وضلالهم
عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة شركهم وافترايهم
على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرى افكهم والافك والافك كالحذر وقرى وذلك
افكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرى افكهم على
التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وافكهم اي قولهم الافك ذو الافك
كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك
واذ صرفنا اليك نفرا املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرى صرفنا بالتشديد لانهم جماعة
والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان ها هنا احد
من انفارنا فلما حضروه الضمير للقران اي فلما كان بمسمع منهم او لرسول الله صلى الله عليه
ويعضده قراءة من قرا فلما قضي اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض
انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له روي ان الجن كانت تسترق
السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة
نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة
ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وهو قايم في جوف الليل يصلي
او في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند مصرفه من الطايف حين خرج اليهم
يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير
رحمه الله ما قرا رسول الله على الجن ولا راهم وانما كان يتلوا في صلاته فمروا به فوقفوا
مستمعين وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر
الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرا على الجن
الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة
الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج
منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول

الله هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستفرى ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين
وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك فان قلت كيف قالوا
من بعد موسى قلت عن عطاء انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت
بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لان من
الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه
فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو
رضي الله عنه والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض
اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاه سابق ونحوه قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض
ولن نعجزه هربا بخلقهن بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما
دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما
ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة
على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه
ومنه افعيينا بالخلق الاول اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب
الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم
على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين اولوا العزم اولوا الجد والثبات
والصبر ومن يجوز ان يكون للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده واسحق على
الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب
على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها وقال الله
تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان يكون للبيان
فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله

بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى
يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة وهذا
تبليغ من الرسول فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بمواجبه ويدل على معنى التبليغ
قراءة من قرا بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر
اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى
الله عليه من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا ٥

سورة محمد صلى الله عليه مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة
القتال وهي تسع وثلثون آية وقيل ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي
الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون
الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد
منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم
ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة
من الابل التي هي مضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم
مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة
الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول
الله والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين آمنوا قال
مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله
وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما
لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي
قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ
لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم
سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها

وتوبتهم واصلح بالهم اى حالهم وشانهم بالتوفيق فى امور الدين وبالتسليط على الدنيا
بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك مبتدا وما بعده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال
احد الفريقين وتكفير سيئات الثانى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز
ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور
منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا
الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس
ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت فى ان جعل اتباع الباطل مثلا
لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او فى ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير
السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول
وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التى فيه
وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها
من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب
ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن
القتل وان صرف غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا فى قوله بما كسبت ايديكم على ان فى هذا العبارة
من الغلظة والشدة ما ليس فى لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صوره وهو حز العنق
واطارة العضو الذى هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد فى هذه الغلظة
فى قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من
الشىء الثخين وهو الغليظ واثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا
الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعليهما
مضمرين اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان تمنوا
عليهم فيطلقوهم وبين ان تفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند

عند ابى حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام
ويقولون فى المن والفداء المذكورين فى الاية نزل ذلك فى يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد
ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان
يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من
اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا
عن ابى حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان لا يعودوا حربا
للمسلمين واما الشافعى فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين
وهى القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه
من على ابى عزة الجمحى وعلى اثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله
منسوخ عند اصحاب الراى وقرئ فدا بالقصر مع فتح الفاء اوزار الحرب الاتها
واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما يكن لها بد من حرها فكانها تحملها
وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعنى حتى يترك
اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت
قلت لا تخلوا من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين
عند الشافعى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم
تبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابى حنيفة رضى الله عنه اذا علق
بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك
الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من التاويل ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم
لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف
ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب
العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ
قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم

على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرفها لهم
اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي
اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون
عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عرف
كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة
عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود ان تنصروا دين الله
ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة
الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه
قال اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي
نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال
الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش
والثبوت وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار كرهوا
القران وما انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان
في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمره واهلكه ودمر عليه اهلك عليه
ما يختص والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين
امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز
وعلا سنة الله في الذين خلوا مولى الذين امنوا وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي
الذين امنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم
الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل
فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى
الله عليه قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون
واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض

مناقض لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على انه ربهم ومالك امرهم
واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا
اياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها
ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام وقرئ
وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم
هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك
فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية
كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له وهم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم
وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو
القران المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وقرئ على امن كان على بينة
وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى
النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه
في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة
كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار
وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي
بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري
فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل افرح ان
ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام و
وراثة الذود مع تعريته من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت
اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه
قال نعم مثلي يفرح بمرزية الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم
الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو

خالد وقوله فيها انهار زائد دخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار
ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف هي انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار
وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي
ما صفاتها كصفات النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد
ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العقا قيد من
لبن لم يتغير طعمه كما يتغير ألبان الدنيا ولا يعود فارصا ولا حازرا ولا مما يكره من الطعوم
لذع تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالجر كتات الثلاث فالجر على صفة
الخمر والرفع على صفة انهار والنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا
التلذذ الخالص ليس معه دهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا اقذة من آفات الخمر مصفى
لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وعين ماء حميما قيل اذا ادفأ منهم شوى وجوههم
وانماز ت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس
رسول الله صلى الله عليه فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا
قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا
غاب الناس قيل خرجوا فقالوا ذلك للغلمان وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس
انا منهم وقد سميت فيمن سيأتي قال آنفا وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج
هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا زادهم
الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي
بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين
ان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة بجواز اضمارهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ
ان تأتيهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت
فما جزاء الشرط قلت فقد جاء اشراطها ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم بذكراهم اي تذكرهم
واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يوم يتذكر الانسان
وأنى له الذكرى فان قلت ثم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت يا بيان

لما بيان للساعة اتصال العلة المعلول كقولك ان الكريم ربنا فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط
العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط
اوله تبلد وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وعليهم منها وانشقاق القمر
والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الاكرام
وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر الا هذه ومرة في
عن في عمرو وعلى هذا فوقوفان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة
بفتح الغين من غير تشديد كغراءة الحسن فما تقدم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين
قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه
من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك
والله يعلم اخواكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث
تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حاناتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اقطار الارض
ومثواكم من الجنة والنار ومثله حتى يتقي وحتى ان يستغفر ويسترحم وعن
سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال لم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا
اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعلم قبل العمل وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
الى قوله متاع الغرور وقال اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاطلعوهم
وقال اعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد كما تواعدون الحرص
على الجهاد ويتمنونه باستنانهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت
وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس سورة محكمة بينة غير متشابهة لا
تحمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد
القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قال ان القتال قد
نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المجددة
لانها حين يحدث نزولها ابتنا ولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او بقي غير منسوخ

وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء
للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي
الاقدام نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته
الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب
ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستانف اي طاعة
وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا
طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم
الامر اي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسند الى الامر اسنادا مجازيا
ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على
الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطات قلوبهم فيه السنتهم عسيت وعسيتم
لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون
الضماير وقرا نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على
طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا
في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الا فساد فان قلت كيف يصح هذا في كلام الله
عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان
يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح
من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا
ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم
ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا
وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم لافسادهم وقطعهم الارحام

الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق
الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي
اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم
يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل
وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة
اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه
فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه
وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب
وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهي
اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر الشيطان سول لهم
جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب
العظايم من السول وهو الارخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق
جميعا واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم
وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد
في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فان
قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه من بعد ما تبين لهم الهدى وهو
نعته في التوراة وقيل هم المنافقون الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما
انزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة لئن اخرجتم لنخرجن
معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك القتال معه
وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التضافر على عداوة رسول الله صلى
الله عليه والقعود عن الجهاد معه ومعنى بعض الامر في بعض ما تامرون به او في
بعض الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه

الله عليهم فليف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا
ومضارعا فحذفت احدى تاءيه لقوله انّ الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله
عنه لا يتوفى احد على معصية الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي
الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ورضوانه الايمان برسول الله اضغانهم
احقادهم واحراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين والهارهم على نفاقهم وعداوتهم
لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم لا ريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى
تعرفهم باعيانهم لا تخفون عليك سيماهم بعلاماتهم وهو ان يسمتهم الله بعلامة
يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله بعد هذه الاية شيء من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم
الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق
فان قلت اي فرق بين اللامين في فلعرفنهم ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة
في جواب لو كالتي في لا ريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة
مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما
لنا ان اكلنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان
يكلمك اي تميله اي تحوّل الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد
لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
بالكلام عن الصواب وليلوا اخباركم ما يجري منكم وما يخبر به عن اعمالكم لنعلم حسنها
من قبيحها لانا الخبر على حسب الخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبح وقرا
يعقوب وليلو بسكون الواو على مجرى ونحن نبلوا اخباركم وقرئ ولنبلونكم ونعلم
ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا
فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا وسنبلو اخبارهم التي عملوها في دينهم يرجون
بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنظير وسيحبط اعمالهم
التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى

الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تتمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش
والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا اعمالكم ان لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان يحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب
رسول الله يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا
اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة نحا فوا ان يحبط الكبائر اعمالهم
وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا
ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن شاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من
اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله عبدا لم يحبط عمله
الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة
وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والطاهر
العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما
المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة
لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ لا تدعوا من ادعى
القوم وتداعوا اذا دعوا بحو قولك ارموا العيد وترموه وتدعوا مجزوم للحوله
في حكم النهي او منصوب باضمار ان وبحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى
ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حرمته
وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل
العامل وتحطيل ثوابه بوتر الوالي وتره وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام
من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا
يوتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها
انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه

كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا
من الالحاح واحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على
رسول الله ويضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم
والضمير ما يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب
الاضطغان وقرئ نخرج بالنون وتخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع اضغانكم
هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانوا قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا
في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم
لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم ناس
يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل
على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ظننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك
ولا يدعوا اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم
وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما
غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين
عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع
وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عن القوم وكان
سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا
بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة محمد كان حقا على
الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة وقد
نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ
الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة
الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف

كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من
الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز
كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل
والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب
والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر
به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال
شديد ولكن تراه بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى اذا خلوهم
ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم سألوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا
فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طووها وتمت كان فتحا مبينا
وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه
ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه السلام فقال بئس الكلام
هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم
القضية ويرغبوا اليكم في الايمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت
بالحديبية واصاب رسول الله في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة
الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي
محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية اية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها
حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب
جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل
هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة
والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح
الاسلام الا وهو تحته منشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة
ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة
وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل

ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة
زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا
صاحبه السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم السكون و
الطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة
غب القتال فيزداد يقينا الى يقينهم او انزل الله فيها السكون الى ما جاء به محمد
عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد
عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه التوحيد فلما امنوا
بالله وحده انزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم
او انزل فيها الوقار والعظمة لله ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم
وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض
يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين
بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه
ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم
من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه
فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى
ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين
فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق
بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة الذي يذمونها
ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هما كالكره والكره
والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل
شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به
الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان
حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي

الذي اصابهم مكروه وشدة يصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم او اراد
بكم رحمة شاهدا يشهد على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ليؤمنوا الضمير
للناس ويعزروه ويقووه بالنصرة ويوقروه ويعظموه ويسبحوه من التسبيح او
من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق
الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول
الله ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف
وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا لله بكرة واصيلا
عن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا
على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين
هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان
عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول
فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه
قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر
فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر
مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها
وبما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة
تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم
اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه حين اراد
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى
الله عليه وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب
الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك
فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم

وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم
وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق في طلبهم الاستغفار
أيضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه
إن أراد بكم ما يضركم من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ
ضرا بالفتح والضم الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض
وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين على البناء
للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم
وزينا لهم أعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ والمعنى وكنتم قوما
فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين
لسخطه وعقابه للكافرين مقام مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين بالله
ورسوله فهو كافر ونكر سعيرا لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات
والأرض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته لحكمته وحكمته
المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه
حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون تخلفوا
عن الحديبية إذا انطلقتم إلى مغانم إلى غنائم خيبر أن يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله
أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم
خيبر إذا قفل موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا
تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون
إلا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا فإن قلت ما الفرق بين حرفي الإضراب قلت الأول إضراب معناه رد أن
يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد
إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين

الذين تخلفوا عن الحديبية إلى قوم أولي بأس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة
الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا
يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب
والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس
دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على أمانة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنهم لم
يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله
تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى
يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء الجزية فإن قلت
عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله قلت إن صح ذلك فالمعنى لن
تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على
قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم
من قبل يريد في غزوة الحديبية أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد
الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا
نفي الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون
هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى الله عليه حين نزل الحديبية بعث
جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي
الله عنه ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة عدوي
يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم
أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت
أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه واحتبس
عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت
أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه جالسا في أصل الشجرة وعلى

ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من
الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره بايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا
فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمس مائة
وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص
وصدق الضماير فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على
قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن
فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة تاخذونها هي مغانم خيبر
وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف
بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة
فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل
مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم
والفتح عليهم وقيل راى رسول الله صلى الله عليه فتح مكة في منامه ورؤى الانبياء وحي فتاخر
ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما
ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم
ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها
لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها
ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط
بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد
احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب العزة فان قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف
موقعه قلت هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان
يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية
للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية

هذه الكفة

وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوه وقيل
من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة
انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم المكافة
والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة
رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان
عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله من هزمه وادخله حيطان مكة
وعن ابن عباس اظهره الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالتاء
والياء قرئ والهدى والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب
عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى
وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي
ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل هديه
الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية
من الحرم وروي ان مضارب رسول الله كانت في الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد
نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى لم يعلموهم
صفة للرجال والنساء جميعا وان تطاوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان
تطاوهم يعني ان تطاوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال
ووطئتنا وطاء على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وان آخر وطئة
وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم
ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم
غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب
لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى
واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون

قلت بتصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين انهم قتلوا باصلهم بينهم مثل ما
قتلوا بنا من غير تمييز والحاكم اذا جرى منهم بعض التقصير فان قلت قوله ليدخل
الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف
الايدي عن اهل مكة والمنع من قلوبهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان
الكف والمنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة
مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز
بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبنا
او صددوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكروا لمراد
بحميته الدين كعزوا وسكينته المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار
ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو
القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان يعرضوا على
النبي صلى الله عليه ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل
ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما
صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا
قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب
ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك
ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحملوا وكلمة التقوى بسم الله
الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فدا ختارها الله لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه
ومنها والى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء
بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وهي
مفتاح الجنة بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحقها وهو الذي دفن مفتاحه
ايام المحاج راى رسول الله صلى الله عليه قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا

دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا
وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق فلما تأخر ذلك قال عبد
الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا
رأينا المسجد الحرام فنزلت وبعني صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه
تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا بحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت انما يصدق ما يرى في كونه
وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء
والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي
صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما
انما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب
قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه
ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بآداب الله
ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان
ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله لاصحابه وقص
عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة
الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستريح
ابله قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره
ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد لان اديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين
واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا والاسلام مدونه العز
والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج
والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله
سيفتح لهم من البلاد ويفيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون الى فتح مكة
وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن على الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينك

محمد اما خبر مبتدا اى هو محمد لتقدم قوله هو الذى ارسل رسوله واما مبتدا ورسول
الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرا رسول الله صلى الله عليه بالنصب على المدح والذين معه
اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين واغلظ عليهم بالمومنين روف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار
انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ
من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه لم يختلف فيها الفقهاء واما
المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رضى الله عنه وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل
من الرجل وجهه ولا يده شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف فى المعانقة ومن حق
المسلمين فى كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على
ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى
والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرا اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما
على المدح او على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم علامتهم وقرى سيماوهم
وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من
كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اى من التاثير الذى يوثره السجود وكان كل من
العليين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس ابى الاملاك يقال له ذو
الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت فى مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرى من السجود
ومن اثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه فان قلت فقد جاء عن النبى
صلى الله عليه لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنه انه راى رجلا قد اثر وجهه
السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك
اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله
منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن
بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين اعيننا شىء ونرى احدنا الان يصلى فترى بين
عينيه ركبة العنز فما ندرى اثقلت الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد

تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه
ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم
من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف
مثلهم اى وصفهم العجيب الشان فى الكتابين جميعا ثم ابتداء فقال كزرع يريدهم كزرع
وقيل ثم الكلام عند قوله ذلك بانهم مثلهم فى التورية ثم ابتدى ومثلهم فى الانجيل كزرع
ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطه كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين وقرى الانجيل بفتح الهمزة شطه فراخه
يقال اشطا الزرع اذا فرخ وقرى شطاءه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاه
بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فازره من الموازرة
وهى المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرى فازره بالتخفيف والتشديد اى فشد
ازره وقواه ومن جعل ازر افعل فهو فى معنى القراتين فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبته جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج
قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطاءه
بابى بكر فازره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء
امر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه قام وحده ثم
قواه الله بمن امن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها
حتى يعجب الزراع فان قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه
تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله
الذين امنوا لان الكفار اذا سمعوا اعد لهم فى الاخرة مع ما يغرهم به فى الدنيا غاظهم ذلك
ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة ٥

سورة الحجرات مدنية ثمانية عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم

قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه

ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان ان يحذف
ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم وان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس
التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي
ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته
وهي الجماعة المتقدمة منه ويعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا
الا ان الاول املا بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا
تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعملوا عليهما وحقيقة
قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه
فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم
غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز
وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي
تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على
امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا يقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فيكونوا
اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا
تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن
حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان
رسول الله صلى الله عليه من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة
لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من اخطاه الله بهذه الاثرة واختصه
هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت
ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا
عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلتهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلثة نفر نحوا
فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من سليم
فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما

ما كسوتهما فوداهما رسول الله ونزلت اي لا تعلموا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول
الله وعن مسروق دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا
فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان
اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار
الصلاة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق واكثروا عليه بالمسائل
فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدي وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل
في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا
جرت مسألة في مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا للحاجة وان
يستأني في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي
عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء
الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن تقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق
بك العار فتنهاه اولا عن عين ما فارقه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب
تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون
وحق مثله ان يتقى ويراقب اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب
وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا
به عند حضور مجلس رسول الله من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم
وذلك ان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو
عملا بما يجدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته
وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى مزيته عليكم لائحة
وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تعمروا صوته بلغطكم
وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم

والجدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الذي بينكم وان تتوقروا في
مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم
عاملين بقوله عز اسمه ويعزروه ويوقروه وقيل معناه ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله
عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار واخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يكلم النبي صلى الله عليه كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابن بكر اذا قدم على
رسول الله وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول
الله وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستحقاق والاستهانة لان
ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه
غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر للكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد
يميل به الى ما يستبين فيه الماموربه من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي انصاف رفع الصوت
الذي كان يتادى به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاندين واتهاب عدوا وما
اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين
اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى انه اتاهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول بابغة بني جعدة زجر ابي عروة
السباع اذا اشفق ان يختلط بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم
فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا اصواتكم والباء مزيدة
مجذوبها جذو التشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب
وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مستوعا
لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستيحافهم فيما كانوا يفعلون وعن
ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان
اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فينادي بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت
فقد ثابت فتفقده رسول الله فاخبر بشانه ودعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد

لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال له رسول الله لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانما
يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله
فيجهله والخطاب للمؤمنين على ان نهي المؤمنين ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون
الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كانا لمنافقون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به
فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا
مثل جهر بعضكم لبعض وقد انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم ان يكلموه
بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مفيد بصفة اعني الجهر المنعوت بما تلا
ما قد اعتاد وه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة جهة النبوة وجلالة مقدارها
وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه
مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فان معنى النهي انهوا عما نهيتم
عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله
لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي تعلق
لاجل الحبوط لانه لما كان يصلح الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة
والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل لقوله لكيلا يكون لهم عليكم حجة فان قلت ما الفرق
بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما
شيء واحد ثم يعلل النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل
على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت بأي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني
عند البصريين متقدرا امامه عند الاول كقوله اتوني فرغ عليه قطرا وبالعكس عند
الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاما منهيان اذا ادى الى حبوط
العمل وقراءة ابن مسعود وتحبطا عمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون
الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الجلول من الطغيان في قوله فيحل
عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الحضر فنفخ بطونها وربما هلكت

ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل
اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبص عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا
غفر وهو نكسه وترامية الى الفساد جعل العمل السيئ في اصراره بالعمل الصالح كالداء
والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الامال وقد دلت الاية على
امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الاثام ما يحبط عمله والثاني ان في اثامه
ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق
شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ **امتحن الله قلوبهم للتقوى** من قولك امتحن
فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم
صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء
باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى ويكون اللام متعلقة
بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين
البشر اعداء من للتعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله
قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت فتظهر تقواها ويعلم انهم
متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها
للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر
رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء
جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها
قد محنت واضطربت اطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم
اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة
واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره
ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله من خفض اصواتهم
وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب

ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء والوراء الجهة التي
يواريها عنك الشخص بظلله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأ
من ذلك المكان **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه **قلت**
الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء
تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان يكون مبتدا ومنتهى لفعل
واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر
من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل
ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر
والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة
من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة
كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها
وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها
تحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض
من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة
التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا
الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر
الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون
يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى
نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم روي ان وفد بني تميم اتوا
رسول الله وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من
اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله ان يهلكهم وورود الاية عن النمط الذي
وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله واجلاله منها مجيئها

على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات
وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار
على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان
شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات
تهوينا للخطب على رسول الله وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم
وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدى بايجاب ان
تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف
ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني
وفطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على
عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول
الله في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على
فظاعة ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه
جله المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش
مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب كما يحكى عن ابي
عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على
عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو
ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة
على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه
الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية
المضروبة تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى
عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت لصبرهم
فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي فائدة في قوله اليهم قلت

قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا
ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر يعدلوا واما ضمير
مصدر صبروا لقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة
واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا بعث رسول الله صلى الله عليه
الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس
وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمن عنهم مصدقا الى بني المصطلق
وكانت بينه وبين اخيه فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع
وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب
رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي
ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنباء
شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم باي نباء فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى
الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة
عن قشرها ومن مقلوبه ففسقت البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا
قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ
من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فتثبتوا والتثبت
والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله والذين معه
بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في
الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا
يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما
بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة
والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى

بني المصطلق

انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولدام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه
من الندام وهو لدام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن
بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد نراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وصحيحا
وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه الجملة المصدرة بلولا تكون كلاما مستانفا لادائه
الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او
البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم
تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي
واستصواب فعل المطواع لغيره والتابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل
ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه
الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول
الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم
وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الخسارة على ذلك وهم الذين
استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكن اغنت عن ذكر البعض
صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن
لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون
والخطاب لرسول الله اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة
تقديم خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من
استتباع راي رسول الله لارائهم فوجب تقديمه لانتصاب الغرض اليه فان قلت فلم قيل
يطيعكم دون اطاعكم قلت للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون
وانه كلما عن لهم راي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقوله فلان يقري
ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها
مفقودة من بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من
حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المقدم ذكرهم فوقعت

فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد
بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغني عليه ان
الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نعى
الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح
بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت
الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر رضي
واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح
لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطا
المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل
والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة
والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية
نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان
ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخرة قال ابو الوازع كل
صخرة ورشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا
مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد
فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عن التحبيب والتزيين
والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه
او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة هي اولئك هم الراشدون
اعتراض او عن فعل مقدر كان قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا واما كونه مصدرا من غير
فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة
بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل
حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم عن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله

صلى الله عليه على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه
وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله بول حماره لاطيب
من مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض
بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوما هما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل
بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل
قراها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي
به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى
المسلمين وعن ابي عمرو حتى بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين
فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس
اقتتلتا كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين
قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطايفتين في معنى القوم او الناس وفي قراءة
عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب
قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من امر هذه الاية
ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كافت وقبضت
عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال يا ابن ام عبد
هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها
ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما
اما ان تقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات
البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير
الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة
فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق
فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق
بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احداهما الباغية على

على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين
المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث
لا منعة لها ضمنت بعد الفئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن
الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل
التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع
فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على
التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان
الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور
به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل الاول
قلت لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما
كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء
باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما
الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين
واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول
فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور
من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط
بمعنى العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور هذا تقرير
لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز
عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا
نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته
ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهي من
الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد

منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اخوا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول
عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا
يحفظه منكم الا قليل فان قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون الجميع قلت لان اقل
من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم
لان الفساد في شقاق الجميع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس
والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص
لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج
والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع
واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف
والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم
واشتمال رأفته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاكم القوم الرجال خاصة لانهم القوام
بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على
وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور او تسمية
بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما ما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص
القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون
وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك
ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر
بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة منهم منهية
عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام
غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي
كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأبى ما عليه
من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه
فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب

وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد
ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان
يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند
الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات
وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان
لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه
او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم
نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم
وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه
خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت
من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على
هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله
وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا
ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عينها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا
يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه اذكروا الفاجر بما
فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بيانا قصيرة فلما عرقت فيها
الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد
وقال لما مات اللهم انت اميته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر
في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه
الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل الصلاة ايها
الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان
المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا
لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة

والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون
ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو
به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به
فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه من حق المؤمن على اخيه فلا بأس به ان يسميه
باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه
اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق
وحمزة اسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من
ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في
مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزأوا
ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة
انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام
سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت
عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول
الله ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله
فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله هلا قلت
ان ابي هرون وعمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به
وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى
الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن
فلانة يريد فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت
لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس
بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين
الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب وارتكاب
هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلاثة اوجه احدها استقباح الجمع

الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما يقول بئس الشأن بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه
وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بما ايمانه والجملة على هذا التفسير
متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة
الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته
جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام ثم يقال في مطاوعة اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه
هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت
بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى
البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ
احد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار
للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل
ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا
في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة
صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد
منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم
بخلاف من استهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه ان الله
حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن
بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة
لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر
الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من السقي جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب
الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب
والوبال قال لقد فعلت هذا النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها

والهمزة فيه عن الواو كأنه يتم الاعمال اي يكسرها باحباطه ولا قرئ ولا تجسسوا بالحاء
والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس
كما في اللمس ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب
في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتجسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان
الجواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف
عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه انه
خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان
الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط
يقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به
غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر
السوء في الغيبة وسئل رسول الله عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد
اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم
تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات
شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا
بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها
ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ان لم يقتصر على
لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة لما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها
كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ
وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك
بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره
لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا
ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته

فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس
تعديته بنفسه لانه مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى
زيادة مفعول واما تعديته بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من
بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب
للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان
معفوا عنده بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب
قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد
منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين
وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام
عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول
الله فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار
ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ونزلت من ذكر وانثى من آدم وحوا وقيل
خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به
الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى
من الطبقات الست عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن
يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت
منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون
ولتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف
بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد ويدعوا
التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره

ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كافة قيل
لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه
انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين
على الله ثم قرا الآية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس
كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله في سوق المدينة فراى
غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه
رجل فكان رسول الله صلى الله عليه يراه عند كل صلاة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم
فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل لما هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه
فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الايمان هو التصديق مع الثقة وطمانينة النفس
والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا
ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير
مواطاة القلب فهو اسلام وما وطا فيه القلب اللسان فهو ايمان قلت ما وجه قوله قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا
او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افادة هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه
فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه
فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا ثباته موضعه ثم نبه على ما فعل
من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون
ورب تعريض لا يقاومه التعريض واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا
لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة
بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى
كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد
بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم

لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت اليس كذلك فان فائدة
قوله قل لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما
امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم
لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء
قد آمنوا فيما بعد لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال آلته السلطان حقه اشد الالت وهي
لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لانه ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية
انها قالت الحمد لله الذي لا يقات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين
لا يلتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا
عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا
ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس
ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق
المدينة بالعذرات واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة
ويمنون عليه فنزلت ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا
ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه
فان قلت ما معنى ثم ها هنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان
لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها التيقن
وانتفاء الريب قلت على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان
او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظرا غير سديد
يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون
حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال
الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على
الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا

وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو البعوث المحاربة او الشبط او الهوى
وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان تتناول
العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة
وان تتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله
لوجه الله اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب
بني اسد وهم الذين اعلمهم ايمان صدق وايمان جحد وثبات يقال ما علمت بقدومك
اي ما شعرت به ولا احطت به ومنه قوله اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم
يقال من علمك هذا سدادا من البنة كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا
يستثيب مسديها من يزلفها اليه واستقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها
اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يحمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعة
اذا اعتد عليه منة وانعاما وسيأتي هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك الكاين
من الاعاريب فدستماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله
ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس طريقه
الا الاعتداد به من حذقهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي
اسلامكم اي حذقكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان هداكم
بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما ادعيتم واد عيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له
ان صح ذلك عنكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه
وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف نعى لا يخفى على المتأمل وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان
فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم وقرئ
تعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل
يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل يعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه
شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان جاهله

جاهله من كل معلوم واحد لا يختلف عن رسول الله صلى الله عليه من قراءة الحجرات
اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله وعفاه سورة قاف مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في قاف والقرآن
المجيد بل عجبوا نحوه في صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء الا التفاتهما واشتراك
واجد المجيد والمجد والشرف على غيره من الكتب ومن حاط علما بمعانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو ان ينذرهم بالمخوف
رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا
ناصحا لقومه مشفقا عليهم خائفا ان ينالهم سوء وتجهل هم مكروه واذا علم ان مخوفا
الطافهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار
لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات والارض وما بينهما
وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد
من الجزاء ثم عول على اجلاء الكافرين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب اذا متنا
دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير
للشهادة عليهم انهم في قولهم هذا متقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب
بمضمر يعناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر لقولك هذا قول
بعيد وقد بعد في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث
والوقف قبله هذا التفسير حسن وقد يراد امتنانا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعدان نرجع
والدال عليه ذلك رجع بعيد ما نقلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف
علمه حتى تغلغل الى ما ينقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم
كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا من البنية صلى الله عليه كل ان آدم تبلى الا عجب الذنب

وعن السدي ما ينقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم كتاب حفيظ محفوظ من
الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا
اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب
بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج
مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرح فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة
كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم
لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا
حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من
فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من
فطور مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت من كل زوج من كل صنف
بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به وتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه
مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة ماء مباركا كثير المنافع
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو
الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه باصقات
بابدال السين صادا لاجل القاف طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة
الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول
له اي انبتنا لنرزقهم كذلك الخروج لما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون
احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون
وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد به كل واحد
منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد
فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم عيي بالامر
اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول
حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك

يذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة
قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا جار انه لملبوس عليك
اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج
عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر
فان قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق
جديد له شان عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه
ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة
النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك
صوت بكذا وهمس ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا
وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب
النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه
منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله
في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد
القابلة ومقعد الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه
بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشاء اخلب والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا
لان الروح فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بغير سانية والثاني ان يراد حبل
العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء
مثلا اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة
والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من
الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر
هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت

وهي ما في كتبه الملكين وحفظهما وعرض صحايف العمل يوم تقوم الاشهاد وعلم العبد
بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة
في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما
وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي
الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذا
حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد
كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك
احدهما للدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا **رقيب** ملك يرقب عمله
عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه
وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند
غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج
عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند
موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو
قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به
كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجليته الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها
في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض
الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما
سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان

الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت
يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله
اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب
للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر
تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول
الله فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام
العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا
هو للبر والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة
الى مصدر نفخ **سائق وشهيد** ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك
واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق
النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة قرئ لقد كنت عنك غطاك
فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده
كله او غشاوة غطا بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه
الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا
لتيقظه **وقال قرينه** هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين له قوله
قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى
ان ملكا يسوقه واخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته
لها باغوائي واضلالي **فان قلت** كيف اعراب هذا الكلام **قلت** ان جعلت ما موصوفة
فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
القيا خطاب من الله للملكين السابقين السائق والشهيد وجوز ان يكون خطابا للواحد
على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما
كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على
السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين

عن الحجاج انه كان يقول يا جرسي اضربا عنقه وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان
يكون الالف في القيا بدلا من النون اجرا للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق
معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيا
قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مبتدا مضمن معنى
الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون
فالقياه تكريرا للتوكيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى
قلت لانها استونفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية
المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول هاهنا قلت لما قال قرينه هذا
ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم
مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما
اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا
وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان
قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب
فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى
السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم لا قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما
اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء
في بالوعيد مزيدة مثلها ولا تلقوا بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم
ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد
حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به

به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد
في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا
وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحته ذلك عندهم في الآخرة فان قلت
كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام
لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك
قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن
يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل
ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف
المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه
وفيه معنيان احدهما انها تمتلي مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد
على امتلائها كقوله لاملان جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها
موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة
عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا مع العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمميد
واما اسم مفعول كالمبيع غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره
لانه على زنة المصدر كالزبير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث
او على حذف المضاف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز
غير ذليل قرئ يوعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله
للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر
ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده ومن خشي بدل بعد بدل
تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب
وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون
مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم
من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول

اى خشية وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشى اى
خشية خشية ملتبسا بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او خشية بسبب الغيب الذى اوعده
به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على
سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما
اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله
لان الاعتبار بما ثبت منها فى القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اى سالمين من العذاب وزوال
النعم او مسلما عليكم الله وملائكته يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها
خالدين اى مقدرين الخلود ولدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى
يشاؤه وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال
الله عز وجل ولدينا فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير
عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة نقبوا فى البلاد من حذر الموت وجالوا
فى الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم
اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم
فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة
من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو
ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم
او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد هل من محيص
من الله او من الموت لمن كان له قلب اى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له والقا
السمع الاصغاء وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد
ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلا
باذ لسقى الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحى من الله او وهو بعض الشهداء
فى قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود

لوجود نعته عنده وقرا السدى وجماعة القى السمع على البناء للمفعول ومعناه
لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن
متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة
القبول والولوع قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات
والارض فى ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى
على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم
اخذ فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما
يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام
منهم وقيل هى منسوخة باية السيف وقيل الصبر مامور به فى كل حال بحمد
ربك والتسبيح حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلاة قبل طلوع
الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاء ان قيل التهجد وادبار
السجود التسبيح فى اثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل
النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى
الله عليه من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس الوتر
بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت
ومعناه ووقت انقضاء السجود لقوله اتيتك خفوق النجم واستمع يعنى واستمع لما
اخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث
عنه كما يروى عن النبى صلى الله عليه انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما
اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت بما انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك
يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم
ينادى والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية والاوصال
المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادى بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت

المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم
وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة
الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء قرئ تشقق
وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور
علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على
القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على
الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون
من جبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان
واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع
الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة قاف هون الله عليه
تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذاريات الرياح لانها
تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال والحاملات
وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على
ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة
والمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل
التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل
للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو
على المنبر سلوني قبل ان لا تسلوني ولن تسالوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات
قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك
قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم
الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان تراد الرياح لا غير

غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى
التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها
بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه
واما على الثاني فلانها تبتدي في الهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب
فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر ان ما توعدون جواب القسم وما موصولة
او موصولة والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع
الحاصل الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر
اثار تثنيته وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك
والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن
حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها
واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا
ما احسن حبكه وهي جمع حباك لمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن
القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الحبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن
النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن
شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض
مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول
اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك
وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي
ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للذين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق
ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال
يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المافوك ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف
وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب

وحقيقية يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ
سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش
وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله فيقولون احذره
فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك
في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ
يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون
دعا عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى
لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف
واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله في غمرة
في جهل يغمرهم ساهون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء
وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان
ظروفا للحدثان قلت معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع
في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان
يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت يجوز
ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي
عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها
محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره اي
هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا
هذا العذاب آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما
آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله
تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير
احسانهم ما بعده ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت
قليلا ظرفا ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان يكون ما مصدرية

مصدرية او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا
على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت
البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات
والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا
اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم
المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم
له واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان يكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى
انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما
بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي
والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه ليس
المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا
يجده ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارب الذي لا يكاد يكسب وفي
الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط
لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها
والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات
من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع
الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد وتفضل بعضها
على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها
وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك
للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم
يطارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا
ايمانا مع ايمانهم وايقانا مع ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال

الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان
وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن
والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة
والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح
وتأتيها لما خلقت له وما سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه
اذا جاء شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين
رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة
منه وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنه
تحرمونه بخطاياكم **وما توعدون** الجنة هي على ظهرها السماء السابعة تحت
العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدر مكتوب
في السماء قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا
مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل
وهذا كقول الناس ان هذا كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا وهذا الضمير اشارة
الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي صلى الله عليه او الى ما توعدون وعن
الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني
اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت
والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها
ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وفرسه فكسرهما وولى فلما حججت
مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا
انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح
وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء
والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه
بقوله حتى الجأوه الى اليمن قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم

تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف
للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر
ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل ثلاثة جبرئيل وميكائيل وملك معهما وجعلهم
ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك
واكرامهم ان ابرهيم خدمهم امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله
تعالى بل عباد مكرمون **اذ دخلوا** نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم لهم والا
فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر **سلاما** مصدر ساد مسد الفعل مستغنى
به عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره
محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يجيبهم باحسن
مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما
قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم **قوم منكرون** انكرهم للسلام الذي
هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر
العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا
لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم **فراغ الى اهله** فذهب اليهم في خفية
ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى من غير ان يشعر به
الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء
بعجل والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه **فاوجس** فاضمر
وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس وقع في
نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام
يدرج حتى لحق بامه **بغلام عليم** اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليهم نبي والمبشر به اسحق
وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو
بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل **في صرة** في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب
ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية

تنظر اليهم لانها وجدت جران الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في
صرّ كما تفعل اذا قبل يشتمني وقيل صرّتها قولها اوّه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنّتها
فصكّت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعلّ المتعجّب
عجوز انا عجوز فكيف الد وكذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربّك اي
انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبرئيل قال لها انظري الى
سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة لما علم انهم ملائكة وانهم لا
يزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم الى
قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهي طين كما يطبخ الآجر حتى
صار في صلابة الحجارة مسوّمة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها
اسم من تهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست
من حجارة الدنيا عند ربك للمسرفين لكافة اسمهم مسرفين لانهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث
لم يقتنعوا بما ابيح لهم الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح فما وجدنا قيل هم لوط وابنتاه
وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لاتاهم
ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله اية علامة يعتبر بها الخائفون
دون القاسية قلوبهم قال ابن خريج هي صخرة منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وموسى
معطوف على وفي الارض اٰيات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية
لقوله جعلنها اية بيّنا وماء باردا فتولى بركنه فازورّ واعرض عن كفره ونأى بجانبه وقيل
تقوى بما كان يتقوى به من جنود وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو
ساحر وهو مليم اٰت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير
في فاخذناه فان قلت كيف وصف نبيّ الله بوشر صلوات الله عليه بما وصف به فرعون
في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب
اختلافها تختلف مقادير اللوم فرأيت الكبيرة ملوما على مقدارها وكذلك مقترف

مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى ادم ربه لانا للكبيرة والصغيرة
نجمعها اسم العصيان كما نجمعهما اسم القبيح والسيئ العقيم الذي لا خير فيها من انشا
مطرا وانشا القاح تجمر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن
ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب والرميم كل ما رمّ اي بلى وتفتت من عظم
او نبات او غيره لك حق حسن تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر
ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة
والصاعقة النار المحرقة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي ان العالقة كانوا
بعضهم في الوادي ينظرون اليهم وما صرّتهم فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا
في ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا ادّاه عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين
من العذاب وقوم نوح قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتغويه قدرته عند الله وفي قوم
نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لانّ ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح
بايد بقوة والايد والاد القوة وقد اد يئيد وهو ايّد وانا لموسعون لقادرون من
الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق والمطر وقيل
جعلنا بينها وبين الارض سعة فبنعم الماهدون نحن من كل شيء اي
من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار
والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل شيئين منها زوج
والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض
وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله الى طاعته وثوابه
من معصيته وعقابه ولا تشركوا به ولكرّر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر
بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان
وانه لا يعوّل عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك
اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسّر ما احتمل بقوله ما اتى

ان يكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا
على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا **أتواصوا به** الضمير للقول يعني
اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه **بل هم قوم طاغون**
اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان
والطغيان هو الحامل عليه **فتول عنهم** فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا
وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة
وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى
تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذي عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او تزيد الداخلين
فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله واشتد ذلك على اصحابه
ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر اي **وما خلقت الجن
والانس** الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها **فان قلت** لو كان مريدا
للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا **قلت** انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة
لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها
ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم يريد ان شأني مع عبادي ليس كشأن
السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم
في حرفة لينفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه
ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك
ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل
رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم
ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي **المتين** الشديد القوة قرئ بالرفع صفة
لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه
القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه اني انا

انا الرازق الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء
فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب
ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال
الملك قال نعم واذنبه والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم
نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا
من عذاب الله من سجل اصحابهم من يومهم من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول الله
صلى الله عليه من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في
الدنيا **سورة الطور مكية وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

الطور الجبل الذي كلم الله
عليه موسى وهو بمدين **والكتاب المسطور** في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي
يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه
منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن
ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها **والبيت المعمور**
الصراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة
بالحجاج والعمار والمجاورين **والسقف المرفوع** السماء **والبحر المسجور** المملوء وقيل الموقد
من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر
بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في
البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور **لواقع** لنازل قال جبير بن مطعم
اتيت رسول الله اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ
ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب تمور تضطرب وتجيء وتذهب
وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض
في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه وقوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي
خاضوا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم

ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم ورحا في اقفيتهم
وقرا زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوين
يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد
اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون
في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم
سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء
الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على
الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي
هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية على الجزع في جنات ونعيم في اي جنات
واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة
وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا
جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما اتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم
قلت على قوله في جنات او على اتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم
ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا
واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون
مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة
استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل
كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ها هنا هناكم الاكل والشرب
او هناكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء
متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب قرئ بعيس عين والذين امنوا
معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله
اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان المؤمنين
واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته

درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور
بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم
ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو
ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى
ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه
الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه
قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم
ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون والذين امنوا
مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم
يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل والتفضل وما نقصناهم
من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء
حتى يلحقوا بهم وانما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ الناهم وهو من يابين من
الت يالت ومن الات يليت كامات يميت والتناهم من الت يؤلت كامن يؤمن
ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما
كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب
به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها
وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم
من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يتكلمون في
اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب
في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في
دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن
متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها
ولا تاثيم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن

واصفى او مجزون او مجزون لانه لا يجزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم
فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة القدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان اهل الجنة منزلة من
ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسأل
ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين
ارقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار
ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها
بهذه الصفة من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله
الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب
وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك
قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته
الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق
النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول
وريب المنون ما تقلق النفوس وتشخص بها من حوادث الدهر قال امن المنون
وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت
قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله
من الشعراء زهير والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي احلامهم
عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتأمرهم بهذا التناقض في القول
وهم قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش تدعون اهل الاحلام والنهى
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما معنى
كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلواتك تأمرك ان نترك
ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز

العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير
لرسول الله ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعمور في العرب فان قدر محمد على نظمه
كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير
الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون
الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم
شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل
اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او اعندهم
خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة مصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون
حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون
بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى
اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة
دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم المغرم ان
يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام
عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب
ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة
اليهم واريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق
بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته الكسف القطعة
وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم طغيانهم وعنادهم
لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف
ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه
فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا
دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي
مصحف عبد الله دون ذلك قريبا واصبر لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة

والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير
الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقرئ باعيننا بالادغام حين تقوم من اي مكان
قمت وقيل من منامك وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم وآثارها من آخر الليل وقرئ
وادبار بالفتح يعني في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله
وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشائين
وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الطور كان حقا على الله
ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة والنجم مكية احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجم الثريا وهو
اسم غالب لها قال اذا طلع النجم عشا ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال فباتت تعد
النجم في مستحيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيامة او النجم
الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين
سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان
عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه اراد الخروج الى الشام
فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا
فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه
الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم
راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر
قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه
والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد
راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القرآن ليس

ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه
الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان
الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد
قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وجبريل عليه
السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه
ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء
وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة
فنفحه بجناحه فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه
ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان
يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله احب ان يراه
في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه
احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه مرتين مرة في الارض ومرة في
السماء ثم دنا من رسول الله فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من
السرير والدوالي الثمر المعلق وقال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلي ان
رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب
والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء
التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع
ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة
وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة
وقال وقد جعلتني من حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين
قلت تقديره فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال
ابو علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي
على تقديركم كقوله او يزيدون الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه

لا يلبس كقوله على ظهرها **ما اوحى** تفخيم للوحي الذي اوحي اليه قيل اوحي اليه ان الجنة
محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك **ما كذب** فؤاد محمد ما
رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما
كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته **افتمارونه** من المراء وهو الملاحاة
والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه
وقرئ **افتمرونه** افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن هجوت اخا
صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته
وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين **نزلة اخرى** مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب
الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل
نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة
نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من
اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى
بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد
واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح
الشهداء **جنة المأوى** الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل يأوي اليها ارواح
الشهداء وقرئ علي وابن الزبير وجماعة جنة المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن
عائشة انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله **ما يغشى** تعظيم وتكثير لما يغشاها
فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا
يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح
الله عنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها

يغشاها فراش من ذهب **ما زاغ** بصر رسول الله وما طغى اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا
صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب امر برؤيتها
ومكن منها **وما طغى** وما جاوز ما امر برؤيته **لقد رأى** والله لقد رأى من آيات
ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فارى عجائب الملكوت
اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف
بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة ويلوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد
وزعموا سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد
كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت
لغطفان وهي شجرة واصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد
فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها
فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد
اهانك ورجع فاخبر رسول الله فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا **ومناة** صخرة
كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة وكانها سميت مناة لان
دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا
يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله
وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية
التقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله
وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم
الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله
شركاء ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يوازن لكم وينسبن
اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث انداد الله وتسمونهن آلهة **قسمة ضيزى** جائرة من
ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ

ضيزى من ضازه بالهمزة وضيزى بفتح الضاد هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء الا تحتها
ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة
لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات
والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الالهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم
ان ما هم عليه حق وان الهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم
من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة
فيها للانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمن على الله
في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد
بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى
اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء
منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم
واعتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا
قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة
له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم ليسمون
الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا
كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها
اي بالملائكة او التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما
هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر
الله وغم الاخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما
يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي
من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا

ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء قرئ
ليجزي ويجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه
الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي
جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب
ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس
يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي
يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش
منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر
ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام
قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفا لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله
الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما الهة الا الله
كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم والهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي
النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم
يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين ان ربك واسع المغفرة
حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة والمعاصي ولا تثنوا
عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب
ادم وقبل ان يخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون
صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من
اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح
لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر اكدى قطع عطيته
وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك

عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا اقحم روي ان عثمان
رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو من الرضاعة
يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله
وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه
واشهد عليه وامسك عن العطا فنزلت ومعنى تولى تولى ترك المركز يوم احد فعاد
عثمان الى احسن من ذلك واجمل فهو يرى فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال
اوزاره حق وفي قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفا او بمعنى وفد واتم
كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة
واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه باضيافه
وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان
وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهزيل
بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابرهيم يوخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه
وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم وعن
عطاء بن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل
الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وفى عمله كل يوم باربع ركعات
في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول
اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل سهام الاسلام وهي
ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين
قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف ان لا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى
انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى
او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابرهيم فقيل ان لا تزر
الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله
الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي

سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعى نفسه
لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن
اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى
العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل
ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله
واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله
في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي
ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير هو اضحك وابكى خلق قوتي الضحك
والبكاء اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى اي
المقدر قرئ النشاءة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على
الاحسان والاساءة واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته وعزمته ان لا تخرجه
من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان
الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ابو كبشة رجل
من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم
في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل
الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ
عادا لولى وقرئ وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها
الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى
لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما
اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي
انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء
على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض اي اسقطها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها
من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب

لرسول الله او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آيات من قبيل ما في
نعمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس
الانذارات الاولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين
وقال الاولى على تاويل الجماعة ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقربت
الساعة ليس لها من كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او
ليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لم يكشفها او
ليس لها الان نفس كاشفة بالتاخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية
وقرا الحجة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت
الغاشية افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون
والبكاء والخشوع حين علمتم وعن رسول الله صلى الله عليه انه لم يبق احد ممن رآه الا بكى
نزولها وقرئ تعجبون تضحكون كغيره واو وانتم سامدون شامخون مبطرون وقيل لاهون
لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي لنا اى غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا
الالهة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
صدق محمدا وجحد به بحلة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انشقاق القمر من آيات
رسول الله ومعجزاته التي هي على اسلوب ما اقترحوا من الآيات وذلك ان الكفار سألوا رسول الله آية فانشق القمر مرتين وكذا
عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت
وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقي القمر وعن بعض التابعين انه معناه ينشق يوم القيامة
وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر مطرد وكل شيء قد انقاد فقد استمر
وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق
كما تفعل قبل الامور وقد جاء المبشر بقربه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال
الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد
وكل شيء قد انقاد فطريقته وامتحاله قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع المعجزات

المعجزات وتزاد في الآيات فالواحد اسحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر
مريه وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اى مستبشع عندنا مر هواتنا
لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقور وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنيه
لانفسهم وتعليلا وقرئ وازدجروا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق
بعد ظهوره وكل امر مستقر اى كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها واما امر
محمد فسيصير الى غاية ينبئ عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر
من امرهم وامر مستقر اى سيثبت ويستقر على حاله خذلان ونصرة في الدنيا
وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر مد ومستمر اى ذو استمرار
او ذو موضع استمرار او زمان استمرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر
عطفا على الساعة اى اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر وتبين حالة من
الانباء من القرآن الموضع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما موصولة من عذاب
الكفار منزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع للازدجار وتاء مطمئنة
لقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اى هو اسوة وقرئ مدكر جر بقلب تاء الافتعال
دالا وادغام الذال فيها حكمة بالغة بدل من ما او على حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما
فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تفعل ان كانت موصوفة
وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او انكار
وما منصوبة اى فاى غناء تغني النذر فتول عنهم يجملك ان الانذار لا تغني فيهم نصب يوم
يدع الداع على يخرجون او اضمر اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي
اسرافيل وجبريل لقوله يوم ينادي المنادي الى شيء نكر منكر قطيع تنكر النفوس لانها
لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا
ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول خشع ابصارهم وقرئ خاشعة
على خشع ابصارهم وخشعا على خشع ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث
وهم طيئ ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع

ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته
حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال
لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث
من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش
الكثير المايج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته
مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون
بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
قبلهم قبل اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد
قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب
كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة
الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم
في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد
ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ اني بمعنى فدعا باني
مغلوب واني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني
واستحكم اليأس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما
دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته
وكان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي
لا يعلمون قرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة
وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون
تتفجر وهو ابلغ وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى
الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي والارضي
ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما

ما علمتم وقرا الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على
حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل
من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون
وهو هلاك قوم نوح بالطوفان على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات
التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها
وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو
في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة
وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح
الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر
به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء
لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى
ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت
الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اي جزاء للكافرين
وقرا الحسن جزاء اي مجازاة الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة اي جعلناها اية
يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها
اوايل هذه الامة والمذكر المعتبر وقرئ مدتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام
الذال فيها وهذا نحو مزجر والنذر جمع نذير وهذا الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر
سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد
فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه
ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها
ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني
الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التورية والانجيل لا يتلوها اهلها

الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او
وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شوم وقرئ في يوم نحس كقوله
في ايام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا على كبيرهم
وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في آخر الشهر لا تدور ويجوز ان يريد
بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون
آخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها
فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على
الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع
عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا بلا
رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية ابشرا
منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه
خبره والاول اوجه للاستفهام كان يقول ان لم يتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر
ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد
عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها
ذميل وارخاء من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت
قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر
وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان
تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل
عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه
بالاختيار للنبوة اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا
على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر
اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او
هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث

وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر
اصل قولهم خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري تقول العرب
هو اخير واشر وما اخيره وما اشره مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة
كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون
واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب
يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر لهم او للناقة وقيل
يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود
فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبريل والهشيم
الشجر اليابس المتهشم المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس
بطول الزمان ويتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو
موضع الاحتظار اي الحظيرة حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع
من الليل وهو السدس الآخر منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر
والآخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تدال وصرف لانه نكرة ويقال
لقيته سحرا اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما مفعول له من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته
ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين
فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا
باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة بكرة اول النهار وباكرة كقوله مشرقين
ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا
اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب
مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة فان قلت

ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته
ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا
تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان تقرع لهم العصا
مرات ويقعقع لهم الشين تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة
وهكذا حكم التكرير كقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن
وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير
الانباء والقصص في انفسها ليكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة
غير منسية في كل اوان النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم
ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار بآياتنا كلها بالآيات التسع اخذ عزيز
لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين
قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا
او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفارهم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم
يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا
من عذاب الله فآمنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع
لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم
من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي
جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع
عرف تأويلها ويولون الدبر اي الادبار كما يقال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار ادهى
اشد وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل
والاسر وقرئ سنهزم في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا
ونيران في الآخرة مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا
اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان
ويبشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته

سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها
باقنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما
اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة
شريعة التكوين كلمح البصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه
اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من
الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس
وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد
في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند
مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم
من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ٥

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عدد الله عز وعلا آلاءه
فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب الآية واصناف نعمائه وهي نعمة
الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب
الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق
الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه
وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر
ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن
مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على

نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما
لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي
يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين
والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق
وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في
انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغني فيهما عن
الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره
كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف
اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الاول واردة على
سنن التعديد الذين انكروا الرحمن والاءه كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس
بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبليت في وصل
ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين
الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر
ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران
قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود
النجم والشجر وقيل علم القران جعله علامة واية وعن ابن عباس الانسان ادم
وعنه محمد صلى الله عليه وعن مجاهد النجم السماء والسماء رفعها خلقها مرفوعة
ممسوكة حيث جعلها منشاء احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه
ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبريائه شانه
وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما
يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومكيال من
اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم
وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا لئلا تطغوا

تطغوا او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول واقيموا الوزن
بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهي
عن الطغيان الذي اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر
لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء
بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره
ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل وضعها
خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس
والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم
اي يغطى من ليفة وسعفة وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره
وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل
التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد به ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ
والتغذي وهو النخل وما يتغذى به وهو الحب قرئ والريحان بالكسر ومعناه
والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم
على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان
الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذو العصف والريحان اي وخلق الحب
والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام
المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حماء مسنون
من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله
طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن قيل هو ابليس والمارج اللهب
الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب
واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار

او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى قرئ رب المشرقين ورب
المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين
ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى
العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما
على الآخر بالممازجة قرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ
والمرجان بالنصب ويخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو
البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان
من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال
يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد
وانما خرجت من محلة من محالة بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى
الملح والعذب الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا
اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين
وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل
الطويل عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين
مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه
وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه
وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين
من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله الظوا بيا ذا الجلال
والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام
فقال قد استجيب لك فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهو مجيء
وقت الجزاء عقيب ذلك كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأل
اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو
في شأن اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى

صلى الله عليه انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة
والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب
وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك
وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود
يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها
للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي
معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال
الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من
شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث
آيات دعوتك لتكشفها في قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم
توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في
تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم
فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا
واما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله
وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده
سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل
سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا
وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شأن

فلا يشغل الاثنان واحد وهو جبانه مجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ
سيفرغ لكم اي الله تعالى وسافرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح
الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة اني سنفرغ
اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانسي والجني سميا بذلك لانهما ثقلا الارض بما
عليها من الحيوان والجماد وقيل لانهما مكلفان والتكليف ثقل وقيل لثقل الذنوب
معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان الاستطعتم ان تهربوا من قضائي
وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا
بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السماء وروى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا
فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر
والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وانشد ثعلب اضيء كضوء سراج السليط لم
يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا
من قبورهم ساقهم شواظا الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا
عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لجاف ولجف وقرئ ونحس اي
ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان
وردة جمرا كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو ردي الزيت وهو جمع دهن او
اسم ما يدهن به كالحزام والاداوم قال الكلبي احمرت كما تمدت متعجل قريبا لما تذهبها بدهان وقيل
الدهان الاديم الاحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من
الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن لقيت لاجلدن بعروة يحموا الفتايم او نموتكم يم
انس بعض من الانس ولا جان اريد ولا جن اي ولا بعض منا لجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن
موضع الجن كما يقال لهاشم ويراد ولده وانما وجد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه
في معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيمى المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة
العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم
مسئولون قلت ذا اليوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر فاما

قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من حقيقته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقراءة
الحسن وعمرو بن عبيد ولا جان فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حد فيوخذ
بالنواصي والاقدام عن الفجاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره
وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام جهنم آن ما حار فانتهى
حرها ونضجه وفي عاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا
من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم تجتمع فيه صديد
اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها
وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يسعون
ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون تصليان لا تموتان فيها
ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكر من هول العذاب ونجاة الناجي منه
برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد
للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ويخاف لمن خاف مقامي ويجوز
ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصية وقيل هو مقحم كما تقول اعاذ
جارك فلان وفعلت هذا لمكانك واشد ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل
اللعين يريد ونفيت عنه الذيب فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين
وقيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الاتي وجنة للخائف الجاني ويجوز ان
يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال
جنة يثاب بها واخرى تفضل بها على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الافنان
بالذكر وهي الغصنة التي تشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها
تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبي لهوت به والعيش اخضر اغن

عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن
الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل روحان صنفان
قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم
لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن
من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب
يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الالاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن
وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم
لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن
يطمثون كما تطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض
المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها
من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل
الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه مسجلة للبر والفاجر
اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما ومن
دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة نضاختان فوارتان بالماء والنضخ
اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان
على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية
جنسان آخران كقوله وجبريل وميكائيل او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان
فاكهة ودواء ولم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا حلف لا ياكل
فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفاه صاحباه خيرات خيرات
فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال
فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق

الاخلاق حسان الخلق مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب
الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين ومتكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب
من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لاطراف
البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر
بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري
بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين
الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان
دون تجريان وفاكهة كل فاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ
ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع
لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال
وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس
كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار
اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب
الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات
كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا
يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني
قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة تكذبها
يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا
شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به

على انها معنى الها وقعه لا تطاق شدة وفظاعة وان نفس حليمة صاحبها مما تحدثه
به عند عظائم الامور وتزين له اجتماعها والطافها انهم يزيدون ضعيف موذاكر ولدل
الا ترى الى قوله كالهزائر المشؤوم والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر
كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اى فما جبن وما نشط
وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير
اذا ما الليث كذب على اقرانه صدقا اذا وقعت لم يكن لها رجوعه ولا لدفاع
خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين امتا وصفها بالشدة
لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء
يحطون الى الدركات والسعداء يرتفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء
وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسبط السماء كسفا وتنثر
الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة
بالنصب على الحال **رجت** حركت تحريكا شديدا حتى تهدم كل شيء فوقها من جبل
وبناء **وبست الجبال** فتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها
كقوله وسيرت الجبال فكانت منبثا منقطعا بالتاء اى منقطعا وقرئ رجت وبست
اى ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الحسن عنها هاج وهي تمشي وتقاج **فان قلت**
بم انتصب اذا رجت **قلت** هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة
اى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يتخفض ما هو مرتفع
ويرتفع ما هو متخفض **ازواجا** اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر
بعضها مع بعض ازواج **فاصحاب الميمنة** الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم **واصحاب**
المشأمة الذين يؤتون صحائفهم باشمالهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة
الدنية من قولك فلان متى باليمين وفلان متى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عند الله
وذلك لتيمنهم بالميامن وتشؤمهم بالشمائل ولتفوقهم بالسوابق وتطيرهم
من البارح ولذلك استعملوا اليمين الاسم من اليمن وسمو الشمال الشؤمى وقيل اصحاب

اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على
انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة
ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال **والسابقون** المخلصون الذين سبقوا الى ما
دعاهم الله اليه وشغلوا العباد في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر
الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل
عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في
حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال **ما اصحاب الميمنة**
وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاء والمعنى اى شيء هم
والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله
وعند الله عند الله وقولهم في الكنية وشعري شعري كانه قال وشعري ما اشتهي اليك وسمعت
بعض حتيه وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك
ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف
على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة
المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت من اتيهم
وقرئ في جنة النعيم **ثلة** الامة من الناس الكثير قال وجاءت اليهم ثلة خندقية
بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي
من الثل وهو الكسر كان الامة من الامم وهو الشيخ كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت
منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما
وقليل من الآخرين وهم امة محمد وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من
متاخريها وعن النبي صلى الله عليه الثلثان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال وقليل
من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم
يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا **فان قلت** فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين
فماذا لرسول الله براجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين **قلت** هذا لا يصح

الوضن
بجانه مرصع
بمروارید
مرصعات الوان

لا شرين احدهما ان هذه الاية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في
اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين وعدهم على السابقين وعدهم والثاني
ان التنصيص في الاخبار غير جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا
الامم مثل ما يوصف هذه الامة **وثلة** خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة **موضونة** مرصولة بالذهب
مشبكة بالدر والياقوت قد وضل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع قال الاعشى ٥
ومن نسج داود موضونة ويقال متواصلة ادنى بعضها من بعض **متكئين** حال من الضمير
في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء
بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب **مخلدون** مبقون على شكل الولدان
وجد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا
لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله
عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى
وخراطيم وانا ريق ذوات الخراطيم **لا يصدعون عنها** اي بسببها وحقيقته لا يصدر
صداعهم عنها او لا يفرقون وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله
يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يتصدع بعضهم بعضا لا يفرقهم يتخيرون ياخذون خيره
وافضله **ويشتهون** يتمنون وقرئ ويحور عين بالرفع على وفيها حور عين
كانهن الكنا بالآ زواجهم من هنا ومشبهة او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات
النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم
ولدان مخلدون باكواب يتعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول
له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء بما هم **سلاما سلاما** اثنا بدل من قولا بدليل قوله
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وانما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا
سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ
سلام سلام على الحكاية **السدر** شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه
وعن مجاهد الموقر الذي ينثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا انثناه وهو رطب

رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرايحة وعن السدي
شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمرا احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع
وما شاء الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد فقيل او نحوها قال اي القرآن الا تهاج اليوم
ولا تحول وعن ابن عباس نخوه والمنضود الذي نضد ما حمل من اسفله الى اعلاه فليست له سا
بارزة **وظل ممدود** ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مسكوب
يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعذرون فيه وقيل دايم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب
يجري على الارض في غير اخدود **لا مقطوعة** مجدبة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ
وفاكهة كثيرة بالرفع وهنا كل فاكهة كقوله وحور عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش
بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت ومرفوعة على الاسرة وهي النساء لان المرأة
تكنى عنها بالعرائس مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
ويدل عليه قوله انا انشانا هن انشاء وعلى التفسير الاول الضمير هن لا تذكر الفرش وهي المفارش
دل عليهن انشاء نا هن انشاء ابتداء نا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فتاتا ان نراد
اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي عند انشاء هن وعن رسول الله صلى الله عليه ان ام سلمة
سالت عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز
شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر ابكارا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدهن
ابكارا فلما سمعت رسول الله عايشة ذلك فلت واوجاهة فقال رسول الله ليس هناك وجع وقالت
مجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجايز فولت وهي تبكي
فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقراء الاية عربا وقرئ عربا بالتخفيف
جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل ترابا مستويات في السن بنات
ثلث وثلثين وازواجهن اتقا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابنا ثلث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة
انشاءنا وجعلنا في سموم في حر نار تنفذ في المسام **وحميم** وماء حار متناهي

الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد
انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه من يأوي اليه من
الحر والمعنى انه ظل وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه
ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة
وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا
كريم بالرفع اي لا هو كذلك والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث
اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث
اذا تأثم وتحوج او آباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف فان قلت كيف
حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي
هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او آباؤنا
وقرئ لمجتمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة
بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام
وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ايها الضالون عن الهدى المكذبون
بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله
منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني
على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات الثلاث فالفتح
والضم مصدران وعن جعفر الصادق ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى
المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى
جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي
عليها هيامها وقيل الهيم الرماك ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل
الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض
والمعنى يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملأوا

ملأوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم
فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات
متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من
حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب
وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا وكانتا صفتين مختلفتين
النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول
ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا
مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما
بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه
اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها
قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه قدرنا بينكم الموت
تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيتنا فاختلفت
اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا
اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
انا قادرون على ذلك لا تغلبونني عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم
اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر
على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان
يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم
واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها قرئ النشأة والنشأة وفي هذا دليل على صحة
القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى افرأيتم ما تحرثونه من
الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا
يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه لا يقولن احدكم زرعت

وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الاية والحطام من حطم كالقتات والجذاذ
من قت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون
تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي
التي اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها
البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون
اي يتندمون انا لمغرمون لمكرمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا نخت ولو كنا
محدودين لما جرى علينا هذا وقرئ ءانا الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح
للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب
ماء اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخلت اللام على جواب لو
في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هاهنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين
معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة
مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضمون جملتيها ان
الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت
هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان
الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا ومانوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ
استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف
اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره
وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ار فاذن
حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم
ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام
مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على
ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان

ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست
قعدت تحت قول ابي العلاء اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا
وسقي بعض العرب فقال لا اشرب الا على تميلة ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب
تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر
ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجرتها التي منها الزناد
تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى
لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا
من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه ناركم هذه التي توقد بنو ادم جزء من سبعين
جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القوا وهي القفر او للذين
خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم اكل شيئا فسبح باسم
ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك والعظيم
صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال
فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون
وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الاية واياديه الظاهرة واما شكر
الله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في
قوله لئلا اهل الكتاب وقرا الحسن فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت
على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح
ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان تقترن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف
قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع
النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب
افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين
والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها
واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها

وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه
لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع
نجوم القرآن اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع
او كريم على الله **في كتاب مكنون** مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم
وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة
لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على
الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر
احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب
ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان
يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى
طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي
ينزلونه **تنزيل** صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر
لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل وكذلك جرى مجرى
بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف
المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا **افبهذا الحديث** يعني القرآن **انتم مدهنون**
اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون** على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم
التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل
هي قراءة رسول الله صلى الله عليه والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون
به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر
ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون
وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب

مكذب بالحق كاذب ترتيب الآية فلولا ترجعونها فلولا اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير
مدينين ولولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وفي اقرب اليه للمحتضر
غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم
يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله تعالى
وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم
رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا تحييكم به قلتم صدق نؤكد على مذهب
يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم
يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد
فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة في اول السورة
فروح فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه فروح بالضم وقرأ
به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو
الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق **فسلام لك من اصحاب اليمين** اي فسلام لك يا
صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما
فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت بالرفع
والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة **لهو حق اليقين** اي
الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الواقعة ابدا لم يصبه فاقة
ابدا **سورة الحديد مكية تسع وعشرون آية** بسم الله الرحمن الرحيم
جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان
من شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل
باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله ويسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته
بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل
اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه
خالصا ما في السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح **فان قلت** ما محل يحيي

قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون
مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي
النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان
قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه
غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه
الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء اما
الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع
الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء
فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر
العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء
اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم مستخلفين فيه يعني ان الاموال
التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانها مولكم اياها وخولكم الاستمتاع
بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليستهن باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة
الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل
النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما ايديكم بتوريثه
اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا
بالانفاق منها انفسكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع
قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان
وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان
والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج
وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة
ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول
فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم

ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ليخرجكم الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور
الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته لرؤف وقرئ لرؤوف ان لا تنفقوا في ان لا تنفقوا
ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي
غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم
وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال
لا يستوي منكم من انفق قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين
الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح
الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين
قال لهم فيهم النبي صلى الله عليه لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله
وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله القرض
الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه
فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله
وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه
وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على فهو يضاعفه يوم
ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء
يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم
هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على
الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من
الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز يوم يقول بدل من يوم ترى انتظرونا لانهم يسرع
بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تدف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا

لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا
من النظرة وهي الامهال جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم
نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم
وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم نقتبس
او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا
فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط
لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة قيل هو
الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون باطنه باطن السور او الباب وهو الشق
الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب
وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه فضرب بينهم على البناء للفاعل الم
نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وغرتكم الاماني طول الامال والطمع في امتداد الاعمار
حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا
يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فدية ما يفتدى به هي مولاكم قيل اولى بكم وانشد قول
لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقة مولاكم
مجراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو ميتة للكرم اي مكان
لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر
على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء
كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يأن من اني الامر يأني اذا جاء
اناه اي وقته وقرئ الم يأن من ان يئين بمعنى اني يأني والما يأن قيل كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله
استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما

اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما
قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت من
يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى
قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل ولا يكونوا عطف على يخشع وقرئ بالتاء على الالتفات
ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان
بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا
لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا
واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل
من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع
للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله
واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول
وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث
الارض المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا
الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى
الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين
اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية
على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله يريد ان
المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى
التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء
ونورهم فان قلت كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى ان
الله يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه

اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهدا مبتدا ولهم اجرهم خبره اراد ان الدنيا ليست الا
محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الاخرة
فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا
وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب
به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة
فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب
الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين
لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات
وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من
طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض
البسطة كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الاخرة بعث
عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد
والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء
وهم المؤمنون المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس
نحو الاذى والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس او المصائب ان ذلك
ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل
ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء
مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان
ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك
وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه
عند نيله والله لا يحب كل مختال لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال
وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما اتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة
ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند

عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المحزن الحزن المخرج الى ما يذهل
صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي
عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة
الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه
قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من
الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون
به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه
لهم وذلك كله نتيجة فرحهم وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه
ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالاتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل
وقرا نافع فان الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني
الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان
روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد
قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة
والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه ان الله تعالى
انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا
الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه
واحكامه فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم
فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال
ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد
هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والكتاب
والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من
المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم

مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من
امر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ
ابنية العرب وقرئ رافة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه
في صفة اصحاب رسول الله رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة
في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى
فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا
الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان
من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها
من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان
فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه
فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا
على نذرهم ويجوز ان يكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوا صفة لها في محل النصب
اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم
بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله
ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا
بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين
المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين
آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان
خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين
اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون
به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي ليلا يعلم
اهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا

ليعلم صح

لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم
يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله
يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما
ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان
رسول الله صلى الله عليه بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر
عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في
الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما رأوا ما بالمسلمين
من خصاصة استأذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله
الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله
يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين
واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي ان مؤمني اهل
الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم
فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان تعلم بادغام النون في الياء وليتعلم
بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن لئلا بفتح اللام وسكون الياء ورواه
قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت
من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح
كما انشد اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه
من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحديد
كتب من الذين آمنوا بالله ورسله سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قالت عائشة
رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا
عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ

تجاوزك اي تراجعك الكلام وتجاولك اي تسايلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن
الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب
وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها
قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال
ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر
طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكوا الى
الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت
في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل
مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع قلت معناه التوقع لان رسول الله
والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما
يفرج عنها الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار
لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون ساير الامم ما هن امهاتهم وقرى
بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء
في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا
للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن
في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات
وكذلك ازواج رسول الله امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك
في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن ليس بامهات على الحقيقة
ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره
الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف
منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا

قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون
لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا يحل له مماستها الا بعد تقديم
الكفارة ووجه اخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك للامر عائد
اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا
القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما لما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان
يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو
ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة
الاستمتاع بها من جماع او لمس لشهوة او نظر الى فرجها لشهوة ذلكم الحكم
توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم
حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان قلت هل يصح الظهار بغير هذا
اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس
والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا اخر يحرم النظر اليه من الام
كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع
نحو ان يقول انت علي كظهر امتي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام
امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري
والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو
قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات
والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم
لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة
ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من
الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع
من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان
يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله ظاهرت

من امر فيهم التصرف حكمها في الملة فشرائعها فقال عليه السلام استغفر ربك
وكاتعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار قلت المسلمة والكافرة
جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي لا تجزي الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل
فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي ام الولد والمكاتب الذي اد شيئا فان لم يؤد جاز
وعند الشافعي لا يجوز فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس
قلت عليه ان يستانف ها مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف
ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيخبر به وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى
فان قلت كم يعطى المسكين في الاطعام قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند
ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلد الذي تقتات فيه فان قلت فما بال التمر
لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند
ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المس وانما ترك
ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف لما يستانف الصوم
اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر لذلك له على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في
ان يتماسا لام يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من الظهار او الظاهر منهما ذلك البيان
والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي شرعها من الظهار وغيره
ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا
يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم يحادون يعادون ويشاقون كتبوا اخزوا
واخذلوا كما كتب من قبلهم من اعداء الرسل قبل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا اياتا
بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين هذه الايات عذاب مهين يذهب
بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم منصوب بلهم او مهين او باذكر راذكر بعظيما لليوم جميعا
كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول جمعتهم فلبثتهم
بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يقفون على اعمالهم الشارعة بهم الى النار لما
يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله احاط به علما وحفظا لم يفته منه شيء ونسوه

قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقط ونسي لاهتمامها وتواريه حين ان لكثرة لم يبالوا به لصغرها وتهاونهم بالمعاصي وانما تحفظ بحفظ الامور ما يكون من كان التاء وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تابيتها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي ولا تخلو اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل واقيم المضاف اليهم مقامه كقوله خلصوا نجيا وقرأ ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار تنا جون لان نجوى يدل عليه او تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما تزعمون يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم بسمعه ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في اربعة وجيء ابني عمر وصفوان من امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق ان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اغداد اهل النجوى والمتخايلين للشورى والمتدبرون لذلك ليتسوا بكل جدوا نهم طائفة مختصة من اولي النهى والاحلام ورفقة من اهل الرأي والتجارب واقل عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ما اقتضته الحال وجاز به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب لفف نفرا لامر شورى بين ستة ولم يتجاوزها الى سابع فذكر عمرو علا الثلثة والخمسة وقال لا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال لا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع اسمها في لفظك اجول ولا قوة الا بالله بفتح الجول ورفع

القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما
عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين
عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه
معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وكانه مشاهدهم ومحاضرهم
وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم
رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول ومخالفته وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول **حيوك**
بما لم يحيك الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله
تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي **لولا يعذبنا الله**
بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله
تعالى حسبهم جهنم عذابا يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز
ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا
بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه اذا كنتم ثلثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما
فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم
فلا تنتجوا انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن
الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا و
يحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله **فان قلت** كيف
لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله **قلت** كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم
وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن
بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على
الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن **تفسحوا في المجلس** توسعوا فيه وليفسح بعضكم
على بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس

مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال
وقرئ في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على
الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس في جلوسكم ولا تتضايقوا
فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر
والقبر وغير ذلك **انشزوا** انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول
الله اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلاة والجهاد
واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا **يرفع الله** المؤمنين بامتثال
اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما يعملون قرئ بالتاء والياء
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه
الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه بين العالم والعابد مائة درجة
بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع القيامة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة
رسول الله وعن ابن عباس خير سليمن بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي
المال والملك وقال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم
وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم
وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير
وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكوره الرجال **بين يدي نجويكم** استعارة
ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه
الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته
ذلكم التقديم **خير لكم** في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا
مناجاة رسول الله بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا

بان اراد ان يأتيه فقم قبل مجيئه فصدقه قال على رضي الله عنه لما نزلت على رسول الله فقال لما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما اولد ذلك اشتد عليهم فانزل عفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه انه قال بالله لا يأتي ما عملها احد قبلي ولا يعملها احد بعدي كان دينارا فصرفته فكنت اذا اتيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألت رسول الله وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالاية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة **اأشفقتم** اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق والذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشا فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعدكم ورخص لكم وان لا تفعلوه فلا يفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات **بما تعملون** قرئ بالتاء والياء كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينا صحوهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين **ما هم منكم** يا مسلمون **ولا منهم** ولا من اليهود لقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء **ويحلفون على الكذب** اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو اد عاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب تحت **فان قلت** فما فائدة قوله وهم يعلمون **قلت** الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر اولم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالعمومي وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه ثم يرفع حديثه الى اليهود فبلغ رسول الله في مجلس فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق بجماعة باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت **عذابا شديدا** نوعا من العذاب متفاقما **انهم ساء ما كانوا يعملون** يعني انهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او في حكاية ما يقال لهم في الاخرة وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي جلفوا بها او ايمانهم التي اظهروها جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب **من الله من عذاب شيئا قليلا** من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لنتصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا واولادنا فيحلفون لله تعالى كما يحلفون لكم مسلمون في الاخرة **كما يحلفون لكم** في الدنيا على ذلك **ويحسبون انهم** على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرارا فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعلون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع علم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الاخرة والقرآن ناطق ببيانه نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الاية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استظهارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبان ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم **الا انهم هم الكاذبون** يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول المكذب حيث اشتوت جالهم فيه في الدنيا والاخرة **استحوذ عليهم** استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان اخوذ يانسيح وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى حملهم وغلبهم وحزبه قائمهم ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيدة

حزب الشيطان جملة في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم
كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما لا تجد قوما من
باب التخييل حيث ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه
لا ينبغي ان يكون ذلك وجهة ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر
عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس
من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم ويقوله
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله او لئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله الا
تجد شيئا ادخل في الاخلاص من معاداة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه
بلطف من عنده حيث به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه
في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن
يعجب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه وزيره المنصور في الطواف فلما
عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق
عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله
عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله فصكه صكة منها فقال له رسول الله او فعلته
قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح
قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول
الله دعني اكن في الرعيلة الاولى فقال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة
سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله
العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة
والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم
القيامة سورة الحشر مدنية اربع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا

قالوا هو النبي الذي بعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة
فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم
صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقالوا لهم اخرجوا من المدينة فقالوا
الموت احب الينا من ذل فتادوا بالحرب فقيل استمهلوا رسول الله عشرة ايام ليتحهزوا
للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق وكان صاحبه انهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها
فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين
طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان لهم ما حملت الابل على بعير ما شاء من متاعهم فجلوا
الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب
فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة الام في قوله لاول الحشر يتعلق باخرج واللام
في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقوله حيثه لوقت كذا والمعنى اخرج الذين
كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا ممن سكن
جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول
حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم حشر
يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ها هنا يعني الشام
فليقرا هذه الاية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول الحشر لقتالهم لانه اول
قتال قاتلهم رسول الله ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة
حصونهم وكثرة عددهم وعددهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله فاتاهم
امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم
كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وقلل من شوكتهم وسلب
قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المومنين
في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يسولون لهم عن

مظاهرتهم وهذا اكله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اي فرق
بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم
الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما
لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها
باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذاك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم
وقرئ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه
وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا
لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب
والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون
ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم
ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة
وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في
ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم
ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين
قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا
بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل
وعد رسول الله المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال
يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم
وتوريثهم اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى
اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني
قريظة ولهم سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من
عذاب الاخرة من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شيء
قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة

النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل
وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم
اشتقوها من اللين قال ذو الرمة كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء
يهفو جنوبها وقرئ قوما وعلى اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن
او اكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله
فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذن في
قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه حين امر ان تقطع نخلهم وتحرق قالوا
يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في
انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا
ويضاعف لكم حسرة اذا رايتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون
فيها ما شاؤوا واتفق العلماء ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق
وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير
مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فان قلت لم خصت
اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية
وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان رجلين كانا يقطعان
احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله
وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه
بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب
افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة والايجاف من الوجيف وهو السير
السريع ومنه قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل
ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه
خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان
ما خول الله رسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلط

وجمعها لين صح

الله عليهم وعلى ما في ايديهم لما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه
يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنايم التي توتل عليها واخذت عنوة وهو
ودلك انهم طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى
فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افآ الله عليه وامر ان يضعه
حيث يضع الخمس من الغنايم مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة
بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة
وادال الله فلانا ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه
ان يقطى الفقراء ليلوزهم بلغة يعيشون لها جدا بين الاغنياء تكاثرون به او كيلا يكون
دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة
لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون اخذ
غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من
غلب منهم اخذ واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالعولة اسم ما يغتر وبعنى كيلا
يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه ولا يصيب الفقراء والدولة
بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم
لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة بمعنى
كيلا يقع دولة جاهلية وليتطرق اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاورا
بينهم غير مخرج الى الفقراء وما اتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا عنه ولا تبتغوه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه ونهاكم وتوانهيه
وتواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول
الله وفي عنه وامر النبي داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لعن رجلا
مجرما وعليه ثيابه فقال له اتدع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي فهذا به من كتاب
الله قال لعم فقراها عليه للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال
من لله وللرسول المعطوف عليهما وان كان للمعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله

رسوله من الغفراء في قوله ويصرفون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من ظلال الواجب في تعظيم الله عز وعلا اولئك
هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار
فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوأ الايمان قلت معناه تبوؤا
الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان مستقرا
ومتوطنا لهم ليتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك اوارادوا
دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف
من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور
الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان
وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه
مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال اخذ منه حاجته
واعطاه من ماله حاجته بمعنى انفسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه
تحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة
في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه قسم اموال بني
النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين اباد جانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم
وديارهم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم
لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالقسمة
ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللوم وان يكون نفس الرجل
كز حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا بين جنبيه كز اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد ضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى
واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امر به منه وخالف
هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق

يعون

والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل الذين جاءوا بعد الانصار الى يوم القيامة بإحسان علما وفرى وهما الجهد لاخواننا للذين تبنتم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا ابناء الوطن ويناصرونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله والمسلمين ان جمكنا عليه او في خذلانكم واخلافا وعدنا كم من النصرة لكاذبون اى في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب فان قلت كيف قيل ولين نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولين يصروهم على الفرض والتقدير كقوله لين اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم حالا لو كان كيف يكون والمعنى ولين نصر المنافقون اليهود ليهزمن من المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى فلكلهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم وليهزمن يعني اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين رهبة معدل رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دال على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولى باس وبجدة فكانوا يتسبجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حق يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوا لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصره معكم وقرى جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد يعني ان البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم ثم يبق لكم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة

متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حتى يتعاضد ولا يزمون عن قوس واحدة وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ازواحهم كمثل الذين من قبلهم اى مثلهم كمثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلا وبيل وخيم سيئ العاقبة ذاقوا عذاب العقبى في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم مخاذلتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذ استغوى الانسان يكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواء قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقرا ابن مسعود خالدا ان بها على انه خبر ان وفي النار للغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرى انا بريء وعاقبتهما بالرفع كقراءة من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات بالنصب والرفع اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن ما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والعد يوم القيامة شبه ما اليوم الذي يليه مما تقدمه وعن الحسن لم ينل يقربه حتى جعله كالغد ونحو قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة لها ان يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال الانفس النواظر فيما قدمت للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك الغد اما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حتى انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عند الله وفارقهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة ونهاية كهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار

والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا
ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه
بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية
على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر هذا تمثيل
وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة على السموات وقد دل عليه قوله وتلك الامثال
نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن
وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل
والى امثاله في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده
وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة
والقدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح
وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة
ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في
اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن على حذف الجار كما
يقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب
على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر
خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده
والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل
وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ
المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن ابي هريرة
رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر
قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحشر
غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي

صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه بالمدينة وهو يتجهز للفتح
فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم
الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة
فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة
واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب
بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه يريدكم فخذوا حذركم فخرجت
سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث الله عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا
مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل
سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول
الله امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما
حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم
منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي غريرا فيهم اي غريبا ولم اكن من
انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه
وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق
هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدي اتخذ
الى مفعوليه وهما عدوي اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة
المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق
بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت
اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون

اليهم انتم بالمودة قلت انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين
اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والقاء عبارة عن ايصال المودة
والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة
اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما ثابتة على ان مفعول تلقون
محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك
قوله تسرون اليهم بالمودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما
من تلقون اي لا تتولوهم او تودونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم
وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان
كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله
هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف ومعناه اي طائل لكم في
اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على
ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا الجحدري
لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه
سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا
يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم وايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا
لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطاء عظيم منكم ومغالطة
لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا
مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم
الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا
اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها
دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم
اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم

اي تفضون اليهم بمودتكم سرا ويسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب المودة

عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من
اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطا رايهم في موالاة
الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال اقتضى تلك الموالاة ثانيا
ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل
على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل
بالنون قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي
بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم للكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة
وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم
ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا
بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض
الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان
آلهتكم وما انتم عندنا على شيء فان قلت مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله
اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه
سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو
اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا
ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد
الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما
في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء
وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين
بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار
والائتساء بابرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة
به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ براء كشركاء وبراء
كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف

بالمصدر والبراءة والبراءة كالظهار والظهارة ثم كرر الحث على الايتساء
بابراهيم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم
لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من
التوكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الايات تشددا المؤمنون في عداوة
اباهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما راى الله
منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة
والمواصلة رحمهم فوعدهم بتيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اطفر هم الله
بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التجانس والتصافي ما تم وقيل تزوج
رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واستدخت شكيمته
في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش
الى الحبشة فتنصر وارادها على التنصر فابت وصبرت على دينها وما توفي زوجها
فبعث رسول الله الى النجاشي يخطبها عليه وساق عنه اليها اربع مائة دينار وبلغ ذلك
ابا سفيان فقال ذاك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حسبما يقولون في بعض
الجوابات عسى واعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور
رحيم لمن اسلم من المشركين ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من
الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا
رحمة لهم لتشددهم وجلدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث
رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم
خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم آل حين
اسلموا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر
امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة هدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فسالت

فنزلت فامرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة
نسخها آية القتال وتقسطوا اليهم وتعطوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم ونا هيك
بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتجانبوا ظلمهم متوعدا
من جار مسلم بخترى على ظلم اخيه المسلم اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او هاجرن
مشرفات لاثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في
الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه يقول للممتحنة
بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض
بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن
منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئنون بمعه نفوسكم وان استحلفتموهن وردتم اجورهن
وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يسوغ الحكم به
الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا ترددوهن الى ازواجهن
المشركين لانه لا يحل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما
دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة رددتموه
اليهم ومن اتى مكة منكم لم ترد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموا فجاءت سبيعة
بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي
وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان نرد علينا
من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال
دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله وبين المشركين عهد ان لا ياتيك منا امراة
الا رددتها علينا فانه خلى سبيلها فانزل الله في دينك ولها روح ان ترد على زوجها
الذي انفق عليها وللنبي عليه السلام من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا
الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها
عمر فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب

وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله
ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم
لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر
من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه
الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج
هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما
ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم
ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن
به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق
وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما
او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها
الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني
اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة
كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي
المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
وسلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور
نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم
الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله
على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت الآية ادى
المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين ان يؤدوا شيئا من
مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم
شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت هل لايقاع شيء
في هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر

وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي
النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك
مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت
عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم
فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم
في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك
عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم
فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر
وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع
من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين وقيل راجعة عن الاسلام ست نسوة ام
الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت
عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة
بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام
بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله مهور نسائهم من الغنيمة
ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك
كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجلها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان
بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف
فيما تامرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله
فهو معروف فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يامر
الا بمعروف قلت نبه ذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي
والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال

اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن
بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول
الله ان يعرفها فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت
والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع
الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح
وابي اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى
وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت
نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي
رواية ما زنت منهن امراة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم
كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى
استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر وما تامرنا
قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله
ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح
من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان
عمر يصافحهن عنه روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم
رسول الله وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا
او يرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من
خير الاخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه من قرا
سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة سورة الصف مكية
وهي اربع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك
بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد

واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف
على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثة
اربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف
الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه
ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل
لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد
ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت
ولم يصبر وقيل قد اذى المسلمين رجل وبكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر
لصهيب اخبر النبي عليه السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول
الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت
المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه في
معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى
التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن
نظائره واشكاله واسند الى ان يقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت
لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر
على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذاك لانه
اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد كبر ثم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك
وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامروني
ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات
في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون
صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل

بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات
حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال
راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان
متداخلتان اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا
تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته
وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة و
والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني
عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان
تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم
رسوله ولان من اذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان
منع اللطافة والله لا يهدي الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان
قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما
يقينا لا شبهة لكم فيه قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب
له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي
حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا
ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران
الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة
احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق
ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في
الرسول بمعنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز
ان تعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت
صلات لم يتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين واي الناس اشد
ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل

فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده
الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى
يدعى دعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعوا وهو الله عز وجل اصله
يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة
تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا
ابا لك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا ابا لك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في
ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة
ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة
له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن
مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه تنجيكم قرئ
مخففا ومثقلا وتؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في
معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود امنوا بالله ورسوله
وجاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل
فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك جعلت المغفرة
لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه
قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالجهاد بالايمان والجهاد
فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي
الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك
كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله
لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها
بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس
بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني

ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله ان كنتم
تعلمون قلت معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم
ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون
وتفلحون واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة
نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل
وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل
فان قلت علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه
قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت
لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون
نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا
قرئ كونوا انصار الله وانصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حتم
للنصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول
عيسى صلوات الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد
كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله فان قلت ما
معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار
الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف
اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون ومعنى من انصاري من الانصار
الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه
لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم
اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو
البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي
وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في رتبته الحوالي الكثير الحيل
فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فايدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم

عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه سورة الجمعة
مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم قرئت
صفات الله عز وعلا بالرفع كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب
الحمد لله اهل الحمد الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم
وقيل بدأت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث
في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث
اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ
في الاميين بحذف ياء النسب يتلو عليهم يقرؤها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه
قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث
الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان في وان كانوا هي المخففة من الثقيلة
واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين مجرور عطف على الاميين
يعني انه بعث في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم
الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان
ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم
القيامة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم
اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز
الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة
البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي آتنا عصره وبني آبنا العصور
الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاه ويقتضيه حكمته شبه اليهود في انهم
حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين
بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه والبشارة به ولم يؤمنوا به
بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي ولا يدري منها الا

ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله
وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات
الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه ومعنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل
بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية أي
حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الأسفار فإن قلت
يحمل ما محله قلت النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله
ولقد أمر على اللئيم يسبني هاد يهود إذا تهود أولياء لله كانوا يقولون نحن أبناء
الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم
سريعا إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه ثم قال ولا تتمنونه أبدا بسبب ما قدموا
من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص
بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من
ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد أن يتمنى وهي إحدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت
بكسر الواو وتشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا
أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه
ولا يتمنونه ثم قيل لهم إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون أن يتمنوه خيفة أن تؤخذوا
بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من
العقاب وقرأ زيد بن علي إنه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة
وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل أن الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه
في قراءة زيد أي أن الموت هو الذي الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف إنه ملاقيكم يوم
الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت
الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن
جميعا فإن قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لإذا وتفسير له والنداء
الأذان وقالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله مؤذن واحد

واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو
بكر وعلى ذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر
بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام
للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها
العروبة وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل
ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود
ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ
ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة
كانت في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه فهي أنه لما قدم المدينة
مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء
والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة
في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود
في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين
وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه
ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه
الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا
ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد وعنه أن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار
وعن كعب أن الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال عليه
السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث إذا
كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب
يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد

الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام
ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فراى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم واخذ
يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي
حنيفة رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى
الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها
الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث
وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام
او من ولاه من قاض او صاحب شرطه لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد
فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافر
والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي
الا بقائد وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع
رجلا يقرا فاسعوا فقال من اقراك هذا فقال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت
فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف
في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي
على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه ان ابن عمر
سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله
الى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان اقتصر الخطيب
على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله جاز وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد
لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج
منكم الى امام قوال وسياتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد
وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة
وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء
المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم

والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر
الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي
في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله
من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم
وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق
بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة وتتكاثر
البيع والشرى فلما كان ذلك مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا
تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا
البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فان قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه
محرما فهل هو فاسد قلت عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع
لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب
المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد ثم اطلق لهم ما حظر
عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا
يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا
ينقصون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من
الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن
المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة
بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الاية روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه يخطب يوم الجمعة
فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا
عشر واربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم
الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن
قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم غير فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام

في صلاة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة يستأنف
الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر
اذا نفروا قبل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره
اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
وكذلك قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ
اليهما عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
من اتى الجمعة وبعدد من لم ياتها في امصار المسلمين سورة المنافقين مدنية وهي
احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز
وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم
لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن
المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد
انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر
على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت
لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب
فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الابهام اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان
يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف
فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع
اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا
للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم
ويعضده قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس
عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله
ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا انهم امنوا ثم

ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك
كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فخسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون
لم يكونوا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله امنوا ثم كفروا قلت فيه ثلاثة اوجه احدها
امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم
بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في
غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر
عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزئون والثالث
ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي فطبع الله كان عبد
الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل
صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله فيستندون فيه ولهم
جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه ومن حضر يعجبون بهياكلهم
ويستمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا
في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط
ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام
متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد
ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها
في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رايتهم تعجبك لرسول الله او لكل من يخاطب
وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او هو كلام
مستانف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر
وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشبا
والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني

مفعولي يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم
وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت
ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم
ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل • ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا
تكر عليهم ورجالا • يوقف على عليهم ويبتدأهم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان
اعدا الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغتر
بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان
يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان تقدر مضاف محذوف
على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم و
يخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعو عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق
تعجبا من جهلهم وضلالتهم لووا رؤوسهم عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك
واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي ان رسول الله صلى الله عليه حين
لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه
بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا
فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما
مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم
اجللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه
فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا حتى ينفضوا
من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل
المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت
فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني اضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال

فقال اذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به
انصاريا فقال فكيف اذا اتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لعبد
الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من
ذلك ان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله
شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فروي ان رسول الله قال
لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا
فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله
قد صدقك وكذبك المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب
وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا
وقال وراك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا
في يده حتى امره رسول الله بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن
عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله
قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى راسه ثم قال قال
امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت
واذا قيل لهم تعالوا ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار
وعدمه لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على
حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرا ابو جعفر استغفرت اشباعا لهمزة
الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في السحر والله ينفضوا يتفرقوا
وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا
مزاودهم ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان
ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون
بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن

على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة ليخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل
ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل ولله العزة والغلبة والقوة ولمن
أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان
للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست
على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه
الآية لا تلهكم لا يشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على
طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها
ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من
معايشهم في حيوتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون
شيء وأدونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وإيثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل
بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني
وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن
وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل
أن يأتي أحدكم الموت من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما يأيس معه من الإمهال ويضيق
به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على
فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل
توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال له أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج
من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة
ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم
أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن
ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة
لولا أخرتني وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي إلى أجل قريب إلى زمان قليل فأصدق

فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني
أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا
أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة
المنفي الحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه
ناجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا
المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ تعملون بالتاء
والياء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن
مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد لله عز وجل وذلك لأن الملك
على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن
أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد
بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت
بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم
اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن
العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع
تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه
الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم بالخلق وهم الدهرية
ومنكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم
الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع
علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من
وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق
العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل إنحاؤهم باللوائم

على الكلام اشد قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم يقبح القبيح عالم بقباحته غنى عنه فعلمنا
علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا
وان يكون له وجه حسن وحقا وجه الحسن عليها لا يقدح في حسن اثر مخلوقاته
جعلنا بداعي الحكمة الى خلقها بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها
مقارا للمكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا
واليه مصيركم فنجزاكم وكم على الشكر والتفريط فيه فان قلت كيف احسن صورهم قلت
جعلهم احسن الحيوان كله وانهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما
يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل
في احسن تقويم فان قلت فكم من قبيح مشوه الصور سليم الخلقة تقبحه العيون
قلت لاسماجته ثم ولكل الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلا يخلو بعض الصور
عن مراتب ما فوقها بحطاطا بينا واضافتها الى ما تلوى على حلها لا استملح والا فهي داخلة
في حد الحسن غير خارجة من حده الا ترى انك قد تعجب بصور وتستملحها ولا ترى
الدنيا بها ثم ترى املح واعلى ومراتب الحسن فيها عزا الاولى لطرفك وتستشقل النظر اليها
بعدا فتتانك بها وتهالك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان بنية
بعليه ما في السموات والارض ثم بعليه ما يشرع العباد ويعلنونه ثم بعليه دواب الفلوات
ان شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان تتقى ويحذر ولا
يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما دل عليه بعد قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يخفى الخالق ولا تشكر
نعمته فما احصل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على
عباده والكفر اعظم كفران من العباد لربهم الم يأتكم الخطاب للكفار مكة وذلك ان
الامم الذكورة من الرسل التي دانت في الدنيا وما اعقبهم من العذاب الى اخرهم بانه بان الشان
والحديث كانت تاتيهم رسلهم البينات فكذبوا انكروا ان تكون الرسل بشرا ولم ينكروا
ان يكون الله بجبرا واستغنى الله الملك الذي لا يتناهى ولا يتناهى ومن جملة ايمانهم وطاعتهم فان قلت

فان قلت قوله وتولوا واستغنى يوهم وجود التولي والاستغناء والله تعالى لم
يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم
اليه مع قدرته على ذلك الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية
الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي
العلم قال ولم ار زعيما عن ذا كل مغزلا وانتصب ما في حنين قاموا مقامها والدير كفروا اهل
مكة ويلي استئناف لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي يصرفه عنه صارف وعني
برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وقرئ يجمعكم ويكفر ويدخله بالياء فان قلت بم انتصب الظرف
قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم
او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون يوم التغابن مستعار من تغابن
القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء والاشقياء منازل
السعداء لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا اشقياء وفيه هلكة الاشقياء لان يزدادوا
ليس بغبين وفي حديث رسول الله صلى الله عليه ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار
لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده لو احسن ليزداد حسرة وتنتفي
بذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه هو التغابن
في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت ويعمل صالحا صفة للمصدر اي عملا
صالحا الا باذن الله الا بتقدير ومشيته كانه اذن للمصيبة اي تصيبه يهد قلبه يلطف به
ويشرحه للارتياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الفحام يهد
قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان اهل
صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع
او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى
ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه لقوله لمن كان له قلب وقرئ
يهد قلبه بالنون ويهد قلبه بمعنى يهتد ويهدا قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف
والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه

فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب
وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله على التوكل عليه والتقوى به في امره حتى ينصره
على من كذبه وتوفي عنه ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن
الاولاد اولادا يعادون اباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم
الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا
منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة
ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم وقيل ان ناسا ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم
واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم
فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم
الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي
ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو وتعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم فنزلت
فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله
عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض
السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين
وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر
فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في
خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما
ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا
فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا
لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع
وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال

الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض
تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبع مائة الى ما شاء من الزيادة
وقرئ يضعفه شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك
حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول
الله صلى الله عليه من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة سورة الطلاق احدى
عشرة او اثنتا عشرة اية وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
خص النبي صلى الله عليه بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس
القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه
مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في
حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على
تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه
ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات
لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه في
قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للفقراء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق
وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله
كانوا يستحبون ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان
احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة
الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما
كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما متفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله
عليه انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر
استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها
حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء

وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو
مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت
والشافعي يراعي الوقت وحده فإن قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم
لما روي عن النبي صلى الله عليه أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب
الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال
له إذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق
امرأته ثلاثا إلا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق
السنة فخالف فإن قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول
بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث
في الأشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة إلا واحدة وأما غير المدخول
بها فلا تطلق للسنة إلا واحدة ولا يراعي الوقت فإن قلت هل يكره أن يطلق المدخول بها
واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة فإن قلت قوله إذا طلقتم
النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر و
الحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن
النساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن
يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول
بهن من المعتدات وأحصوا العدة واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات
كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها
قبل العدة وهي بيوت الأزواج وأضيفت إليهن اختصاصها بهن من حيث السكنى فإن قلت
ما معنى الجمع بين إخراجهن وخروجهن قلت معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا
عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن
ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك إلا أن يأتين

بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنى يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد
عليهن وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل إلا أن يبدون فيحل
إخراجهن لبدائهن ويؤكده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة
فاحشة في نفسه الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة
عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن
وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فإذا بلغن أجلهن وهو آخر العدة
وشارفنه وأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم
فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا
للعدة عليها وتعذيبا لها واستشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد
مندوب إليه عند أبي حنيفة رضي الله عنه لقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند
الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه في ذلك الفرقة وقيل فائدة الإشهاد
أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي
الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم
لله لوجهه خالصا وذلك أن يقيموها لا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى
إقامة الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أي ذلكم الحث
على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز أن يكون
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن والأبعد
من الندم ويكون ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق
ويفرج عنه ويتنفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه
إن أرفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه أنه سئل
عمن طلق ثلاثا وألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق
الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها

على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا
من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من سكرات
الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية
لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها ان عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله فقال اسر ابني وشكا اليه
الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ فرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تفلت عنها
العدو فاساقها فنزلت هذه الآية بالغ امره اي بلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه
مطلوب وقرئ بالغ امرَ بالاضافة وبالغ امرُ بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل بالغا
امرُ على ان قوله قد جعل الله حبرا ان وبالغا حال قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجه
التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره
وتوقيته لم يبق له الا التسليم للمقدر والتوكل روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات
الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فيجب ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم
كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم اليائسات ما هو دم حيض وقد رأين
سنة وخمس حسبن ما رأين دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت هذه
عدة المرتابات فغير المرتابات اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن
ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات
والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن
عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة
النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام
سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه فقال لها قد حللت فانكحي يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويجعل من
عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمبقى ومن

من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك يستوجب
تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله
ومن يتق الله كانه قيل كيف نجعل التقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن فان قلت
من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية منبعضها محذوف تقديره اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم لقوله تعالى يخربون بيوتهم اي بعض ابصارهم
قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت فما تقوله من وجدكم
قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن
مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكن
والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها
وعن الحسن حماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها انتطلاقها فقال
لها رسول الله لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول
امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه يقول لها السكنى والنفقة ولا
تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن بعض الايذاء من انتقال
من لا يوافقكن او يشغل مكانهن وغير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها
اذا بقي من عدتها يوم ان يضيق عليها امرها وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت
فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن قلت فائدته ان ظن الجمل بما طال فظن ان النفقة تسقط اذا مضى
من عدتها ما يعلم انه لا يكون بعده حمل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت مختلف
فيها فالكثرون على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من احبر الرجل على النفقة عليه من امرأته
او ولده الصغير لا يجب ان يبقى عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة
انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيركم
او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا

يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن
ويجوز عند الشافعي الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم
وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء
والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه
ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة
كما تقول لمن يستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لمن تبقى غير مقضية
وانت ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان
عاسرته امه لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من
الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق وقرا ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله
موعد للفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الارواح ان انفقوا
ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد
حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ
الماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله
ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا
تكريرا للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك
يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء
السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من
العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لكائن رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان
انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك

لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد
وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كانه ذكر
او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم
ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي
انزل الله ان ذكر رسولا وقرئ رسول على هو رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين امنوا
بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت
انزاله غير مؤمنين وانما امنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم
يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق مبتدا وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا
على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين
سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل
السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ وعن قتادة
في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر
فيهن من عجائب تدبيره وقرئ يندل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق ساله هل تحت
الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن ليعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول
الله صلى الله عليه من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله سورة التحريم مدنية
وهي ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي بسم الله الرحمن الرحيم
روي ان رسول الله صلى الله عليه خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي
فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها
بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت
مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام
وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا

في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح
المغافير وكان يكره رسول الله التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك
من ملك اليمين أو من العسل وتبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا
زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة
ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور
قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة
أيمانكم فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك فلان في يمينه
إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك إذا أطلقها وذلك أن يقول
إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله
عليه السلام لا يموت لرجل ثلثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم وقول ذي الرمة
قليلا كتحليل الألى فإن قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فأبو حنيفة
يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف
على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار
فظهار وإن نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال
نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال
عليه حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن
سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن
عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي
وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق
لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس
بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله
لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لأحد أن يحرمه ولا أن يصير
بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله أنه قال لما أحله الله هو حرام علي وإنما امتنع من

من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما
أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه
قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة
أيمانكم أنه كانت منه يمين فإن قلت هل كفر رسول الله صلى الله عليه لذلك قلت عن
الحسن أنه لم يكفر لأنه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن مقاتل أن
رسول الله أعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي أموركم وهو العليم
بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما توجبه الحكمة وقيل
مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصاحكم لأنفسكم بعض
أزواجه حفصة والحديث الذي أسر إليها حديث مارية وإمامة الشيخين فلما نبأت به
أفشته إلى عائشة وقرئ أنبأت به وأظهره وأطلع النبي عليه السلام عليه على الحديث
أي على إفشائه على لسان جبريل وقيل أظهره الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه
أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي
جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت أولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل المعرف
حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه قال لها ألم أقل لك اكتمي علي
قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها فإن
قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع
إليه ومن المعرف وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها
وأن رسول الله صلى الله عليه بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه وهو حديث
الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ذكر
المنبأ كيف أتى بضميره إن تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون
أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه
فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من

هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت
قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه وان
تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة
من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا
له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين
يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل
الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد
به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم
ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب
بغير واو على اللفظ لان لفظ الواو والجمع واحد كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها
حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد
واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت بعد
قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح
المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه
فضل نصرته بهم ومظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ
تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد لكثرة مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح
لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه
الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة
ساحة الا الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء

نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله بعصيانهن له وايذائهن
اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله
والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام
بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط
بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان لا تجتمعان فيهما اجتماعهن في سائر الصفات
فلم يكن بد من الواو قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون
به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم
جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله
وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم
وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده
فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما
معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة
كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا
اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة
يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اي جفاء وقوة
او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام
من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي امره كقوله تعالى
افعصيت امري او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت
لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية
انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله
المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة

فقل للذين امنوا قولوا لانفسكم يا حنبل يسوق مكانه الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة
ويجوز ان يامرهم بالتوبة من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين
امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله بعد يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا انه لا عذر لكم او كانه
قيل لهم ذلك لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصف التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة
التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها متداركة للفرطات
ناجية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها وان يمضوا على عقيدتين ما شد
الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبايح الى ان يعود اللبن في
الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني
استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال
وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرايض الاعادة
وردة المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة
الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة
يحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن سفيان بن عيينة حسب ان لا يعود ولو
جز بالسيف واحرق بالنار وعن الشبلي ان سئل الذئب قلت فيه الحياة من الله امام عينك
وتستعد للمطرك وقيل توبة الاشياب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بتصديق النفس والمؤمنين
لان من صحت توبته اجبل الناس مثله وقيل يعرض حاجة الثوب اي توبة ترقو
خرقك في دينك وترتم خللك وقيل حالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان
يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل على مقتضاها وقد ارتدف على توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح
النصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا ذو توبوا
لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم الماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون
على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت

والبت والثاني ان يجري مجرى بعثهم للعباد وجوب الترجي بين الخوف والرجاء والذي يدل
على الجهتين الاقوال اذ قرأ ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان
يكفر كانه قيل توبوا يوجب التكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي نصب بيدخلكم ولا يجوز
تعريض بمن اخزاه الله من اهل الكفر والفسوق واستعماده الى المؤمنين على انه يعصمهم من مثل
حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يعطون ذلك واطفئ نور المنافقين
اشفاقا وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعونه تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك
وهو مغفور له وقيل يقوله اذا هم منزله لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم
لان النور على قدر الاعمال فيسألون اعاما تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على
الصراط وبعضهم كالريح وجنوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت
كيف يشفقون والمؤمنون امنون من ذلك اما يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع
الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت انما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة
البشرية وان كانوا معتقدين للامن والتقرب فلما كانت حالهم حال المتقربين حيث يطلبون
ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج و
استعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما يجاهدهما به من القتال والمجاهدة وعن قتادة
مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم
مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم
من غير ابقاء ولا مجاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من اللحمة نسب
او وصلة صهر لان عداوتهم لهم ولكفرهم بالله ورسوله قطع العلايق وبتت الوصل وجعلهم
ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي تتصل به الكافر نبيا من انبياء الله كحال امرأة
نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم تغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من
وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع
سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع ادخلا مثواكما من قوم نوح
وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم

وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله الناطق
بالكلمة العظمى ومريم بنت عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء
على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين
في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده
لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة
الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على
انهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح
لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار التنزيل ورموزه في كل باب
بالغة من اللطف والخفاء حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله
من عبادنا قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده
هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين
العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح
وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما
يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما قلت
نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون
وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع
نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا
وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه
السلام آمنت حين سمعت تتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون
وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها
وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على
جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتنعم
فيها وقيل لما قالت رب ابن لي اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب

تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت
القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت
ارتفاع الدرجة في الجنة وان يكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى
فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون
الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم
والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة
بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في
هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل
وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت
قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو
معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي
انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله
به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى
وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت
صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء
الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي
صلى الله عليه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سألت رسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني
مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم
امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار

باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمي آسية وقد قرن بينها
وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وأبى الله إلا أن يجعل للمصنوع إمارة تنم عليه وكلام رسول
الله أحكم وأسلم من ذاك عن رسول صلى الله عليه من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا سورة
الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات
المخلوقين الذي بيده الملك وهو على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير
وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحياة ما يصح بوجوده الإحساس وقيل
ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى
خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها
المكلفون ليبلوكم وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل
المختبر فإن قلت من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث أنه تضمن معنى
العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه
الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا فإن قلت أتسمي هذا
تعليقا قلت لا إنما التعليق أن يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما
عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا
بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت
أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا كان خالصا
غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب
أن يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن
عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله يعني أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأغراضه
والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو
داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم
الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه

لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسبوق له الآية أهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل
الغفور لمن تاب من أهل الإساءة طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها
طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ
من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته
أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة
التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت
وفي نقيضه متناصف فإن قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة
لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن
وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي
يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله فارجع البصر
متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح
عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل
ومعناه شق اللحم فطلع وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا
ينقلب إليك إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل
وإدراك العيب بل يرجع إليك بالخسوء والحسور أي بالبعد عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن
ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالإعياء والكلال لطول الإحالة والترديد فإن قلت كيف ينقلب
البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة لقولك لبيك
وسعديك تريد إجابات كثيرة بعضها في أثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك
أي باطلا بعد باطل فإن قلت فما معنى ثم ارجع قلت أمره برجع البصر ثم أمره
بأن لا يقتنع بالرجعة الأولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم
بصره ثم يعاود ويعاود إلى أن يحسر بصره من طول المعاودة فإنه لا يعثر
على شيء من فطور الدنيا القربى لأنها أقرب السموات إلى الناس ومعناها السماء

الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ومدورهم
باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي
باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها
رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في
ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين
وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد
بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يبتغون الكهانة ويتخذون
النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم
للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم
يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ
من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من تقتله الشهاب
ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس
وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في
الدنيا وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم ليس الشياطين
المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا
فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم
سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها ومن انفسهم كقوله لهم فيها زفير
وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز
غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا
وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم ياتكم نذير يزدادونه عذابا توبيخ
الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى
اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم

وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل
انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم
في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان
النذير بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم اهل نذير او وصف منذرهم لغلوهم في الانذار
كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا
رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا
عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من
كلام الرسل لهم حلوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع الانذار سماع
طالبين للحق او نعقله عقل متاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف
على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث
او على مذهب اصحاب الراي كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر
اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من
الناجين لا محالة وعده المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز
على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا
وقرئ بالتخفيف والتثقيل اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ظاهره الامر
باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في
علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان يترجم الالسنة
عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر
من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن
ويجوز ان يكون من خلق منصوبة بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا
يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم
ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي

ويمنع وهذا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق يقتضي الامر العالم قلت ابت
ذلك الجلال الذي في قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو
اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه
فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء والمشي في مناكبها
مثل لغرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء
من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث تمشي
في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا
امكنكم السلوك في جبالها فقد ذللها لكم والمعنى والله تعالى اعلم ذللها لكم فسلكتموها
عن شكر ما انعم به عليكم من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن
ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه
والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا
يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم امنتم من تزعمون انه في السماء وصل متعال
عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش
ان يعاقبك مما تفعل اذا رأيته يزلك بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالتاء والياء كيف نذير
اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها لا ثم اذا بسطنها صففن قوادمها صافا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف
الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها
واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فحين يرى انها هو طارئ غير اصل لفظ النفل
على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن
الا الرحمن بتدبيره وتسخيره من الغوادم والخوافي وبنية الاجسام على شكل وخصائص
قدرتا فيها الجري في الجو انه بكل شيء بصير تعلم كيف تخلق وكيف يدبر العجائب امن هذا
يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن الله ان ارسل عليكم

عذابه ام من ذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز
ان يكون اشارة الى جمع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم
قالوا من هذا الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل
تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه تجعل آلة مطاوعة لبة ويقال كبته
فالبت من الحدأ والشوذب نحو قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بنات
افعل مطاوعا ولا يقع نحو هذا الا جملة كتاب سيبويه وانما البت من باب انفعل والام وتاه
دخل في البت وصار ذا البت وكذلك قشع السحاب دخل في القشع ومطاوع لبت وقشع انبت
وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم
قلت بناء يمشي منافسا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيغثر كل ساعة
فيخر على وجهه منكبا لما له بنفس حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور
او مستوى الجهة قليل الانحراف عدلا في المعتسف الذي يخرف هكذا وهكذا على طريق مستو
ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال يتلبك على وجهه وانه ليس كالرجل
السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر عن قتادة الكافر
اكب على معاصي الله فيحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام
وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وقيل حمزة بن عبد المطلب فلما رأوه الضمير للموعود والزلفة
القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي ذات زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءتهم رؤيته
الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقتر وكالحوا وكما يكون وجه من يقاد
الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء اي
تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ
تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي
لصلاة الفجر ولعمري انها للوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون على رسول
الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون فتربصون لا حدى الحسنيين اما ان نهلك
كما تتمنون فنستريح من الحسرة او نرحم بالنصر والاقالة للاسلام كما ترجوا فانتم ما تصنعون

من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي
هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا
تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هدانكم والاخذين
بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول
على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم
اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر مفعول امنا
وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل
امنا ولم تكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من
رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء
عينيه نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الملك
فكانما احيا ليلة القدر ٥ سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قرئ نون والقلم بالبيان
والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم
واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة
من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب
وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان
كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل
ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية
والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل
علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة
نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة
العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون

يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية
ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم
ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق
الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في
قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب
زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب
على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها
زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه
من انعام الله عليه بخصافة العقل والشهامة التي تقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل
وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير
مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب يستوجبه على عملك وليس
بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله
الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله به في
قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سالها
عن خلق رسول الله فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون
المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم
الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون
اي او باي الفريقين منكم المجنون بفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد
من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا
كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم
ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم
بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد
ارادوه ان يعبدوا الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع

فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل
به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف
على معنى ودوا لو تدهن فهم مدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في
ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير
الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراى والتمييز او اراد
الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوى شدقيه في اقفية الناس
مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم
والنميم والنميمة والسعاية وانشد في بعض العرب تشبى تشبب النميمة تمشي بها زهوا
الى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع
منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان
له عشرة من البنين فكان يقول لهم وللحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه
انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده
في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم جده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله
اذا قاده بعنفه وغلظه بعد ذلك بعد ما عدله من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش
ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت
هذه الاية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا
على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشي منها ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله
ثم كان من الذين امنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه
بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه
زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه

هذه المثالب لان كان ذا مال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه
متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ ان كان على الاستفهام
على الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال كذب وروى الزبيري عن نافع
ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف سارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه
فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر
الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز
والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين
وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان
السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس ابا عزة في وجوهها
فقال له رسول الله اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة
وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول
الله عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره
بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم
الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي
ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة
رسول الله عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون
صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه
المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط
تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شي كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل
ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولوا عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين
ولا يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وكانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح
مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت

لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله
واحد فطاف عليها بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت
كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت
وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها شيء من قولهم بيض
الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل فاغدوا
الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه
كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه
بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت
وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفود الخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرا ابن
مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين
نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ها هنا الحرد
من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا
قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا عن المساكين ويحرموهم
وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان
وذلك طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم
وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين
على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان
حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين
من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى
حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اي لم يقدروا الا على
خنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال
حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا
حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم

انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم
للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم
مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا
وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا
خيرها لجنايتنا على انفسنا اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه
واعطني من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله
وتتوبون اليه من حيث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله
وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها
قبل حلول النقمة فعصوه فغيرهم والدليل عليهم قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين
فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة
وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كانهم
كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا
ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم
في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم
من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض
ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون
لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا
ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة
ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن
ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا عند ربهم اي في الاخرة جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا
فاسمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد
ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا
واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انخيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على
طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى
تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه
وتشتهونه لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون
بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو
كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله
وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء
به يعني ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد فان قلت
بم يتعلق الى يوم القيامة قلت بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة
لا يخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة
على انها تبلغ ذلكم اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل بها منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه
من التحكيم وقرا الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم
به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء
اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا
صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم
ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام
مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به
الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ

الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذرا فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى
يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة
ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في
البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود ابن رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما
فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد
ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من
حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي
ساق الرحمن فان قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة
منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداعي الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر عظيم
هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما
شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفي حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن
احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ نوم نكشف بالنون
وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد
الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء
المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف
اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق
كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود
رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي
الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة فان قلت لم يدعون الى السجود
ولا تكليف قلت لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا
مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا
فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا
به يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان

فكل امره الي وتخلى بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق والمراد حسبي
مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية
لرسول الله وتهديدا للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورط
فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا ذريعة ومتسلقا الى
ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج
وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم
وأملي لهم وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر
احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر
باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج
بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه
وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في
الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك المغرم الغرامة
اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم
فيثبطهم ذلك عن الايمان أم عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون
به لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس
صلوات الله عليه اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء
اذا ملاه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه
حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرا ابن عباس وابن مسعود
تداركته وقرا الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان
يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم
والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب
عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت
على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت

نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد
ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة
عليه كما قال عليه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن
ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه ان مخففة من الثقيلة واللام علمها
وقرئ ليزلقونك بابصارهم بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق
الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة
تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او
يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع
او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت
العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم
مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم
رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء للاصابة بالعين ان تقرا هذه الآية لما سمعوا الذكر
اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة
في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما
هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه من قرا
سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة احدى وخمسون
آية وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة
الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور
من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك
لا احق هذا اي لا اعرف فيها حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء
وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني
انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية

اجلة لا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء
وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال
والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس
والانكدار ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها
ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب
تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد
في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله
عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك
لعدم الطباق بينها وبين قوله ريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة
وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية
شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من
استتار بنباء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم
وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه ما
ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح
فان الماء يوم نوح طغا على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية وان الريح يوم عاد عتت عن الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر
عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم
كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات
حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفقت ساعة
حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى
حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى
تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها
عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه

فيه اعوام حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم
مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها
الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها
الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن
ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها في مهابها او في الليالي والايام
وقرئ اعجاز نخيل من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى
الطغيان ومن قبله يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه
وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء العظيم رابية
شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو
في اموال الناس حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل
المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم
لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة تذكرة وعبرة اذن واعية
من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك
فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن
النبي صلى الله عليه انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سالت الله ان يجعلها اذنك
يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد
والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة
على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها
لا يبالي بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه
تعي بكبد اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب
مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه
انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا

الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه انها ثمانية **فان قلت** انما قال بعد يومئذ تعرضون
والعرض انما هو عند النفخة الثانية **قلت** جعل اليوم انما للجمع الواسع الذي يقع
فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون
كما تقول حججت عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته **وحملت** وزفرت
من حملها بريح بلغت بثقوب عضيها انها تحمل الارض والجبال او يحمل من الملائكة
او بقدرة الله بغير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو احد الملائكة فدكتا فدكت
الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وتنهدم
كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا
ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك الدك السنام اذا نقز ترى وبعير ادك وناقة
دكاء ومنه الدكان **فيومئذ وقعت الواقعة** يحسن ثلث النازلة وهي القيامة
واهية مسترخية ساقطة الفوج جزء بعد ما كانت مجلة مستمسكة **يريد** والملك
الخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى **فان قلت** ما
الفرق بين قولهم والملك وبين ان يقال والملائكة **قلت** الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك
ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة **على ارجائها** على جوانبها الواحد
رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها
منجافا فيها **ثمانية** اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه هم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية افلاك ارجلهم
في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم ينظرون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة
النسر وروى ثمانية افلاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين
عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد
على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
وعن الحسن الله اعلم كم هم انما هي ثمانية اي ثمانية صفوف لا يعلم

عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اعظم منهم على كل ملك
سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة
عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم وروى ان في يوم
القيامة ثلث عرصات فاما عرصتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها
تنشر الكتب فاخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله **خافية** سريرة
وكل كانت مخفية في الدنيا يستر الله عليكم فاما تفضيل للعرض هاؤم صوت يصوت به
فيفهم منه معنى خذ كاقرأ وجئ وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند
الكوفيين وعند البصريين باقرأوا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي فاقرأوا
كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل
الاول لقيل اقرأوه وافرغه وهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه
وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحبت القراء
الوقف ليثبتوا لثباتها لثبات ها في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن
محيصن بهمكان الياء بغيرها وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا اتباع
المصحف ظننت علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم
في العادات والاحكام ويقال الظن ظنان كاليقين ان الامر كيت وكيت **راضية** منسوبة
الى الرضا كالدراع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل
الفعل لها مجازا وهو لصاحبها **في جنة عالية** مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات
او رفيعة البناء والقصور والاشجار دانية **يا ايها** القاعدون والنائمون يقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر **بما اسلفتم** بما قدمتم من الاعمال
الصالحة **في الايام الخالية** الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اتى كلوا واشربوا
بدل لها امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يعقل الله تعالى لي طال ما
نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت
بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية الضمير

في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري
فلم ابعث بعدها ولم القى ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت
علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت فتمناه عندها ما اغنى
نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني
سلطاني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود
بن عبد الاشد وعن فنا خسرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها
ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن وكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن
عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم الجحيم
صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى
النار وصلاه النار سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها
وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف
بالطول لما قال ان استغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق
اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي
لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى
ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في
السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب
هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان
قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له
والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك ما
احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان
يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول اخلعنا نصف السلسلة بالايمان
افلا تخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه

اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم
يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسال حميم حميما والغسلين غسالة اهل النار
وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل الخاطئون الاثمون اصحاب
الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون
بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا يخطو وروى
عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطيون ما الصابون انما هو الصابيون
ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله هو اقسام
بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر
وقيل الدنيا والاخرة والباطنة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق
والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على
الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى
العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو
تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرا ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا
وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه
لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لان فيه تكلفا
من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب
والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه
صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل
الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين
عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد
ان يوقعه في جيده وان يكفخه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى
السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذناه منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله
لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو

حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل حاجزين
في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد
والجميع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن
كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك
ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه
والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب
وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن
لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن
لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وحد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض
اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما
اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الحاقة حاسبه الله
حسابا يسيرا ٥ سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سال معنى دعا
فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه
ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحرث
قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
وقيل هو رسول الله صلى الله عليه استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين
ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من
السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور
بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال
سائل عن عذاب الله على ما ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى
عنى واهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب
صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع

بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين
فان قلت فقوله من الله قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له
دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج
الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث يهبط منه اوامره في يوم كان مقداره
كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده
لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على
الناس فان قلت بم تعلق قوله فاصبر قلت بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب
انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول
الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت
وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب
وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم
طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة
له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن
الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في يرونه للعذاب الواقع
او ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه
قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من
الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في
ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كما كيت وكيت
او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود
كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض
وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يساله بكيف حالك

ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسآلة يبصرونهم اى يبصرون الاجتماع فلا
يخفون عليهم فما يمنعهم من المسآلة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل
وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اى لا يقال لحميم اين حميمك
ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع
يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل
لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت
لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا
لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اى حميما مبصرين معترفين اياهم
قرئ ينوّن مبتدا بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ
بفتح عذاب ونصب يوم بمبتدا وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته
عشيرته الادنون الذين فصل عنهم بتوويه بضمه انتمائهم اوايواده اياها في النوائب
ينجيه عطف على يفتدي اى يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض ثم
لاستبعاد الانجاء يعني لو كان هو لا جميعا تحت يديه وبذلهم في فداء نفسه
ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الود والارادة وتبنية على انه
لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر
لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير
القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة
خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان
اريد بها النار او رفع على الشتم ان اريد بها الجهنمية نزاعة للشوى
نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها مستأنفة نزاعة او على الاختصاص للتهويل
والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتلتقطها ثم تعاد
وتدعوا مجازا عن اخصادهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحو قوله اذا دعي الرمة تدعو
انقه الربيب وقوله ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقوله الى البيت تقول البرايد

للزايدا عشبت انزل وقيل تقول لهم الى النار يا كافر يا منافق وقيل تدعو امنا
والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها
كلاما كما يخلق في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان
يكون دعآ الزبانية ويقال دعوته لهلكك من قول العرب دعاك الله اى اهلكك قال
دعاك الله من رجل ما في منآذره عن الحق ونوى عنه وجمع المال فجعله في
وعآ وكنز ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وذهب
باقتنايه وتكبر اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه المصلين
والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع
فقلت قد فسر الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر
شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر
الفقر والضعة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف وشح عياله واذا مرض جزع
ترا خذ يوصي والمعنى ان الانسان لا يثابر الجزع والمنع وتمكنهما وروسوخهما فيه كانه
مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان من
عجل والدليل عليه انه جبن كان في البطن والمهدم يلين به هلع ولانه ذم والله لا يذم
فعله والدليل عليه استثنا المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وطلقوها
من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه شر ما اعطي ابن آدم
شح هالع وجبن خالع فان قلت كيف قال على صلاتهم دآيمون ثم على صلاتهم يحافظون
بجا قطون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادآئها لا يخلون بها ولا يستغلون
عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه افضل الجهل اذ ومه وان قل وقول
عايشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا اركانها ويكملوا بسننها واداءها ويحفظوها من الاحباط ما قترافه الما ثم
فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكاة لانها

فقين

مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة
السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون
بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب
ربهم غير مأمون اي لا ينبغي وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي ان يكون
مترجحا بين الخوف والرجاء فرى بشهادتهم وبشهادتهم والشهادة من جملة
الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها
وفي زيها تضييعها وابطالها كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه خلقا خلقا
وفرقا فرقا يسمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول
محمد فليدخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين
بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي
الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مقترفون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا
كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط كلا انا ردع لهم عن
طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام
دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون
في دخول الجنة فان قلت من اي وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه
احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم
مما يعلمون اي من النطف وبالقدرة على ان نهلكهم ونبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس
بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز
ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب اوضع
منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لتدخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا
بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع
ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن

ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون
الله يوفضون يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله صلى
الله عليه من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية تسع وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلنا بالامر بالانذار ويجوز ان يكون مفسرة لان الارسال
فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا نحو ان انذر
في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل
هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا
على كفرهم اهلكهم على رأس تسع مائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت
سماه الله وضربه امدا ينتهون اليه لا يتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم
اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة
فبادروا في اوقات الامهال والتأخير ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات
كلها فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده
فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا لتغفر لهم ليتوبوا
عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه
سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان
تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين
الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين
يستغشون ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
يلدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب واستكبروا واخذتهم العزة
من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم
فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن

فيجب ان يكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العقد **قلت** قد فعل عليه السلام
كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد
فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بين الجمع بالاسرار
بين الاسرار ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع
بين الامرين اغلظ من افراد احدهما **وجهارا** منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء
احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد
بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به
او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي
وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد
العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى
تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوا بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب
ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار
فقيل له ما رأيناك استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار
بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله
وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار
فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم
بالاستغفار فتلا له الآية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز
ان يراد السحاب او المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثيرة الدرور
ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ومثقال جنات
بساتين **لا ترجون لله وقارا** لا تأملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون

تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر
لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون
بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم
اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما
ثم انشأكم خلقا آخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما
لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر نبههم على النظر في
انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب
الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن في السموات
وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن
كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر
ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا
يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره
والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور استعير الانبات للانشاء
كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا
كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث
مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة
والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم **ثم يعيدكم** فيها
مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة
جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه **فجاجا** واسعة
منفجة واتبعوا رؤوسهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم
من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة

ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة
يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو
وكسرها **ومكروا** معطوف على لم يزد وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى
الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش
الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرون آلهتكم
الى عبادة رب نوح **مكرا كبارا** قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير
والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال **ولا تذرن ودا** كان هذه المسماة كانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندها فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه
الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج
ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل
هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتهم
ثم صورتهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لهم لمن بعدهم انهم
كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة
ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا
بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما
عربيتين او اعجميتين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف
والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا
وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة مع الممالات للازدواج **وقد اضلوا**
الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قيل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة
الاصنام ليسوا باول من اضلوهم باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثيرة
ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس **فان قلت** علام عطف قوله
ولا تزد الظالمين **قلت** على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد
قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا

لا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي
للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف
جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا
الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء
بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين
الا تبارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار
الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما
اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة
من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم
ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم
ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمز
وخطيئاتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس
ويجوز ان يراد الكفر **فادخلوا نارا** جعل دخولهم النار في الآخرة كانه متعقب لاغراقهم
لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او
في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك
كانوا يغرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم
نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** تعريض باتخاذهم آلهة من دون
الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة
ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ديار من
الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما في الدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو
فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان
فعالا لكان دوارا **فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند
الولادة **قلت** لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم

واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه
فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن ومعنى لم يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم
بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ولوالدي ابوه لمك بن
متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرا الحسين
بن علي لولدي يريد ساما وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا
من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا
فان قلت ما فعل صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن
كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة
في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون
مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم
فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل
الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله
عليه من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح سورة الجن مكية
وهي ثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ اجي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن
واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني
في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه
استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي بعد القول ثم يحمل
عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من الجن كسر وكلهن من قولهم الا
الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار
والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقناه انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول
سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل

وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم قالوا انا
سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه
قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج
عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد
والايمان الضمير في به للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من
الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة
الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره جد ربنا عظمته من
قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرا
البقرة وآل عمران جد فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة
من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه
بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق
ربوبيته وحق الاهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا
للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من تسمية الله بخلقه واتخاذه
صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه سفيههم ابليس لعنه الله او غير من مردة
الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا
هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله وكان في ظننا
ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما
اليه من ذلك حتى يبين بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب
نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرا ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم
يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم
بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في بعض

مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم
فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس
رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من
كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الاتيان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا
للجن والخطاب في ظننتم للكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب
متعرف قال مسسنا من الماء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه وتلمسه
والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم وجسوه باعينهم
وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في
معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل
شدادا ونحوه اخاف رجلا او ركيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال
والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم
الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب
بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا رصدا له ولاجله فان قلت كان
الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال
بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وهو احدى اياته والصحيح انه كان قبل
المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم والعير يرهقها
الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر وانقض كالدري
يتبعه نقع يثور تخاله ظنبا وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون الفه او
الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث
رسول الله كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاسترقاق
اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت
قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وروى

وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه جالس في نفر من
الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا
نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله مليت دليل على ان الحادث هو الملء
والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس
والشهب والان مليت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا
على رسول الله واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاسترقاق
قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلوا من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من
عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق منا الصالحون منا الابرار المتقون ومنا دون ذلك
ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في
الصلاح غير الكاملين فيه او ارادوا الصالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا
ذوي مذاهب مفترقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق
مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طريقتنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو
الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت
الطريق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في
الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا
ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم
وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوتهم
يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا
يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا
ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له
ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا
فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص
بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم

بمنع احد حقا ولا رهق اظلم احد فلا يخاف جزاءها وفيه دلالة على ان من حق من امن
بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم
ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان يرهقه ذلة من قوله عز
وجل ترهقهم ذلة القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير لما قال الحجاج
قاتله حين اراد قتله ما تقول فى قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا
انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله
واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز
وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر
سبب الثواب ومن جعله والله اعلم من جانب القاسط ولا يثيب الا الراشد وان واسقيموا
ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحى الى ان الشان والحديث لو استقام
الجن على الطريقة المثلى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة
ولم يستكبر عن السجود لادم ولم يكفروا شبعه ولدع على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا
رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ لفتناهم اصل المعاش وسعة
الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون مثلا وان لو
استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها
الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا فى اتباعهم
شهواتهم ووقوعهم فى الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم فى كفران النعمة عذابا صعدا يرهقه
عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه نسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اى ندخله
عذابا والاصل نسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر بعدى الى مفعولين انما يحذف الجار
واتصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه
قال حتى اذا اسلكوهم فى قتائده والصعد مصدر صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب
لانه يتصعد المعذب اى يغلبه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى
شىء ما تصعدنى خطبة النكاح يريد ما شق على ولا غلبنى وان المساجد لله من جملة الموحى

الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله
احدا فى المساجد لانها لله خاصة وبعبادته وعن الحسن يعنى الارض كلها لانها جعلت لنبى
صلى الله عليه مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى
اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد
وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه امرت ان اسجد
على سبعة اراب وهى الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هى جمع مسجد
وهو السجود عبد الله النبى صلى الله عليه فان قلت هلا قيل رسول الله والنبى قلت لان
تقديره واوحى الى انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا فى كلام رسول الله عن نفسه جرى به
على ما يقتضيه التواضع والتذلل ولان المعنى ان عبادة عبد الله لبثت بامر مستبعد
عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه
لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا اى يتراكمون
عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته والاقتداء اصحابه به قياما ورکوعا وسجودا واعجابا
بما تلا من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل بغنا لما
قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين فى عبادة الآلهة من دونه كادوا المشركون انظارهم
عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه
على بعض ومنه لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة فى معنى اللبد ولبدا جمع لا بد كساجد
وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا
الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصر ويظهر على من ناواه ومن قرأ واله بالكسر
جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم جاكين مما رأوا من صلاته وازدجام
اصحابه عليه فى ائتمامهم به قال الظاهر من علمه انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب الطعن فيه
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال
لتعجبوا عنه انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا لا املك لكم ما يوجب الطعن فيه منى وعدا وفى قال

يتعجب منه انما يتعجب من يدعوا غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله **ولا رشدا** ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا
والمعنى لا استطيع ان ضركم وان نفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم
على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل **الا بلاغا** من الله استثنا منه اي لا
املك الا بلاغا من الله **وقل اني لن يجيرني** جملة معترضة اعترض بها لما كيد نفي الاستطاعة
عن نفسه وبيان عجز على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او غيره لم يصح ان يجير
منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد
وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك الي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية
الجن لقومهم وقيل الا بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني
به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان ما ابلغ بلاغا لقولك ان لا فيما تعودا **ورسالاته** عطف
على بلاغا كانه قيل الا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال
الله كذا وامرني بالقول له وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان **فان قلت**
لا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني **قلت** من لابتدا بصلة للتبليغ
انما هي مستزلة من في قوله براءة من الله اي بلاغا كائنا من الله وقرئ فان له نار جهنم على
فحوى ان له نار جهنم كقوله فان الله خمسه اي محكمة ان الله خمسه وقال خالدين حملا على معنى
الجمع في من **فان قلت** ثم تعلق حتى وجعل ما بعد غاية له **قلت** بقوله يكونون عليه لبدا على
انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده **حتى اذا رأوا ما**
يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيامة **فسيعلمون** حينئذ انهم اضعف
ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعافهم والكفار له واستقلالهم
لعدده كانه لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود
الكاذب له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تشكون فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما
وقته فما ادري متى يكون ان الله لم يبينه لما راى في اخفائه وقته من المصلحة **فان قلت** ما
معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد لا يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله يود لو ان بينها وبينه

وبينه امدا بعيدا **قلت** كان رسول الله صلى الله عليه يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو
حال متوقع في كل ساعة ام موجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن
رسوله تبيين لمن ارتضى يعني لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى
وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد
خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اضحابهما
ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط **فانه يسلك من بين** يبتدئ من ارتضى للرسالة
ومن خلفه رصدا من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من
وساوسهم وتخاييلهم حتى يبلغ ما اوحي اليه وعن ابن عباس ما بعث نبي الا ومعه ملائكة
يحرسونه من الشياطين ان يتسهلوا بصورة الملك **ليعلم** ان قد **ابلغوا** رسالات ربهم يعني
الانبياء وحدا وقرئ على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فانه نار
جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم لما هي محروسة من الزيادة والنقصان ودل
العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول **واحاط بما لديهم**
مما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا يشتبه منها حرف هو مهيمن عليها
حافظ لها **واحصى كل شيء عددا** من القطر والرمل ووزق الاشجار ووزن الجبال فكيف لا يحيط
بما عند الرسل من وحيه وكلامه **وعددا** حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر
في معنى احصاء عدد رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا
وكذب به عشر قبة **سورة المزمل مكية** تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **المزمل** المتزمل وهو الذي
تزمل في ثيابه اي تلفف بها باد غام التاء في الزاي ونحن المدثر في المدثر وقرئ المتزمل
على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من
زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه نائما بالليل
متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة
واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا همة له امر ولا يعنيه شان الا ترى الى

قول ذي الرمة تخطت ناقتي من مفازة ومن نايم عن ليلها متزمل يريد الكسلان
المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه
المشاق والمتاعب ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي مثالهم اوردها
سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل
ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر
والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع
اصحابه حق التشمر على احيا كياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا
فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى
امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعايشة يصلي
فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان
يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عايشة رضي الله عنها انها سيلت ما كان تزميله
قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه عليه وهو يصلي
فسيلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا
كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جيث فرقا اول ما اتاه
جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل
الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض
بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض
نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير
في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على
البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت
جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين قيام الزايد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل

الكل وان شيت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل
قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه اقل الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل
من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء
النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل
المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان
تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان
قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عايشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا
بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا
به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما
وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح
مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير
في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القرآن قراته على ترسل
وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل
وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله
عنه شر السير الحقحقة وشر القراة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص
وسيلت عايشة رضي الله عنها عن قراة رسول الله فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ هذه
الاية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة
على المكلفين خاصة على رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ
له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة
التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من
مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي

تقل عليه وترتدله جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافق
وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ
من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه
ونشز اذا نهض قال نشأنا الى حوض بوئ بها الثرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام
الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية وبدل عليه ما روى
عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل اتقول ليزكه قامت ناشئة قالت
لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي
تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى
وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول
اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هن ناشئة الليل هي اشد وطأ هي حاضة دون
ناشئة النهار اشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان ارادت النفس او يواطئ فيها قلب
القايم لسانه ان ارادت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع
والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رويته الحلايق وقرئ
اشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من التوكل واثقل واغلظ على المصلي
من صلاة النهار من قولهم عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا
واثبت قراءة لهذه الاصوات وعن انس رضي الله عنه انه قرا واصوب قيلا فقيل له يا ابا
حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد وروى ابو زيد الانصاري
عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرا حاسوا بحارا غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم
فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا تقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ
الا بالليل فعليك بمناجاة الله تقتضي فراغ البال واستفراغ الشواغل وانما القراءة بالنهار
فاستعارة من سبح الصوف وهو نفشه ونشر اجزايه لانتشار الهم وتفرق القلب
بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل يهون على المواطاه

واشد

واشد للقراءة لهدوء الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم للشمل الهم
من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوايج المعاش والمعاد
وقيل فراغا وسبحا لنومك وتفرغك في حوايجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار
فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص
عليه وذكر الله بدا وكلما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد وتوجيد وصلاة
وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه يستغرق به
ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت
ان معنى تبتل تبتل نفسه مجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب
قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك
الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقد ابن عباس رب المشارق
والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو الذي يحب ان توجه
ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا عاما وعدك من النصر والاظهار الصبر الجميل ان يجانبهم
بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابن الزبير رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم وتضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل منسوخ بآية
السيف اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهتر بخطب يريد ان يكيده او يعرد وشته بان
يتنعم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال زد رياه اي احتج الى التصبر بمرادك
ومشتهاك الا تحلى بينه وبينه بان تكل امرك الي وتستكفيني فان في ما يفتح بالك ويحلي
همتك وليس ثم منع حتى تطلب اليه ان يزيل واياه الا ترى الاستكفاء والتفويض كانه ادل
لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد زال المنع وتركه واياه
وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بما تقضي مما يرد ورجوله امنية الخاطب وبما يزيد
على النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال لهم وثمة عين وهم
مناعيد قريش وكانوا اهل تنعم وترفة ان لدينا ما يقاد تنعمهم من اكمال امر القيود
الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استلفت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة

الحرّ والانقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر
الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى ماكوًا الّا انزههم مودورًا بينه وبينهم
ينتهم منهم بمزاولة الاستقام وروى ان النبي صلى الله عليه قرأ هذه الاية فضحق وعن الحسن
انه اتي صبيًا ما في طعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعه ووضع عند الليلة الثانية
فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر مات الصبي وبيده الصق ولحي
البكاء فجاوا فلم يزالوا به حتى شربه من سويق نعم ترجف منصوب ها هنا والرجفة
الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل
بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة احرجفا واجلب كثبا اعجما
ان كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثروا سيل الحطاب لاصل مكة شاهدا عليكم يشهد
عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد
ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر اداخل لام التعريف اشارة الى
المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلاء وبيل وخم لا تستمرأ التخمة والوبيل
العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم يوما مفعول به اي فكيف تقون انفسكم
يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ويوما وتحملوا صالحا ويجوز ان يكون
ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب
بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة
والجزاء لان تتقوى الله خوف عقابه يجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم
الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب
ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر
كجناح الغراب واضبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة
والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول
ذلك اضبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه

فيه او ان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السما
على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق قرئ منفطر ومتفطر
والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف والسماء شيء منفطر والبناء
به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم
وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا لا يؤدي الى
انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض
وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويكون ضافا الى الفاعل وهو الله
عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة
موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ
السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير
الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاخيار
واذا بعدت كثر ذلك وقرئ نصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين
وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف
بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزايد عليه وهو الادنى من
الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث
وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف
والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطايفة من الذين معك
جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة
مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدا مبنيا عليه يقدر هو الدال
على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في ان لخصوص المقدر
بقدر اي علم الله لا يصح منكم ضبط الاوقات وعد ساعاتها حسابها بالتعديل والتسوية
الا ان تاخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة
عن الترخيص في ترك القيام المقدر لقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن

والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن النائب وعبر عن الصلاة بالقراءة
لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم
يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة
القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن
وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي
تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى
الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل
جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله
من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله
احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم
استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ **واقيموا الصلاة** يعني المفروضة والزكاة
الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها
بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا **واقرضوا الله قرضا حسنا** يجوز ان يريد
سائر الصدقات وان يريد اداء الزكاة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده
على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء
يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز
وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ
ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة **سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم **المدثر** لابس
الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار
شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله
عليه كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري

يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به
قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة
فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة
اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وجعل يعلو
شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء
باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا
كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان سمعوه وآذوه وعن عكرمة انه
قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل
قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم **فانذر** فحذر قومك من عذاب
الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد **وربك**
فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما
نزل قال رسول الله صلى الله عليه الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه
الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان
فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة
الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبح بالمؤمن
الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب
وجرهم الذيول وذلك ما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس
مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر
الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان
دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه
الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون
المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني
بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء **والرجز**

قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدى اليه من عبادة الاوثان وغيرها
من المآثم والمعنى الثبات على هجرانه كان برئيا منه قوله ولا تمنن وتستكثر منصوب
المحل على الحال اى ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهى
عن الاستكثار وهو ان تعد شيئا وهو يطمع ان يعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب
وهذا جائز ومنه الحديث المستعز ريثاب من هبته ومنه وخصان احدهما ان يكون نهيا
خاصا برسول الله صلى الله عليه لان الله تعالى اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق
والثانى ان يكون نهى تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر وفيه ثلثة اوجه
الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن فى قوله عز وجل ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى لان من شأن المنان بما يعطى ان يستكثر اى يراه كثيرا ويعتد به
وان يشبه ثم وبعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقد الاعمش بالنصب
باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن
ان تستكثر ويجوز فى الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روى احضر الوغى بالرفع
ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض
وعن النخعى على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار
والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه
ويراد الصبر على اذى الكفار كانه اجد ما يتناوله الجميع والفاء فى قوله فاذا نقر فى الناقور
للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى
عاقبة صبرك عليه والفاء فى ذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع
يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر فى
الناقور عسر الامر على الكافرين والذى اطاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى
فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتى ويقع حين ينقر فى الناقور
واختلف فى انها النفخة الاولى او الثانية وجوز ان يكون يومئذ مبتدأ مزوج الجمل
بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما فايدة

فايدة قوله غير يسير وعسير مغزى عنه قلت لما قال على الكافرين فعسر العسر عليهم
قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسرا هيئا للجمع بين
وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير
لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى يسر العسير من امور الدنيا وجيدا حال من الله عز وجل
على معنيين جل هما ذرنى وحدى معه فانا احزيك فى الانتقام منه عن كل مستقيم الثانى
خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احدا او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد
فريدا لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت فى
الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية
فان كان ملقبا به قبل فلو قصكم به وبلقبه وتغييرا له عن الغرض الذى كانوا يوقعونه
من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه فى الدنيا الى
وجه الذم والعيب وهو انه خلو وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك فلم يشكر نعمة
الله واشرك به واستهزأ بدينه ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء ومن مد النهر ومده
نهر آخر فيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطايف
من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطايف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له
الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر
بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف فى عمل او تجارة لانهم
ملقيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش من انفسهم فهو مشتاق
بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف مطالب السفر عليهم ولا يحزن لغربتهم والاشياء لديهم
ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم
فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة
وممهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض فى قومه فاتممت عليه نعمتى الجاه والمال
واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس اداهم الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة

الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة
قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة
وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع
لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستنكاف كان قائلا قال
لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى
انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى
الله عليه يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت
واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه
لبلوغه بالعناد غايته وافضاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان يكون كلمة
الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا
بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله
انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه
ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض
الذي كان ينتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به وهي حكاية لما كرروه من قولهم
قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق
بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد
آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه
لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن
قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم

فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل
رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو
ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما
الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا
معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف
مدبرا وتساوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي بها
وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر
فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله
ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء
اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء قلت الدلالة على ان الكرة
الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فان قلت فمعنى
المتوسطة بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تأتى في التأمل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف
ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير
تلبث فان قلت فلم لم توسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت
من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقي
شيئا تلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا
تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح الهجير قال تقول
ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد
سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين
اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها
ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ
تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين
من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم
ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا
واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من
ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون
اشعارهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار
ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة وانتم الدهم ايعجز كل عشرة
منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش
انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة اي ما جعلناهم من جنسكم يطاقون **فان قلت** قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه
صحة ذلك **قلت** ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت
سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا
تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من
عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان
المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها ان يفتتن
بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر
في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم
بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك **فان
قلت** لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دلا
على انتفاء الارتياب **قلت** لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد

واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف
حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر **فان قلت** كيف ذكر الذين في قلوبهم
مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة **قلت**
معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون
بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات
بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب
لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب **فان قلت** قد علل جعلهم
تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان
الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين
والكافرين غرضا **قلت** افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا
الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما
هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية **فان قلت** لم سموه مثلا
قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام ويدع استغرابا منهم لهذا
العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل
الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو
كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من
معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين
يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له
لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون
فيه فيزيدهم كفرا وضلالا **وما يعلم جنود ربك** وما عليه كل جند من العدد الخاص
من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده
من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات
والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفا

رات

والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم
الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا يعلمونها وقيل هو جواب لقول ابي
جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض
وقوله وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة
للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى
لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل
بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ
اذا دبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر
جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها
ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة
اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم
لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها
لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل
باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر
بعد خبر لان او بحذف المبتدا ان تتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم
عليه كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم والتاخر ان يتقدم او
يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين
الممكنين الذين شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا رهينة ليست
بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين
لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة
بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف
كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن

رهن بكسبها عند الله غير مكفول الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما
اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب
اليمين بالاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الملائكة في
جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا
عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق
قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما
كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل
عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم
وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام
جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في
الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسالوهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا
وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين
بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم
بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا
انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين امنوا
واليقين الموت ومقدماته اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم
لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على
ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو
العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما
والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها
عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين
يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة

ونحو وزيه الجند ن من سماء الاستدعن ابن عباس لئن الناس واضوائهم وعن عكرمة
ظلمة الليل ستهم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم
عنه بحجر جدت في نفارها تماما فزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة ومحنين
بحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبلادة وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك
كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت
ماء فاجشت عليه بفانس صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي ينكاتب
بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشر على ايديها عضة
رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب
من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحو قوله لن
نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه
بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة
فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان
يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتينا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة
بعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرا سعيد بن
جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان نشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله
ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات ثم قال بل لا يخافون الاخرة
فلذلك عرضوا عن التذكرة لا لامتناع اتيان الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن
التذكرة وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء
ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه
وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكرها انها في معنى الذكر او
القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني ان بشرهم على الذكر وبلجيهم اليه لانهم
مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا فهو اهل التقوى واهل المغفرة

هو

هو حقيق بان تتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان
يغفرلهم اذا امنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه هو اهل ان يتقى
واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ تذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول
الله صلى الله عليه من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق
بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ادخال الا النافية
على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر وقال عوتبة بن سلمى الا ناد ت امامة باحتمال لتحزني فلا
بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في ليلا يعلم اهل
الكتاب وفي قوله في بئسما جور شرى وما شعرت واعترضوا عليه بانها اتزاد في نحو
الكلام لا في قوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض
صحيح لانها لم تقع مزيدة اه في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد اترى الامر القيس
كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان تقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم
بالشيء الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون
عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باعظامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق
ذلك وقيل ان لا نفي الكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما
ذكرتم ثم قيل اقسم يوم القيامة فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والايات التي
انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي
بعده وموكدة له وقررت المقسم عليه المحذوف ها هنا منفيا لعمرك لا اقسم يوم القيامة
لا تتركون سدى قلت لو قصدوا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه
لم يقصد الا ترى كيف اتى بالاقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا اقسم
بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا
محذوف بمعناه لانا اقسم قالوا ويعضد انه في الامام بغير الف بالنفس اللوامة

بالنفس المتقية التي لا تلوم النفوس فيه اي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى او بالتي
لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما
نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد
ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على
فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان
لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرا قتادة ان لن تجمع عظامه على البناء للمفعول
والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما
سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق
وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول
الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله فقال لو عاينت
ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما
بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام
قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه
التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها
ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار
العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي
نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل
بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط
والقبض والتاتي لما يريد من الجوائح وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد عطف
على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم
عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما
بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم
الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء

واسوء اعماله يسال سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيامة
ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فاذا برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا
نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرا ابو السمال
بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر
وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر
حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين
كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر
بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن
طلب المفر لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزر
الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا
الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم
او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله
الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من
ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة
حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه
الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز لما وصفت الايات بالابصار
في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبا باعماله وان لم ينبا
ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير
الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة
المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير
ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقرآن

وكان رسول الله صلى الله عليه اذا القى الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها
مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه
وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك
لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأه لتعجل به لتأخذ على عجلة
وليلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات
قرآنه في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قرآنه والقرآن القراءة فاتبع قرآنه
فكن منقيا له فيه ولا تراسله وظاهر نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فيخون في ضمان
تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ
والسؤال عن المعنى جميعا لما ترى بعض الحراص على العلم ونحن ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله عن عادة العجلة وانكارها عليه وحث
على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك بأتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال
بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن
ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف تقل قوله
لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى
التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة فوجه عبارة عن الحملة والناضرة من
نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم
المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور
واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف تجد فيها التقديم على معنى
الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا تحيط بها الحصر ولا تدخل تحت الوهم
في محشر يجتمع فيه الخلايق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب
حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قولك الناس الى فلان
ناظر ما يصنع اي يريد معنى التوقع والترجي ومنه قول القايل واذا نظرت اليك

اليك من ملك البحرين وفد رددتني فعما وسمعت سروته مستجدية بمكة وقت الظهر
حين غلق الناس ابوابهم وباؤوا الى مقايلهم تقول عينتي نويظر الى الله والبكم والمعنى
انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من بعضهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه
والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في السجاح اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر
كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه
قيل لا تتركوا عواجلكم وتتهيأوا على ما ينبغي من الموت الذي عنده تنقطع العاطفة
عنكم وتنتقلون الى الاحلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر
لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال جاتم اما ترى ما يغني الثراء
عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون
جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء الا في الطعام المكتسفة لتغير النجم
عن يمين وشمال وذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة حين يبلغ الروح
التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المختصر بعضهم لبعض من راق
ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملايكة الموت ايكم يرقى بروحه ملايكة
الرحمة ام ملايكة العذاب وظن المختصر انه الفراق ان هذا الذي نزل به فراق
الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوث عليها عند علن الموت وعن قتادة
ماتت رجلاه فلا يحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة
اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين
تلفان في الكفانة المساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان
في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب ان يترك سدى
وهو معطوف على قوله ليفجر امامه اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول
والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله من خير فلا زكاه وقيل نزلت في ابي
جهل يتمطى يتبختر وامله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو

من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم
فارس والروم فقد جعل باسهم بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض ثم ذهب
الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه
ما يكره فخلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك
الذي انشا هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا قراها
قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القيامة شهدت له انا
وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة سورة الانسان مكية وهي احدى
وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم
فالمعنى اقد اتى على التقدير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين
من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب
والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة حين من الدهر
طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله
النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على
الوصف لحين لقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها
تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة
امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت
صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة
لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان
في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجة ومزجة بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها
الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد
تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له
بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا

قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء
على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير
التاخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان
من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة
العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين
من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين
ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة
والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد
والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان يكون
هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة
به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ان الابرار جمع بر
او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون والكاس الزجاجة
اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو
اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج
لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت
بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا
وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فيها يمزجون
شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها
يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما
لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان
من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى مستطيرا فاشيا
منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة

استنفر من نفر على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال
على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا
عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن
فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان
الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ
المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة
وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله الغريم اسيرا فقال غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا
لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق
وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة
رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر
دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا
عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه
الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل
ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة
لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف
بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روي ان الكافر يعيش يومئذ حتى يسيل من بين
عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل
والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة
اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم
مزيدة قال اسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم
نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب
وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله

الله عنه ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت
على والدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام
فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلث اصوع من شعير
وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني
اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة
ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول
الله فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم
وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقراه السورة فان قلت
ما معنى ذكر الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع
والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس
يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة شجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير
القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير
ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر فان قلت ودانية
عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين
وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد
وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية
عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاؤهم جنة
جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع
على ان ظلالها مبتدا ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون

ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اي جنة اخرى دانية
عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف
انا نخاف من ربنا فان قلت فعلام عطف وذللت قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية
معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم
في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها
واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها
كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا او تجعل ذليلة
لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قوارير قوارير قرئا غير
منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة
وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة
وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله
كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة
بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير
من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها
في انفسهم ان يكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير
للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو اكد
للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض
وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت
الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا واطلق
لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب
تستلذه وتستطيبه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا
وقال المسيب بن علس وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلا
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيه

فيه لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت
الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل
في اللغة صفة لما كان في غاية في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية
والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير
مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط
شرا ودري حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح
وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابدع
وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل
من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا
مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص شبهوا
في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون
انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت
عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاحسن المنظر قال لله در
ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض
من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء رايت
ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه
ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم وملك كثير وملك كبير وثم في موضع
النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز
اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر
في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا
كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم قرئ عاليهم بالسكون على انه
مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على
انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف

عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم
ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب
وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو
غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل
من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا
عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر هاهنا ان اساورهم من فضة وفي موضع اخر انها
من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم
يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تراوح نساء الدنيا بين انواع
الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من
فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار
دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل
في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من
ابدانهم له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله
لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه
اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان
هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا
مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد
دعتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر
بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح
وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على
اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه
يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان

فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا قلت معناه ولا
تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما
ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم
على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم
متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت
معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا
تطعهما جاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما
عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما
على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر ومن الليل
فاسجد له وبعض الليل فصل او يعني صلاة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض
كما دخل على المفعول في قوله نغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا
من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة كقوله بل
يؤثرون الحيوة الدنيا وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعباؤن به يوما ثقيلا استعير
الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض
الاسر والربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق
وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب
ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم
في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان تجيء بان لا
باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم هذه اشارة الى السورة او الى
الايات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله
عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما يشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم
عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن
بالتاء فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله

وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء هم المؤمنون
ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرا ابن مسعود
وللظالمين على واعد للظالمين وقرا ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب
الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله
صلى الله عليه من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة والمرسلات
مكية وهي خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح
تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي
او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح
عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله
ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله
لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم
واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر
لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت
النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال
جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض
النكر وانتصابه على انهم مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ
عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب
فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء
والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما
مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون
جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما

انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث
فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين ان الذي توعدونه من مجيء
يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات
طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت
ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارجي
باب الامير المبهم نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت
الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته
وقريت طمست وفرجت ونسفت مشددة قرئ اقتت ووقتت بالتشديد
والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون
فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو
يوم القيامة واجلت اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدا في قوله ويل يومئذ للمكذبين
قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على
معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرا
به يقال ويلا له ويلا كيلا قرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج
ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل
بامثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم
ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك
الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل
ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الى
قدر معلوم اي مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها
او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او

فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه ونحن والاول اولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد
ولقوله من نطفة خلقه فقدره الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما
يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب
احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت احياء
على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي على قطع النباش بان الله
تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز
فان قلت احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من
التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحضرون على ان احياء الانس وامواتهم
ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا
على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات
وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها
من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم اي يقال لهم انطلقوا
الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه
الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب
وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق
ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش
لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن
عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور
في عظمها وهو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين
وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور
كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع
جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل

الافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة
جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس
وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى
صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء جمرا ساقطعة الذوائب
في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة
وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة
جاء في صدر بيته بقوله جمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها
ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله
كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن
جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة
العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه
قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة
طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل
نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي
والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو
نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه
اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وامهم فلا بد من جمع الاولين
والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله
وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين
في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين
اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة
قلت يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله
تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك

الخالد وفي طريقه قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم
بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل
والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك والتمتع ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما
مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه
واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون
على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف
حين امرهم رسول الله صلى الله عليه بالصلاة فقالوا لا نحني فانها مسبة علينا فقال
صلى الله عليه لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين
الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون
وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس
من المشركين ٥ سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبا وهي اربعون او احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما على انه حرف
جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان على ما قام
يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا
الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شيء يتساءلون ونحوه ما في ذلك زيد ما زيد جعلته
لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص
عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد
للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا
او يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة
كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبا
العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان
يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على ان يضمر
يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير

الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار
البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسالون عنه
اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزيد استهزاء وقيل المتساءل
عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وقرئ يسالون بالادغام وستعلمون بالتاء
كلا ردع للمتسائلين هزءا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون
عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك
ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل
به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه
البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما
هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم
لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل
مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية
للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال
كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع
عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة
معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش يستيقظون فيه ويتقلبون
في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا
من عدو او بيانا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل
عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب سبعا سبع سموات شدادا جمع شديد يعني محكمة
قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان سراجا وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت
النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها المعصرات السحائب اذا اعتصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز ومنه اعتصرت الجارية
اذا دنت ان تحيض وقرا عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان تراد الرياح التي حان لها

ان تعصر السحاب وان تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده
درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي
السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على
ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرا من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير
والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح
ان تجعل مبدا للانزال وقد جاء ان الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى
المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي
اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس
مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرا الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه
والماء يثجج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف
من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا ملتفة
ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشد في الحسن
بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه
لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واحدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار
ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في تقدير الله
وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم
الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات
مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه فقال يا معاذ سالت
عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على
صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون
عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم

صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة والقتات من الناس
واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما
العمي فالذين يجوزون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم
فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق
الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت
بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست
الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق
والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت
هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الجد
الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي جد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي
مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم
عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرا ابن
يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل
كان ذلك لاقامة الجزاء قوي لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث
ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يحتم بالمكان لا يكاد ينفك احقابا حقبا بعد حقب
كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد
تتابع الازمنة وتوالها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي
وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس

آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره
وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم
يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء
منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن
من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد فلو شئت
حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد
وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم وفاقا
وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا كذابا تكذيبا
وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر
آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل
قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا
يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب
بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او
بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم
مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده
وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد
البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي
تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرا ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا
مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط
والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم
كقوله احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة
كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا ان الغضب

الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
للمتقين مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة
وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم
والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة
وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب
بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرا بتخفيف الاثنين
جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز
وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرا ابن قطيب حسابا
بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدرك بمعنى المدرك قرئ رب السموات
والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدا والرحمن صفة
ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه
مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض
اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويامر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد
يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من
نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا
يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم
منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات
والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو
ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم ياكلون
وقيل جبريل هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب
فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا
انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه

من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان يكون
استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر
يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص
منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او
ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص
للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده
وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن
رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها
من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما
امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا
اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل
الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي
تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح
في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها
من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع
الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك
من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم
تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن
لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر الراجفة الواقعة
التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها

الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون الرادفة من
قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيامة التي تستعجلها الكفرة
استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف
الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان
قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت
يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى
لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع
وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة
ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت
القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة
فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها
وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة
الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في الحالة
الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته
اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت
اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة
راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج
منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على صلع
وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون
عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرا ابو حيوة في الحفرة والحفرة والحفرة بمعنى
المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان
الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع
فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر

فيه الريح فيشم له بخير وإذا منصوب بمحذوف تقديره إذا كنا عظاما نترد ونبعث كرة
خاسرة منسوبة إلى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها إن صحت فنحن إذن خاسرون
لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فإن قلت ثم تعلق قوله فإنما هي زجرة واحدة قلت
تجاوزوا بمعناه لاستصعابهم فإنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله
عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته ما هي إلا صيحة واحدة ترديد النفخة الثانية
فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا في جوف فيها في قولهم زجر البعير إذا
صاح عليه والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك كأن السراب يجري فيها من قولهم
عين ساهرة جارية الماء وفي صدها ناية قال الأشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب
مخللا أقطارها قد حبتها مسكتما أو لأن سالكها لا ينام خوف المهلكة وعن قتادة فإذا
هم في جهنم أذهب عظامه القول وفي قراءة عبد الله إذا هي زجرة في النار معنى
القول هل لك في كذا وهل لك إلى كذا لما تقول هل ترغب فيه وهل تنزع إليه إلى أن تزكى
إلى أن تطهر إلى دينك من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالإدغام وأن أهديك إلى ربك وأرشدك
إلى معرفة الله وأنهاك عليه فتعرفه فتخشى لأن الخشية لا تكون بالمعرفة قال الله تعالى إنما
يخشى الله من عباده العلماء وإذا لم تكن الخشية لا تنافي الأمن من خشي الله أتى منه
كل خير ومن أمن خشي على كل شيء ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج بلغة المنزل بدا
مخاطبته بالاستفهام الذي معناه الغرض لما يقول الرجل لصديقه هل لك أن تنزل بنا وأردفه
الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة وعتوه لما أمر بذلك
في قوله فقولا له قولا ليتنا الآية الكبرى قلب العصا حية لأنها كانت المعجزة والأصل والأمر
كالتبع لها لأنه كان يتلقاها بيده فقيل له إذ خل يدك في جيبك وأراد بهما جميعا لأنه جعلها
وأجل أن الثانية كأنها من خصلة الأولى لكونها تابعة لها فكذب موسى الآية الكبرى وسماها
ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت عليه
ثم أدبر يسعى لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان
رجلا طوالا شديدا كثيف الشعر فحشر وجمع عفاريته وتجهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى

يسعى كما تقول قتل فلان يفعل كذا بمعنى أنه يفعل فوضع أدبر موضع أقبل ليدل بلفظه على الإقبال
الحسرة جمع الساحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي أخذ معوا فيه
معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال لهم بعظيمة وعن ابن
عباس كلمة الأولى ما علمت لكم من إله غيري والآخرة أنا ربكم الأعلى هو مصدر مؤكد كوعد
الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى
التسليم بمعنى الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمته الآخرة وهي
قوله أنا ربكم الأعلى والأولى هي قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل كان بين الكلمتين أربعون
سنة وقيل عشرون الحطاب لمنكري البعث بمعنى أنتم أشد خلقا وإنشاء أم السماء
ثم بين كيف خلقها فقال بناها تم بين البناء فقال رفع سمكها أي جعل مقدار ذهابها في
سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمس مائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها
تفاوت ولا فطور أو فتمها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان
غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم وأخرج
ضحاها وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوئها وقوله وقت
الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس إلى السماء
لأن الليل ظلها والشمس سراجها المثقب في جوها منها مما أرساها عيونها المنفجرة بالماء
ومرعاها ورعيها وهو في الأصل موضع الرعي ونصب الأرض والجبال بإضمار جعل وأرساها
وهو الإضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء فإن قلت هلا
أدخل حرف العطف على أخرج قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها
ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر الماء والمرعى
وإنكاء القرار عليها والتمكن بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإثباتها أو تاد
لها حتى تستقر ويستمر عليها والثاني أن يكون أخرج حالا بإضمار قد كقوله أو جاؤكم
حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والأنعام واستعير الرتع للإنسان كما
استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي والله أعلم سبحانه يذكر

الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا
لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم
الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي
فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل
الساعة التي تساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل
من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله
احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت
وقرا ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا
بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح الذي عينين يريدون لكل
من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود لمن راى
وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد
فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول
للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم
ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول
حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا ونهى النفس
الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر
والتوطين على ايثار الخير وقيل الاتيان نزلت في ابي عزير بن عمير ومصعب بن عمير
وقد قيل مصعب اخاه ابا عزير يوم احد ووفى رسول الله صلى الله عليه بنفسه حتى
نفدت المشاقص في جوفه ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها
الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها
حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به
يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول
الله صلى الله عليه يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة

كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسالونك
عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى
علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها
اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها
وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد
لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة
الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في
الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح
للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس اي
كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت
اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد فان
قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم
كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية او ضحاه فلما ترك اليوم اضافة
الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة
النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

سورة عبس احدى واربعون آية وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم

اتى رسول الله صلى الله عليه ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك
بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابي جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك
وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت
فكان رسول الله صلى الله عليه يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له
هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رايته يوم القادسية وعليه

وعليه درج وله راية "سوداء" وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وبحذف كلتيهما في كلهم أن جاءه منصوب بسوى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الأعمى وأعرض لذلك وقرئ أن جاءه بهمزتين وبألف بينهما وقرئ على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الأن جاءه الأعمى فعل ذلك فكان زاجرا عليه وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الأخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار ولكن شكوى الناس جافيا جفى عليه ثم يقبل على الجافي إذا جفي في الشكاية مواجهاً بالتعريض والزام الحجة وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك كأنه يقول إذا استحق عند العبوس والاعراض لأنه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترجيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أن الفقهاء كانوا في مجلسه أمراء وما يدريك وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى لعله يزكى أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوصاف الاثم أو يذكر أو يتعظ فتنفعه ذكرى آلاء تعظك وتلزمك له لطفا في بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدري ما هو متزكيا به منه أو متذكرا وتدري أنك لو درّيت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر بمعنى أنك طمعت في أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل لكونه فاعلا له أما من استغنى فأنت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصادات المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بإدغام التاء في الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك داع إلى التصدي له من الحرص وإلتهالك على إسلامه وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام إن عليك إلا البلاغ. وأما من جاءك يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله أو يخشى الكفار وأذاهم في إتيانك وقيل جاء وليس معه قائد وهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهى عنه وألهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تلقى وقرأ أبو جعفر تلهى أي يلهيك شأن الصناديد فإن قلت قوله فأنت له تصدى فاتت عنه تلهى كالرفيع اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتبة

المعاتب عليه وعن معاودة مثله إنها تذكرة أي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره أي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة للتذكرة بمعنى أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة في السماء أو مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن أيدي الشياطين لا تمسها الأيدي إلا أيدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة أتقياء وقيل هي صحف الأنبياء كقوله إن هذا لفي الصحف الأولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله قتل الانسان دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما أكفره تعجب من فرط كفرانه في كنف إن نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للآية على قصر متنه ثم أحذ في وصف مجاله من أول حدوثه إلى أن انتهى وما هو معور فيه من أصول النعم وفروعها وما هو عار فيه رائشه من الكفران والنعم وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما يجب عليه من القيام بالشكر فلينظر أي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره تهيأه لما يصلح له ويختص به ويجري وخلق كل شيء فقدره تقدير نصب السبيل بإضمار يسره فسلكه يسر السبيل والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بما قدر له وتمكينه كقوله إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس يسر له سبيل الخير والشر فأقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان قبر الميت إذا دفنه وأقبر الميت إذا أمر أن يقبر وكذلك منه ومنه قول من قال للحجام أقبرنا صالحا أنشره أنشأه النشأة الأخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع نطاول الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله به حتى يخرج عن حيز المقصرين يعني أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ولما يعد البعض في نفسه إتيانه ذلك البعض فيما يحتاج إليه فقال فلينظر إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره أنا صببنا

الماء يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسن
بن علي رضي الله عنهما أني صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا
من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شققها بالكرات على البقر واسند الشق الى نفسه
اسناد الفعل الى السبب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب
الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة
وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيرتد تكاثفها وكثف اشجارها وعظمها
كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل نجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في الوصف للمذاب
الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من
النخيل حلالا لالام لمرعى لانه يوب اي يؤوم والاب والام اخوان قال جندل قيس
ونجد دارنا ولنا الاب به والكدح وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال
اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله
عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما
لكم من هذا الكتاب بينة ما لا فدعوه فان قلت فما يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن
والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة
على العمل وكانوا التشاغل بشيء من العلم لا يتعلق به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة في
الامتنان على الانسان بمطعمه واسند عاء شكره وقد علم من محكي الآية ان الاب
بعض ما انبته الله للانسان متاعا له ولانعامه فعليك بما هو اهم من التهوض بالشكر
لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب
ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين
لك في هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات
القرآن يقال اصح لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالقاصفة مجازا لان الناس
يصغون لها يفزعون منها لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمهم انهم لا يغفلون عنه

عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لقربهما ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب
واجبت كانه قال يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم جملة
من مطالبتهم بالحسنات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة
المعصية الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم علمتنا ولم ترشدنا وقيل اول
من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح
يغنيه يكفيه والاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه مسفرة مضيئة مستبشرة من
اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في
سبيل الله عليها غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة
والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله عز وعلا يجمع الى سواد
وجوههم الغبرة لما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة عبس
وتولى طاب يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم في التكوير وجهان ان يكون
من لوثت العمامة اذا لففتها اي تلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الافاق
وهي عبارة عن ان الشمس والكواكب هالاتها ما دامت باقية كان ضياءها منبسطا غير
ملفوف فاذا لفت كانت لفها عبارة عن ذهابها وستورها الا ان التكوير اذا اريد فيه لف وطوى وجمع
قوله يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه فجوزه وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية
قلت بل على الفاعلية لان فعلها فعل مضمر يفسره كورت اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط
انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء وانكدار يروى في الشمس والنجوم انها تطرح
في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن وجه
الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب والعشار في
عشرا كالنفاس في جمع نفساء وهي التي لقي على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها

الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مسيبة
مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف
حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضي
بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه
وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة
وقرئ حشرت بالتشديد **سجرت** قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا
ملاه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا
تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة **زوجت**
قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن
الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين
بالشياطين واد يئد مقلوب من اد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما
لانه اثقال بالتراب قال الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها
جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا
كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر
لها بيرا في الصحراء فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل
عليها التراب حتى تستوي البير بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة
فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا
حبسته **فان قلت** ما حملهم على واد البنات **قلت** الخوف من لحوق العار بهم من
اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون
ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن
منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد
فلم تؤد **فان قلت** فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل
الوائد عن موجب قتله لها **قلت** سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله

قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس بحق وقرئ سألت
اي خاصمت عن نفسها وسألت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها
ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ
ابن عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة
من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل
بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب السرمد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج
بهذه الآية **نشرت** قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند
موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر
يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها
قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه انه قال يحشر الناس عراة حفاة
فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر
الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت
بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع
صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال **كشطت** كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة
والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت
الثريد ولبقته والكافور والقافور **سعرت** اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت
بالتشديد للمبالغة قيل سعرها الله وخطايا بني آدم **ازلفت** ادنيت من المتقين كقوله
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا
وست في الآخرة **وعلمت** هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه **فان قلت**
كل نفس تعلم ما احضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الا نفس
واحدة فما معنى قوله علمت نفس **قلت** هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط

بما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم
وابلغ منه وقول القائل قد اترك القرن مصفرا انامله وتقول لبعض قواد العساكر كم
عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب
وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه
ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة
على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قراها عنده فلما بلغ
علمت نفس ما احضرت وانقطاع ظهرياه الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج
اذ كر راجعا الى اوله والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري
تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون
وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها اذا عسعس الليل وسعسع اذا
ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس
اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن
رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت
حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم
اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل
صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه بمجنون كما تبهته الكفرة
وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته
لمنزلة افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست
بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما

وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما
هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم
من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيروي
بعضه غير مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه هو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف
ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب
ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان
فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا
يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين
واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العلى وهي احد الاحرف الذولقية
اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف
بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان
الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول
شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون
استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت
حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما
ابدلوا منهم لان الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم
يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق
الله ولطفه او وما تشاؤونها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجاية عن رسول الله صلى الله عليه من
قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة انفطرت مكية
وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض اختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي

بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير
مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ ابن هارون فجرت
على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى وقرأ ابن عباس وزالت البرزخ بنظرائي قوله تعالى لا يبغيان
لان البغي والفجور اخوان بغشت وبخشت بمعنى وهما مركبان من الباء والبخع والخاء مضمومة
اليهما والمعنى بخعت واخرج موتاها وقيل للمرأة المبغية لانها بغيت اشرار المنافقين
فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار
به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صفع غلاما له كرات فلم
يلتفت فنظر فاذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبني قال الثقتي بحلمك وامني من عقوبتك
فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من لؤم الرجل سوء ادبه على مولاه قلت معناه ان حق الانسان
ان لا يغتر بتكرم الله حيث خلقه حيا لينفعه ويتفضل عليه بذلك حتى يطيع بعد ما كفره
وكفره فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغتر الرجل
بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة وبهذا قال رسول الله صلى الله عليه لما تلا ما غرك
بجهله وقال عمر رضي الله عنه غره جنته وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث
اني زين له المعاصي وقال فعل بي ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا
وهو متفضل عليك آخرا حتى وطئه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال
لك ما غرك برب الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف
بالخطاء في الاغترار بالستر وليس بامتداد كما يظنه الطماع ويطمئن به قصار الهمة
ويرون عن ايمتهم انما قال ربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول
غرني كرمك الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك بما على التعجب واما على الاستفهام من قولك
غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك يتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا
فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت
به فلم يجعل احدى اليدين اطول او احدى العينين اوسع وكابعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود وكابعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق شيئا فشيئا كالبهائم

كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق فعدل فعدلك عن خلقة غيرك
وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما شاء
شاء مزيدة اي في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في
الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه بعض الاقارب خلافا للشبه
فان قلت هلا عطفت هذه الجملة بما عطفت ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت
بم تعلق الجار قلت يجوز ان تعلق ربك على معنى وضعك في بعض الصور وحكمك فيه ويجوز
ان ركبك حال على بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان تعلق بعدلك
ويكون في احد معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك
ما شاء من التراكيب تعجبا حسنا كلا ازدعوا عن الاغترار بكرم الله والتساهل به
وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اضلا
وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطبع المنكوس وان عليكم
لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون
يكتبون عليكم اعمالكم ليتجازوا به وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه
عند الله من جلايل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة
الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشويق للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
انه كان اذا قرأها قال لها اشد هما مرات على الغافلين وما هم عنها بغائبين لعلمه وما
هم بمفارقين منها وجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني
في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي
يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم
عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة
وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول
في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه

ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار
يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في
محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه من قرا اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة
من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة **سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلثون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم التطفيف البخس في
الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه قدم المدينة
وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت واحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت
بياعاتهم المنابذة والملابسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه فقراها
عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله
عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا
الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد
ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا
ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين
بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن
جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن
عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة
لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل
ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن
رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل
فيه عليهم ابدل على مكان من لدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم
المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستو

فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت
عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير
في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او
وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد
نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك وان يكون على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا
مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس
استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا
من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر
لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف
التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد
المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى
الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا
فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا
يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان
بها ما ارادا **فان قلت** هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففين كانوا لا
ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة
لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس
في النوعين جميعا **يخسرون** ينقصون يقال خسر الميزان واخسره **الا يظن** انكار
وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون
تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف
يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك وعن الفضيل بخس

الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد
سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجه عليه الوعيد العظيم
الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي
هذه الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما
كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ
واعطا بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم
بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله
يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردعهم عما كانوا
عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب وتنبيههم على انه مما يجب ان
يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من
اعمالهم **فان قلت** قد اخبر الله لهم عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا
بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه **قلت** سجين كتاب
جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من
الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير
فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من
السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة
به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون
فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم **قلت** بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو
منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف **الذين يكذبون** مما وصف به للذم لا
للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق والخبيث **كلا** ردع للمعتدي الاثيم عن قوله **بل ران**
على قلوبهم ركبها كما يركب الصدا وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة

التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود
القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم
رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الرا وبالاظهار والادغام
اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه
تمثيل للاستخفاف بهم وامانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم
ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا
والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن
رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **كلا** ردع عن التكذيب **وكتاب الابرار** ما كتب من اعمالهم
عليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول
من جميع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي
الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له
وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله
فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما
شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله
فاجعلوه في سجين **الارائك** الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من مناظر
الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال
ابصارهم عن الادراك **نضرة النعيم** بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء
واهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص
الذي لا غش فيه **مختوم** تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه
مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك
وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع **فليتنافس المتنافسون** فليرتغب
المرتغبون **تسنيم** علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه

ما

اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على روى انها تجري في الهوا
متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على
الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة هم مشركوا مكة
ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقرا المومنين ويستهزئون بهم وقيل جا علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا
ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا ربنا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل
علي الى رسول الله يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم فكهين ملتذين
بذكرهم والسخري منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا على المسلمين حافظين
موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هولا لضالون
وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعايهم الى الاسلام
وجدهم في ذلك على الارايك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى
ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه
وهم على الارايك امنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا
وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المومنون منهم ثوبه واثابه
بمعنى اذا جازاه قال اوس ساجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثني عليك
وتحمدي وقرى بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة المطففين
سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حذف جواب
اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل
جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت
بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة

المجرة اذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران
وقول حجاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى انها فعلت في انقيادها لله
حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن
ولم يات ولم يمتنع كقوله اتينا طايعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به
يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان
يتاتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها
وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل اشياء فيه
وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها
ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى
لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم
الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القاء
ما في بطنها وتخليها الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يوثر فيها من كدح جلده
اذا اخدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة
باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا
سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال
وعن عايشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى
الله عليه انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا
قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مومنين او
الى فريق المومنين او الى اهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه الى
عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيوتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع
يده اليسرى من وراء ظهره يدعوا ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرى
ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله

جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان
في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون
في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله
عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا
بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو
ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية
لها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحور ان ربه كان به
بصيرا وباعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل
نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسود بالشفق الحمرة
التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت
العتمة عند عامة العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة رضي الله عنه في احدى الروايتين
انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان
رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال
مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع
واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها اذا اتسق
اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان
ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس
وليركبن بالياء على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا
اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال
المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة
مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا
بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من

من مواطن القيامة واهوالها فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا
اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او
مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا
عليه لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرا رسول الله صلى الله عليه ذات يوم
واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر
فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في
المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان
رايت رسول الله يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن
الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون
في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم
من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب الا الذين آمنوا استثناء منقطع عن
رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره سورة
البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
هي البروج الاثنا عشر وهو قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر
وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقيل اليوم الموعود
يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد
من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما
اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد
ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد
اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد ويوم القيامة وقيل
عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وسائر الامم
وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود
والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم

جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة
وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء عليهم السلام **فان قلت** اين جواب القسم **قلت**
محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون
يعنى كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت فى تثبيت المؤمنين
وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان
والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأيسوا بهم ويصبروا على ما كانوا
يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين
بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقتل
دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى
الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه فى
اخاقيق جرذان روى عن النبى صلى الله عليه انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه
غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع فرأى فى طريقه ذات يوم
دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء
وعمى جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى
فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه
فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم
فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على
جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه
فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك ونزل
بك ما كنت تحذر فامر باخاديد فى افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن
لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست ان تقع فيها

فيها فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى وقيل
ما هى الا غميضة فصبرت وعن على رضى الله عنه انهم حين اختلفوا فى احكام المجوس
قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها
بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له
المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم
بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط
فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران
وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوهم فسار اليهم ذو نواس اليهودى
بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنا عشر الفا
فى الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر
ذراعا وعن النبى صلى الله عليه انه اذا كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد
البلاء **النار** بدل اشتمال من الاخدود **ذات الوقود** وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به
لهبها من الحطب الكثير وايذان الناس وقرئ الوقود بالضم **اذ** ظرف لقتل اى لعنوا حين احرقوا
بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنوا منها من حافات الاخدود كقوله وبات
على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه بزيد مستعليا لمكان يدنوا منه ومعنى شهادتهم
على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان
احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون
بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون **وما نقموا منهم** وما عابوا منهم وما انكروا الا بالايمان كقوله ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم قال ابن الرقيات **ما نقموا من** بنى امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ
ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التى يستحق بها ان يؤمن به ويعبد
وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى

ثوابه له ملك السموات فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا
منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم
بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو
مجازيهم عليه يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين
في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما قال روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد
الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين
عذابين في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد
تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه
هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الاخرة او دل
باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم
ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل
طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ
المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر
مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود
واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك
الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب
للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم
مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضطراب ان امرهم
اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا اثار هلاكهم ولم يعتبروا
وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب
وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح
واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين

الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة البروج
اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات سورة
الطارق مكية وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فيفقد فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي
يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الحي اي
يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما
ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت
اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة
ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق
ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهارا لفخامة شانه
كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم روي ان ابا طالب كان عند رسول
الله صلى الله عليه فانحط نجم ما ثم نورا فجزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه السلام
هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب
القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان
تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت
فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا
وكان الله على كل شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير
وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب
عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على
كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان
من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه

دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كالذابح والتامر والآثار المجاري فالدافق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين تبدي في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وتراقيه المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصلب قال الحجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والجلد من الرجل واللحم والدم من المرأة إنه الضمير للماء الدافق لأنه خارج عليه ومعناه أن الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة قادر على رجعه على اعادته خصوصا القادر لبين القدرة لا يليق به أن يعجز عنه لقوله إنه لقادر يوم تبلى منصوب برجعه ومن حمل الضمير في رجعه للماء ونصب يوم تبلى بمحرجه من الصلب والترائب أو الاحتمال الأولى لحالة الأولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال وبلاؤها تعرفها ونصحها والتمييز بين ما لها منها وما عليها وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة يوم تبلى السرائر فقال ما أغفله عما في السماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه مني المطر رجعا كما سمي أوبا من آب يئوب إذا رجع أو لكثرة أجزائه أو لتكرر هبوبه شبه بالرجع الذي هو العود لأنه يعود مرة بعد أخرى والصدع النبات لتصدع الأرض عنه أو الشق لتشققها بالقادر على الإعادة والإنبات إنه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل بالجد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون جديا في الصدور بمعظم القلوب تنتفع به قارئه وسامعه أن يلقيه بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلتفت إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعد ويوعد حتى أن لم يستفزه الخوف ولم يبلغ فيه الخشية فاذن أمره أن يكون جادا غير هازل

هازل فقد تحدى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه أي يعني أهل مكة يعلمون الكايد في ابطال أمر الله وإطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجهم وانتظاري لهم وانتظاري لهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بعلاجهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا أي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصغير عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح بعض من المعاني التي هي الجاد في أنحائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يضاف عن الأدلة والدلالة على وجه الخشوع والتعظيم وجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير مليتم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم والله صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الأفعى اذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد علمهما الله أن مسح العين الزرقاء بخ الغض يسرد اليها بصرها فبما كانت في بريه بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على ضحة الزرقاء لا تخطئها فتحك بها عليها وترجع باصرة باذن الله وهدايا ت الله للانسان لما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اعدائه وأدويته وفي أبواب ديانه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الأرض بارئ واسع وسوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى وقرئ قدر بالتخفيف أخرى صفة لغثاء أي أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أخرى ذريا أسود وبجوز أن يكون

Princeton University Library

أخرى جاء من طرق أخرجه أخرى أسود من شدة الخضرة والري فجعله عناء بعد
جودته ليسن الله بأعظاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي
وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله فذهب به عن حفظه
برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا ألقى إليه جبريل فقيل
لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة الآن يحفظه ثم لا تنساه
إلا ما شاء الله ثم تنكر بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة والنذر لما
روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أنها نسخت فسأله فقال نسيتها
أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهمي
فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي
وقيل قوله فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته
وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة إنه يعلم الجهر يعني
أنك لا تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك
مما يدعوك إلى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من
أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة
فينسيكه من الوحي ما يشاء وينسخ مخطوطا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على ستقرئك
وقوله أنه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر
وأسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع وأسهلها ما حذا
وقيل نوفقك لعمل الجنة فإن قلت كان الرسول صلى الله عليه مأمورا بالذكرى نفعت أو لم
تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين أحدهما أن رسول الله قد استنفرع مجهوده
في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى أن عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه
يبلغ جهده ويتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر أن الذكرى وعد لك بعد
إلزام الحجة بتكرير التذكير والثاني أن يكون ظاهره شرطا ومعناه دواما للمذكرين وإخبارا

نفعت هم

واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثر الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول
للواعظ عظ المكابرين إن سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون بحال
سيذكر سيقبل التذكر وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فيتطر ويتفكر حتى يؤدي
النظر إلى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير حاشين وأنا طرين فلا تأمل أن يقبلوا منك نصحها
ويتجنب الذكرى ويتحاماها الأشقى الكافر لأنه أشقى من الفاسق والذي هو أشقى للكفرة
لتوغله في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار
الكبرى السفلى من طباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل لأن الترح
بين الحياة والموت أقطع من الصلي فهو مستراح عند ذي مرارات الشدة والمعنى لا يموت
فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه ثم زكى تطهر من الشرك والمعاصي أو تطهر للصلاة أو تكثر
من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة لتصدق من الصدقة وربه فصلى
الخمس بحوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحمهم الله أمرنا بصدقة وصلى وعن علي
رضي الله عنه أنه التصدق بصدقة الفطر وقال أبو العالية إن أحدا في كتاب غيرها لعوله قد أفلح
من تزكى أي أعطى زكاة الفطر تتوجه إلى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر
تكبير الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لأن الصلاة
معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده
ومن قعد من يذكر ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد
بل تؤثرون الحياة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضده الأولى
قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون خير وأبقى أفضل في نفسها وأنفع وأدوم وعن عمر رضي الله
عنه ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب هذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى الباقي يعني أن معنى هذا الكلام
وارد في تلك الصحف فإن قلت ما في السورة كلها وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله
صلى الله عليه كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث
خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة
والإنجيل والزبور والفرقان وقيل إن في صحف إبراهيم المبثوثة العاقل أن يكون حافظا للسانه

لم يكن ذا لك ذلك حفظ

أي ما ذكر إلى الآخرة فصلى ٤ الدنيا ٥ منه

أي أنزل على آدم إلى آخرها

عازبا بن مازنة مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الاعلى اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها قال سبحان ربي
الاعلى وكان علي وابن عباس يقولانه لك وكان يجتها وقال قال سبحان ربي الاعلى مكايل
سورة الغاشية وهي ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قولهم يوم يغشاهم
العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن قرنهم غواش يوم يدٍ يوم اذ غشيت
خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال
وحوضها في النار كما تحوض الابل في الوحل وارتقاها وهادآبية في صعود من نار وهبوطها
في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت هنى في تعبت منها
في الاخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجزى عليها في الاخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا
من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب
الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدآيب والتعهد
الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم وقرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى
بالتشديد وقيل المصلى عنا العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه حجرا كثيرا ثم يعمدوا
الشاة فيذبحوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا
آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن الشرع يبلس الشبرق وهو جنس من الشوك
ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس حماته وهو سم قاتل وقيل ابو قويب رعى الشبرق
الربان حتى اذا روي وعاد ضربعا بان عنه النجايص وقال الخليل في هذه الضريع كل
حد بآء دامية الذين حرودة فان قيل ليس هيهنا طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا
طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم
اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل ومجروره
على وصف طعامهم او ضريع يعني ان جماعتهم من شبه ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك
مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء

الجوع وفاقة الشبع والتمتع في البدن او ازدياد الطعام
لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الناس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما
بمعزل لما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع
ليسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما ان يكذبوا او يعتذروا بذلك وهو الظاهر فيرد
قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى انه طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم
انما هو من ضرع غير مسمن ولا مغن من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم
نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ما اداهم اليه من الكرامة
والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة
ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم
الدايم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يذد عيونا في غاية
الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه موضوعة كلما
ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيد حاضر لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة
على حافات العيون معلقة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة بمرجد الكبار او ساط بين
الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مسانده بطارح اينما
اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل
هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا
ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير
حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاسعة بحملها تبرك حتى تحمل عن
قرب ويسير بها شهرا بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاند
صغيرا ولا تمانع صعبا وبدا بها طوال الاعناق لتنوء بالاثقال وغرر عن بعض الحكماء انه جرت
عن البعير وبديع خلقه وقد نشاء في بلاد لا ابل بها فمكث ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق
وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظمأ ما تكون لا تنزع

الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن
سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع
بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة
قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها
نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل
من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب
مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف
رفعت رفعا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل
ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرا علي رضي الله عنه
خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف
المفعول وعن هرون الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات
الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به
ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا
يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما
انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم
تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله
الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر
اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ
الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد
ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب
ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما معنى تقديم
الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب

الكناسة موضع بالكوفة كالمربد بالبصرة قيل مكان تعرض فيه الابل ظ

الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة
الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد
بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة
من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت
بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في
التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز
والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع
هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه
تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه انه فسرهما بذلك وقد
اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل
الطائل جدير بالتلهي عنه وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم
اذا يسرى اذا يمضي كقوله والليل اذا دبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر
بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ
الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر
بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة
يريد وليال ايام عشر وياء يسرى تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف
فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه
الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او
هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه
والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل
وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا
لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب

عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد لما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقدير بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرى بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرى بورقكم وقرى بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرى بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل بعمد وبعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فجمل ما قدر عليه ثم اتم وبلغ خبره معوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك لا عمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربع مائة ذراع وكان ياتي

يا تي الصخر العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيقتلهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقد ان الزبير لم يخلق مثلها انى لم يخلق الله مثلها جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال اذا نحتوه بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور وادى القرى ثمود وبنوا الفا وسبع مائة مدينة كلها من الحجارة قيل له دور الاولى لكثرة جنوده وبيوتهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتقدمه بالاوتاد كما فعل بما شطة بلتة وباسية الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صبت عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما اجله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصد كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال لبالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه قرا هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله در اي اسد قراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقمع اهل الاهواء والبدع واحتجاجه فان قلت هم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يزيد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يزيد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذ وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اساءت اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان

الارم علم يشتمل العمارة وعلمه ارام وارام اسم جمع ارم وارام العماد اشارة الى العلم المرفوع

قيل الرصد اسم للذي يرصد الطريق او غيره يقال رصد له ورصده وارصد له ورصده كما يقال رقبه ورقبه له ورقبه

بالمرصاد

بالباء المفتوحة

تقال قصعت الرجل قصعا فقصع هو قصوعا اذا ذللته فذل وقصعت هامته اذا اضربتها بالسيف فانقمع

للعقوبة

ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى
الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربي اكرمن وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدا واجب
تقديره فان قلت كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان
كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا
قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه
كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا
من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة
ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين
واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا
لم يهد لك فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن
وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه قلت فيه جوابان احدهما انه انما انكر
قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله واثبته وهو قصده
الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة
اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي وانما اعطاه على وجه التفضل
من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون
الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها
والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير
واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا
وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه وقرئ فقدر
بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في
الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول

القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد
والمبرة وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون
به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اي يحض بعضكم بعضا
وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين
الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا
يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون
النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة
وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر
بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا واسعا
جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث
البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك
وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ
بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا بعد دك كقولك حسبته بابا
بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى
الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره
وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره
من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه
عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين
بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير
وجه رسول الله وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه
فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي
حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها
سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت

اهل الجمع اى يتذكر ما فرط فيه او ينتفع ﴿ وانى له الذكرى ﴾ ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فحين يوم يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف شديد ﴿ يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ﴾ هذه وهى حياة الآخرة او وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال ﴿ فيومئذ لا يعذب عذابه احد ﴾ ولا يوثق وثاقه احد ﴿ هذا البيان دليل على ان الاختيار كان فى ايديهم وتعلقا بقصدهم وارادتهم والهم لم يكونوا مجبورين على الطاعات مجبورين على المعاصى كما زعم اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر وقرئ بالفتح يعذب ويوثق وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن ان يعذب احد عذابه ويوثق وثاقه احد فحذف الجار وايصال الفعل اليه على التوسع او يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق احد مثل وثاقه لشدائده ونكاله وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اى لا يتولى عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه ﴿ يا ايتها النفس ﴾ على ارادة القول اى يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه الله كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك ﴿ المطمئنة ﴾ الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابى بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة ﴿ فان قلت ﴾ متى يقال لها ذلك ﴿ قلت ﴾ اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة ﴿ معنى ارجعى الى موعد ربك ﴾ الى ثوابه ﴿ راضية ﴾ بما اوتيت ﴿ مرضية ﴾ عند الله ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم ﴿ وادخلى جنتى ﴾ معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى وقرا ابن عباس فادخلى فى عبدى وقرا ابن مسعود فى جسد عبدى وقرا ﴿ ارجعى الى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان فى عبدك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر فى الليالى

اللیالی العشر غفر له ومن قرأها فی سائر الایام کانت له نورا یوم القیامة ۝

سورة البلد مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقسم بهذا البلد ﴾ اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل هذا البلد يعنى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل هذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل لحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلد على ان الانسان لا يخلوا من مقاساة الشدائد واعترض بالوعد فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل هذا البلد يعنى وانت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه الا الاذخر ﴿ فان قلت ﴾ اين تطير قوله وانت حل فى معنى الاستقبال ﴿ قلت ﴾ قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع فى كلام العباد تعول لمن تثق بوعده الاكرام والحباء انت مكرم مجبور وهو كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية وابن الحضرمى توفى وقت نزولها فما بال الفتح ﴿ فان قلت ﴾ ما المراد بوالد وما ولد ﴿ قلت ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من ولد من اقسم بلده الذى هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشاء ابيه اسمعيل وعن ولد ومن ولد ﴿ فان قلت ﴾ لم نكر ﴿ قلت ﴾ للابهام المستقبل بالمدح والتعجب ﴿ فان قلت ﴾

فلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا
عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد الكبد اصله من قولك كبد الرجل
كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد
يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب
والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد والمعنى
ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على
الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت
مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي
ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله
كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد
الشريف ومن شرفه انك حل به ومما يقترفه اهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بان
اعظمه بقسمي به لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن
يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب
ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني
عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر
جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد
جمع لابد الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغيرها وهديناه
النجدين طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي
والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل
كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر

صر اصابت حرث قوم الآية فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله
فاي امر سيء لا فعله قيل فما لها لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي متكررة في المعنى
لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة
بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن
والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة
وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة
والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها
من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق
النسمة وتفك الرقبة قال او ليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين
في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة رضي الله
عنه ان العتق افضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة
لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة
او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو
منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ
فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض
ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة
والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي
وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى لانه صار ذا مال كالتراب
في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف
اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة
نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا جاء
بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت
لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى

بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله
الميمنة والميمنة اليمين والشمال او اليمن والشوم المتياسرين على انفسهم والمشائيم
عليهن قرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته
واغلقته وعن ابي بكر بن عياش ان امام همز موصدة فاشهى ان اسد اذن اذا سمعته
عن رسول الله صلى الله عليه من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة
سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجه شمس الضحى وقيل
الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحا بالقصر والمد اذا امتد النهار وكرب
ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها اخذا من تلوها وذلك في النصف الاول من الشهر
وقيل اذا استدار قبلها في الصباء والنور اذا تجلاها عند استواخ الليل وانسلاله
لان الشمس تتجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم
يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها
فتغيب وتظلم الافاق فان قلت الامر في يصدق اذا مستقبل لانك لا تحلوا اما ان تجعل الواو وات
عاطفة فتصيب بها وبحر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت بمن يزيد
واليوم عمرو اما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت
الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابدا از الفعل اطراحا كليا فكانها شان خلاف
الباء حيث ابدل معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسد
هاتاك الواوات العواطف نوائب عن هذه الواو ويحقق ان يكن عوامل الفعل والجار جميعا
كما تقول ضرب زيد عمرا وبكرا لما فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب
الذي هو عاملها جعلتها مضمرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وعيس
بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي الله من فساد النظم والوجه ان يكون موصولة
وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها

بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخرك لنا فان قلت
لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي
نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة
المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما
حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد
خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية وبتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء
بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقصى
وسئل ابن عباس رضي الله عنه فقال اتقرأ قد افلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما وقال
قول من زعم ان الضمير في زكاها ودساها لله تعالى وان تاييث الراجع الى من لانه في معنى النفس
من يخالس القدرية الذين يورون كون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون
ليالي الهم في تحمل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره
ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا
صالحا وانما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل
الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى
من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم
وتركوا القلب في الصفة فقالوا المرماة حزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها
كما تقول الحمى بحمرته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فاضلكوا بالطاغية وقرا الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث
انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف وكان اشقى من كل شقي
والتوحيد لتسويتك في فعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقى
والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة
الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي اي احذروا ولا تعرضوا

عقرها وسقياها فلا تزوها عنها ولا تستأثروا لها عليها فكذبوه فيما جرّدهم منه من نزول العذاب
ان فعلوا فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قومهم ناقة مرموقة اذا
انبها التجم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يحترز
فسواها الضمير للدمدمة اى فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا
يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها لما يخاف كل واقع من الملوك فيبقى بعض الانقباض
ويحوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض ولم يخف اهلاكها
وفي مصاحف المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار وايما
كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال الظلمة الليل اذا تبين وتكشف بطلوع
الشمس وما خلق والقادر العظيم القدر الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل
هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر
والانثى بالجر على انه بدل من محل بما خلق يعني وما خلقه الله اى ومخلوق الله الذكر والانثى
وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا
من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل
معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلد يومه ذكرا ولا انثى ولد له خنثى
مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت
اى ان مساعيكم مختلفة وبيان اختلافها بما فصل على اثره اعطى يعني حقوق ماله واتقى
الله فلم يعصه وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة
الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره للسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس
للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف
به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه

انبها
انبه التنبيه

والليل اذا يغشى
والنهار اذا تجلى
وما خلق الذكر والانثى

يشرح صدره للاسلام واستغنى زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه
واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى
فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من قوله يجعل
صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء او سنهيئه طريقة الخير لليسرى لانها عاقبتها
اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريق الجنة والنار اى
فسنهديهما في الآخرة للطريقتين وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن
حرب وما يغني عنه استفهام في معنى الانكار اى لا تغني تردى تفعل من الردى وهو الهلاك
يريد الموت او تردى في جهنم اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد
الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للآخرة والاولى اى ثواب الدارين
للمهتدي لقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقرأ ابو الزناد
تتلظى قان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصلاها
وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه
نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد
علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة
في الموازنة بين جانبي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما
المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى
وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو
بكر رضي الله عنه يؤتى من الزكاة اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة
او يتفعل من الزكاة قان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي
فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير
في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة
اى ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقوله ما في الدار احد الا حمارا وقد يجيء
بمعنى الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار

وأنشدني اللغويون قول الشريف الرضي جارم اضحت خلاء قفارا لا أنيس بها ... إلا الجآذر والظلمان تختلف وقول القائل وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه من قراسوة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر سورة والضحى مكية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل إنما خص وقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى وألقي السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانا فوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا إذا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل غشاه سكون الناس والأصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع الموادع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك قال الأسود ثم ودعنا آل عمرو وعامر ... فراس أطراف الشقيفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك ذوى أن الوحي قد تأخر عن رسول الله أيام فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى لجذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحن فأوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المجزوم فإن قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم منها لك ولأمته أجل منه أخبر أن حالة في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين

والظلمان الحمر عليهم وصوابه كما في الصحاح

وأما بنعمة ربك فحدث

المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير وإجلاء بني قينقاع وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وقهرهم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيئة الأسلاب ونشر الدعوة وإشاعة ذكر المسلمين وإلى آخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض تربته المسك فإن قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء الموكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لأقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قلت ما معنى الجمع بين حرف التوكيد والتأخير قلت معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة عدد عليه نعمه وآياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وأبتدأ رشيده تنشيطا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه فلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره ألم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمفعولان معقولا وجدان المعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين فدانت عليه سبعة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قومك عديم النظير فآوى وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من آواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين أوى هذه الموقبة وإما من أوى له إذا رحمه صالا معناه

الضلال عن علم الشرايع وما طريقة السمع لقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فردّه ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لتردّه على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك لتعرف القرآن والشرايع او فاتك ضلالك عن جدك وعمك ومن قبلك كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم معاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر وبرواء الصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان نسبق له كفر عائلا فقيرا وترى عيلا كما ترى سيحانب وعديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنايم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقبل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا تتغلب على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان تعبس في وجهه وقلا قد وكهروه عابس الوجه وعند الحديث فباني واما هو فما كهر في النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه اذا رددت السايل بلا فلم يرحم فلا عليك ان تزبره وقيل لعله ليس بالسايل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يزيد حامد كرم من نعمة الايوا والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقرئه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول ذقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فلان ايش تسأل كذا يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا نحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدى به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فحبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعايلا فاواك الله وهداك فاغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد قت اليتيم وهو انه

وهو الله ورايت كيف فعل الله بك وترحم على السايل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرايع والقرآن معتدا بها بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه من قراسوة والفتحي جعله الله فيمن يرضى لجمال ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسايل سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح فاجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبار اللمعنى ومعنى شرحنا صدرك فتحنا حتى وسع هموم النبوة ووعوق الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي تعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فتحناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملأ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وا شبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان ثقل على رسول الله وبعثه من فرطاته قبل النبوة او من خطه الاجهاد والشرايع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرايع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وجلدنا وخططنا وقرأ ابن مسعود وجلدنا عنك وقرئ ورفع ذكرك ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكر في الكتب الاولين والاخذ على الانبياء وامتهم ان يؤمنوا به فان قلت اي فايدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك فهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان قلت كيف يتأتى قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرونه

رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار
اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا
كانه قال خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع الذي انتم فيه يسرا فان قلت
ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر
بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن
للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج صلى الله عليه
ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء
على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول
فيه انه يحتمل ان يكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين
لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد
وان يكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستانفة بان
العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه
لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم
زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد
فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا
غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد باليسرين
قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله وما تيسر لهم في ايام
الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت
التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة
فان قلت فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر
في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد

ما خولناك

العسر

قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران
في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد
عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب
فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان يخلي وقتا من اوقاته منها
فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد
في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت
من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا
امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او
دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله
عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ
ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ
فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي
ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته والى ربك فارغب
فاجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي
رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه من قرأ الم نشرح فكانما جاءني وانا
مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بهما لانهما عجيبان من
بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه طبق من تين فاكل منه
وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة
بلا عجم فكلوا فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون
فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي
وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض

فاستاك

المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون
وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما
كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة
ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك
النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة
فهو امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما
يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون
الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه
الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى
الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى
ومنشؤه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى
للعالمين ومولد رسول الله ومبعثه في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته
وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة
القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح
صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم
رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث
نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن
جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف
وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وفي قراءة عبد الله اسفل السافلين
فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى
الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع
على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق
والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت

قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره
بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب
فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى
الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه
بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ
ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا
كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل
القاطع وقيل الخطاب لرسول الله اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم
عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا قراها قال بلى وانا على ذلك من
الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة التين اعطاه الله خصلتين العافية
واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة
القلم باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرا فان قلت
كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين اما ان لا
يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما
ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى
بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان
التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم
القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق
الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق
من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان
لفي خسر الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى

ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم
الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا
امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا
ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها لما استقامت امور الدين والدنيا
ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم
في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى سود القوائم
ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرا ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا
ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان راه ان
راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية
العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول
الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا
من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل
وكذلك ارايت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه اتزعم ان من استغنى
طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع
دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب
المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يغفر محمد
وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه
ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن
صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة شديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا

امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب
للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من
هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق ارايت
قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب
الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى
وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا
للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه
فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة
للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع لابي جهل وخسئ
له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن
بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه
بشدة قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا نقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهرة او سافع
وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرا ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على
حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية
وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية
وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما
في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ
والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم
مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس
روي ان ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله فقال اتهددني
وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرا ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول
والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل
زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية

على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه لو دعا مأدبه لأخذته
الربانية عيانا كلا ردع لا بل فعل لا تطعه أي ثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله
ولا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب وتقرب إلى ربك
وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ
سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات
بسم الله الرحمن الرحيم عظم القرآن من ثلثة
أوجه أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني أنه جاء
بضمير دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث
الرفع من مقدارها الوقت الذي أنزل فيه روي أنها أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح
المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله نجوما
في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى أنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر وأحللناه
في وقتها فالكناية هنا في الحقيقة راجعة إلى غير مذكور ولكن لما كان الكلام دالا عليه
كان كالمذكور وقيل هي راجعة إلى السورة وقيل إلى الآيات والأول أصح لأن السورة
السابعة منها والعمل الداعي إلى اختفائها أن يحيى من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها
فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند اطلاعها عليها فيتفاوتوا
فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله فيها
يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما أدراك
ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك
بأنها خير من ألف شهر وسبب ذلك تفاوت فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح
الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه
المدة أن رسول الله صلى الله عليه ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف
شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة
ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر
فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد تنزل الملائكة

السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبريل وقيل صنف من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك
الليلة من كل أمر أي تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل
أمر أي من أجل كل إنسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة سلام
هي ما هي السلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة
أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن
رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر
سورة البقرة مكية وقيل مدنية وهي ثمانمائة آية بسم الله الرحمن الرحيم
كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه
لا نفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب
في التوراة والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على
الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أغراهم على الكفر إلا مجيء الرسول وظهور
في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست تنفك مما أنا فيه حتى يرزق الله
الغني فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى
توسر وما عمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار يذكر ما كان يقوله توبيخا
والزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من
مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة
الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا صحفا
قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل
والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانتشابهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن
ومنهم من أكفر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل
الكتاب والمشركين ولم أفرد أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب
قلت لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من

أو وقرأ العلق وأراد العلق وكلاهما يراد بهما هذه السورة

خط
أن يراد القرآن أو لم يأتهم ستة مائتي الصحف وأراد
ورسول من الله حرما على معنى المال المنصف
المطهرة المنسخة من الهوى الذي محدود فيها الوحي
عليه والدرس مضاف محذوف فيه
أو تلا مثل المسطور فيها كان
تاليا ه

ظ
في نسخ

لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي
ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة
على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت
معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن
مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا قرا نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف
والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير
كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه من قرا لم يكن كان يوم القيامة
مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها قرئ بكسر
الزاء وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف
فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشية
الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق
اهانته تريد ما تستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن
منه الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفاين اثقالها
وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند
النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر
الفظيع كما تقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما
المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض
والايحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث
باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات
وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر
بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه تشهد على كل احد بما عمل
على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما

وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا
تحدث قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها
فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها
بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث
بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها
كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها
كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته
بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها
القرار فاستقرت وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف
يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه
فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم
وفي قراءة النبي صلى الله عليه ليروا بالفتح وقرا ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان
اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه
كلا جانبي هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من
الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكباير
فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من
فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس
اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم
اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه
حكاه فقال اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب
ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو
او على الحال اي ضابحات فالموريات تورى نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها

قدحا قادحات صاكات يحوافرها الحجارة والقدح الصك الايراء اخراج النار تقول قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا والمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به فتوسطن به ذلك الوقت او بالنقع اى وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو او لتراب دل عليه والعاديات وبجوز ان يراد بالنقع الصياح من قولهم عند السلام لم يكن بنقع ولا لقلقة وقول السيد ممتى ينقع صراخ آتى فهيجن في الغار عليهم ضجاجا وجلبة وقرا ابو جعفر فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثوّرن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرى فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهي مسالحة في وسطن وعن ابن عباس رض كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني عن العاديات ضبحا فقسرتها بالخيل فذهب الى علي رض وهو تحت سقايته زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه قال لقد ثقنت التاس بما لا علم لك به والله انكانت اول غزوة في الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير الشاكر والكافر للانسان والشفتان للمهر والنفر للثور وما اشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس فالكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بلغت وجمع هو المزدلفة فاثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل من وضعه لان المعنى والليالي عدون فاورين فاغرن فاثرن الكنود الكفور وكندا لنعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان فوعك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديدا للكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لانا جعلنا النعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان

ان عطاءها في جنب اذى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحد لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومشدد قال طرفة ارى الموت يغتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل يمسك او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال واياره لقوي مطيق وهو الحب عباده الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس عن تعوّل هو شديد هذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بخيل يثور ويثير ويبحث ويبعثر وحصل على بناءها للتفاعل وحصل للتحقيق ومعنى حصل جمع في الصحف ما اظهر محصلا مجموعا وقيل متميزين خيره وشره ومنه قيل للنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرهم بهم وقرا ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل من اجهل وسمي فراشا لتفرشه والتشاؤ وبثه الجهال يفضه وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وما لم ينفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث ابي بكر رض عنه لعمر وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق الميزان ان لا يوضع فيه الا ما حقه ان يثقل وانما خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفتها

في الدنيا وهو لمن لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما بعث الصبح غاديا وما ذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل وما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة هوى اهل النار فيها هوى بعيدا كما روى هوى بها سبعين خريفا اي فهاوية النار وقيل الهاوى ام على التشبيه لان الام مثوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول وضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القاري حذفها وقيل حقه ان لا يدرج ليلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقلما جيء اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة ٥ سورة التكاثر مكية ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهاه عن كذا وانهمه اذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روي انه بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم مكاثرتهم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر لهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم واخراكم مما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واغنى من كل مهم او الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وصرتم مشتغلين بعمارة القبور في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتيكم الموت لا مهرب لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال لن يخلص العالم خليل عشر اذا قاله فما دا ويزور القبرا

قال عبد الرحمن بن حسان

التقرير وقد ابن عباس رضي الله عنهما الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للعاقل لنفسه ان يكون الدنيا جميع همته ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليتحافى وينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة لكم وزجر عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون مجزوم الجواب بمعنى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها همكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقدم ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب ولكرر معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترون بالهمز وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياسا مطردا قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترؤن ولترونها في البناء للمفعول عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وكما يتفقه فان قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاقب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من علف منته على استيفاء اللذات ولم يعش الا فيما كل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وازرقه التهلم بخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك المعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله

عليه من قراءة العالم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا
واعطى من الاجر كما قرأ الف آية سورة والعصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلاة
العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله
عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله ولان التكليف في
اداتها اشق لتهافت التاس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم
او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان
لما في مروره من صنائع العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل للكفر
والكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجارتهم الا الصالحين وجدهم لانهم استروا
الاخس بالدنيا فنجوا وسعدوا ومن عداهم خسروا فلاف تجارتهم فوقعوا في
الخسران والشقاوة وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو
الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبتلوا الله به عباده
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه وهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض
الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة
منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال ان عيب فانثالها مرة للمرة
وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المستحق
الذي يأتي بالاباطيل والاضاحيك فيضحك منه ويثلبه وقيل نزلت في الاخنس بن
شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن
المغيرة واغتيابه لرسول الله وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد
عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالمواجه فيه

فيه فرد ذلك ارجر له وانكى فيه الذي بدل من كل ونصب على الذم وقرئ جمع بالتشد
وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اي جمع
المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان
ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل عدده يمنعه
وعلق على فك الادغام نحو ضنوا اخلد وخلده بمعنى انه طول المال امله ومناه
الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا
لا يموت فيعمل من تشييد البنيان المؤثر للتخمر والآجر وعن الاشجار وغيرها الا
عمل من نظر ان ماله انفاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه
في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل
وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتقدها من
ليلتي ولا تفضلت على كريم قال ولكن لهاذا قال لسوء الزمان وجور السلطان ونوائب
الدهر ومحاقة الفقر قال فاذن تدعه لمن لم يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له
عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله وليبذن بضم الذال اي هو وانصاره وليبذنه
والحطمة النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم
وهي اوساط القلوب وما شيء في بدن الانسان اطف من الفؤاد ولا اشد تالما منه باذى
ادنى مسته فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وجوز ان يخص الافئدة
لانها مواطن الكفر والعقايد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها
انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطلع على سبيل التجاوز من موجبها موصدة
مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة وقرئ في عمد
بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يوكد يأسهم من الخروج
وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا
في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل

المقاطر التي تقطر فيها اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى
الله عليه من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

روى أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة
بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد
فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح
فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان
قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان
وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع
فابى وعباه جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم ينبعث
فاذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل
خضرا وقيل بيضا مع كل طائر ثلثة احجار في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند ام هانئ نحو تفيز محططة
بخضرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر
اسم من يقع عليه فقروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فنسقطت انامله
واراكبه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزير ابو يكسوم وطائر يحلق
فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما انتهاها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه
وقيل ابرهة حبس النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ثمانين سنة وقيل ثلاث وعشرين
سنة وعن عائشة رأيت فايد الفيل وسائسه اعميين يستعطيان وقيه
ان ابرهة احد العبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فحمين وكان رجلا جسيما وسيما
وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في
رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث لا هدم البيت الذي هو دينك
ودين آبائك وعزتكم وشرفكم في قديم الدهر فما كلمه فيه فقال

فقال انا رب الابل وللبيت رب "سيمنعه" ثم رجع وأتى رب البيت فاخذ بحلقة
وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا
محالك ان كنت تاركهم ولكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب
فامنع منهم حماكا فانصرف وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها
للطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد جمعوا على مواشيهم
وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الخوف وكان شيب يسار وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه انه سئل عن الطير فقال جاءت عشية ثم
صبيحتهم وعن عكرمة من صاحبه جدرية وهو اول ما رؤي بطير قرى ثم توسكرن
الرأي للجد في المهارة الجازم والحيلة تكن رائدا فارفل الله بالحبشة وسمعت
الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك بالم
ترلما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضايعا ونحو قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل امر التعجيز الملك الضليل
لانه ضلل ملك ربه اي ضيعه بحيث انهم كادوا البيت ولا ببناء القليس واراد ولان يسخر
امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه
فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل جمع ابول الواحد ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة
وهي الحزمة الكبيرة شبهت الجرقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد
وشماطيط لا واحد لها وقيل ابو حنيفة رضي الله عنه من جنسها اي الله تعالى والطير لانه اسم
جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
كان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب للمذنبين
واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم
طيرا وارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب
من سنك وكل وقيل من شديد عذابه ورووا بيتا من مقبل ضربا نوا صته الابطال
سجيلا وانما هو بجيتا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع

اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او يتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه
جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا
منه عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف
والمسخ سورة قريش مكية اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت
فلم دخلت الفا قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة
ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف
ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت الذي قبله
تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قراهما
في الثانية من صلاة المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين
قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام
حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان
يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم
آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون
ويغار عليهم والايلاف من قولك الفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مولف
قال من المولفات الزهو غير الاوراك وقرئ لالاف قريش اي لموالفة قريش وقيل يقال
الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم
قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة لتالف قريش الفهم رحلة الشتاء
والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في
البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس رضي الله عنه
بم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش
هي التي تسكن البحر بها سميت لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق

اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة
فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء
والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة
التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع
شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف
التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام
المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم
صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم
وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها سورة ارايت
مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب
ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل
ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود ارايتك
بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب
بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه
دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يترك
ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع
المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله
وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما
اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف
الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك
فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا

يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع
واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات
لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور وكما ترى صلاة اكثر من ترى الذين
عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن
الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع
الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى
من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة
اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات او صفة على صفة ويكون
جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء
وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه
مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع
التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت
كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع
لان المراد به الجنس فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت
معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او
الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان
او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه يقع له السهو
في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس
رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرا ابن مسعود لاهون فان قلت ما
معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء
عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن
حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام
الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار

بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا
للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان
في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على
المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء
في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكاة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا
ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو
والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة
اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا سورة الكوثر مكية وهي ثلث ايات
بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلى الله عليه انا اعطيناك
بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل
لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال وانت كثير يا ابن مروان طيب
وكان ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه انه قراها حين انزلت
عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من
العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة
عدد نجوم السماء وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول واردية فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب
الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته
تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن
جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية
هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر
وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه
احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة

أشرف عظماء وأوفرهم من الدين حظا وأعظمهم تبعا فاحمد ربك الذي اعتزل بأعطائه وشرفك وصانك عن
الخلق مرتجما لغومك الذين يعبدون غير الله وانجر لوجهه وباينه اذا انجزت مخالفا في النجر للاوثان
ان من ابغضك من قومك لحافتك لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من
المؤمنين فهم أولادك واعقابك وذلك مرفوع على المنابر ومتلو على لسان كل عالم وذاكر الى
آخر الدهر بدلا بذكر الله ويثنى بذكرك وذلك لا آخرة لها لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أنت
أتما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان كرة لك يا لعين وكانوا يقولون ان محمدا صلعم يموت
اذا مات ما ذكر وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد تمامه بالابتر والابتر الذي لا عقب له وهذه
الجملة الابتر الذي اذا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر
في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل من ضحى بالبادية وبعدد الحجاج والعمار بمكة
سورة الكافرون مكية وهي ست آيات وهي لغة الاخلاص ولسورة الاخلاص الى آخر السورة
بسم الله الرحمن الرحيم الخاطبون لهم مخصوصون وقد علم
الله منهم انهم لا يؤمنون روي انه رهط من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد
آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا
نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم
فقرأها عليهم فايسوا ان يعبد ربه العبادة فيما يستقبل لان ما لا تدخل على ما مضارع
في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تنال البر فيما يستقبله
لا وقال الخليل في لن ان صلة لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم
ولا انتم فاعلون فيما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا
فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف تجدني في الاسلام
ولا انتم عابدون ما اعبد اي ما عبدتم في وقتي هذا انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت
لما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك
الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي ديني لكم ترككم

قوله وشيعة معطوف على محمد فاعله الاظهار
لو كان مضمرا لكان محمد وما الانكار
هلم

[illegible] سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما
يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق في حجة الوداع
فلما نزلت علما انه نعي نفسه اذ بقي من عمره ما يمكنه ان يبلغ ما بقي من الفرائض فعاش بعدها
ثلاثة اشهر وقيل سنتين وقيل سنة واحدا واحدا واحدا وقيل ثمانين وعن ابن عباس رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول دخل
الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال
ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة
قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن
وعن الحسن لما فتح رسول الله مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر
باهل الحرم فليس لنا به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا

اما عوض المحصول الماضي لخروج اللام والالف المقدرات
من اول الفاء وقانها المعتمة
وقد نسي المحقق الرضي
وقد اسقط اللام الفعل بعدها
منصوبة اشتقاقا

اتكلهم خرط
لما سيق من قولهم مشيت
اليه

فتنا خرط

أما خرط

اول الاصل اصبه رسول الله او لبسه لا اصبه فالله

يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى أبصرت فقد عرفت أو هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فعل سبحان الله حامدا لله اى فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم وأعمل على صنعه أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له روى انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات وعن عائشة لم يكن قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام الدين من الجمع بين الطاعة والاخبات من الخصيصة وليكون امرا بشيء جامع لطفا امته وكان لا يستغفر من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه انى استغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قرأها رسول الله على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فما رئي بعدها مستبشرا وقيل لابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروى انها لما نزلت خطب رسول الله فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا ولنا ابناء من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروه

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب أي هلكت وخسرت وهو دعاء عليه بالهلاك أو اخبار عما حل به من الهلاك في الآخرة أو عما حل به يوم بدر من الذل والهزيمة وقد تبت أي هلك وخسر وهو اخبار عما وقع به وقرئ تبا له على الدعاء عليه وتبا له على الاخبار عنه وقرئ تبت يداه وقد تبت وروى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاجتمعت اليه الناس من كل أوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا بلى فانى نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة أوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل مغمورا بالجد ولذلك تجرى الكنية على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهير به عرف الشهرة وان سمي سمية له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابي لهب فقيل على ابن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان ليدلا بغير منه شيء فيشكل على السامع وللفطنة بن رأى امير مكة اتانا جلها عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله مجرور لا يعرف الا هكذا والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية والثالث انه لما كان من اهل النار وما له الى النار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها وقيل لها ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كني رسول الله ابا المهلب ابا صفرة بصفرة وجهه وقيل كني بذلك لتلهبه وتلهبي واشرافها فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبأمثاله بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما أغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او النفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى وكسبه

او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني راس المال والارباح او ما شيعه
وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي
كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني
ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا
عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله
وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا وروي انه كان
ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء
وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامراته
هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد
بين الناس تحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال من البيض لم تصطد
على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو
زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامراته وفي جيدها في موضع
الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا
استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة
للحطب وحمالة بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال
فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود
الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من
الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها
بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز
والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي
لهب بحمالة الحطب فقال ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حمالة الحطب

الحطب غراء شادخة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ويحتمل ان يكون
المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليه حين كانت تحمل حزمة الشوك
فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل
مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول
الله صلى الله عليه من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار
واحدة سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان
الله واحد لا شان له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت
فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة
حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى وذلك ان قوله الله احد
هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان
على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا
ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله
الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحده وقرا ابو عبد الله وابي هو الله احد
بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه الله احد بغير قل هو وقال من قرا الله احد كان
يعدل القران وقرا الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته
لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين
والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج
والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو
واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه
وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا
وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل
مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد

الى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للمضاجعة سألوه ان
يصفه لهم فاوحى الله ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق
الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة
والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي
سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه
ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه
عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه وقوله لم يولد وصف
بالقدم والازلية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير
لذلك لانه نبه للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو له غير
مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله معقدا في افصح كلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه
ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واجمعه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بضم
الكاف والفاء وبضم الكاف وكسر هاء مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن
كله على قصر متنها وتفاوت طرفيها قلت لما فيها مما يتعود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات
الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا على ما من اغتر وبعضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه فيها ان
علم التوحيد من الله مكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم بشرف شرفه وبضع بضعته
ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته
وجلالة محله وانافته على كل علم واشتمالها على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف
علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلق من حشيته وبعد من النظر لعاقبته اللهم احشرنا
في زمرة العالمين بك العاملين لك العائلين على جلالك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وسمي سورة
الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروي انس عن النبي صلى الله عليه استست السموات السبع
والارضون السبع على قل هو الله احد تعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة
صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه انه سمع رجلا يقرأ

عدل القرآن

اول الله على ما اقام به
وصاية ابراهيم
اول المرء عظم

بشاقل هو الله احد فقال وجبت يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفلق الفرق الصبح لانه ينفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال للصبح هو ابين من فلق
الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما ينفلقه
الله كالارض من النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى
وغير ذلك فان قيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما الحمان من الارض الفلق والجمع فلقان
وعن بعض الصحابة انه قيل له ان قدام الشام فراسخ وراءها الجنة وما هم فيه من خفض العيش وما
وسع عليهم من دنياهم فقال الا ما الى البئس من وراءهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا
فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر طبقته وشرهم ما يعامله المكلفون
من الحيوان من المجانس والمآثم ومقاذم بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم
وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات
وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر
ظلامه من قولهم تعالى الى عسق الليل ومنه غسقت العين اسالت دمعها وغسقت الجراحة
اسالت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث
لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن
عائشة اخذ رسول الله بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا
وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده وكون ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات وقيل
ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الشديد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه
فيه اكثر والتجرد منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر من الليل لانه اداة
لهم كثير فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه والنفاثات النساء او النفوس
او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق
ولا تاثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضارا وسقيه او اشمامه او مباشرة
المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان

اعتكر الظلام اختلط كانه تعضه على بعض من شدته
الظلمة وكثرة على الغرار
رحمه

هذا تفسير اهل مكة لا تعتمدون الاهداء ظ

احدر اي صار ذا غدر وله غدار اي خلابة ظ

الذى يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فيسبه الجشو والى ابرعاج
اليهن والى نقصهن والناشزن القول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبئون به فان قلت
ما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذى
هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك والثانى ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن
وما يخدعنهم به من اطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن
ويجوز ان يراد هن النساء الكتابات من قولهم ان فى كفه لكتبة عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث
فى العقد او اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وغرضهن بمحاسنهن كما نهى سبحانه عن ذلك
اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى العوايل للمحسود لانه اذا لم يظهر
اثرا ما اضمره فلا ضرر يعود منه على المحسود بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره
وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد يجوز ان يراد بشر الحاسد
اغمه وسماجة حاله فى وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم
بكل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعد من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت
قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كما قيل
به وقالوا اشر الجداة المداجى الذى يكيد من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض
المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر
غاسقا لان كل غاسق لا يكون فيه الشر غالبا يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر وربت
حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا فى اثنتين وقال ابو
تمام وما حاسد فى المكرمات بحاسد قال ان العلى حسنى فى مثلها الحسد
صلى الله عليه من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى كلها
مختلف فيها وهى ست آيات
بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام وبحذف همزة اعوذ ثلاثة
برب الناس ضما اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور
الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الاهم

ويتعوذهم كما يستعيذ بعض الملوك اذا اعترضهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى امرهم فان قلت
ملك الناس اله الناس ما فائدة ذكر الناس قلت لما عطف بيان كقولك سيرة ابى حفص عمر الفاروق
بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغير رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وانما اله الناس فحاز لاشركة فيه فجعل
عطف بيان فان قلت فلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرتين واجيب قلت
ان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر
كأنه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس
والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والخناس الذى عادته ان يخنس منسوب
الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه
خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذى يوسوس يجوز فى محله الجر والنصب
على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارى على الخناس ويبتدئ الذى
يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى
وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله
من شيطان الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اى يوسوس فى
صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وانما اسم الناس
يطلق على الجنة واستدلوا بقوله ورجال فى سورة الجن وما احقه ان الجن سموا جنا لاجتنانهم
والناس ناسا لظهورهم من الاناس وهو الابصار كما سموا بشرا لان الكمال يعم الناس على القبيلين
وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفاصلة القرآن وبعد من التصنع واجود منه ان يراد بالناس
الناس كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس ان
الثقلين هما النوعان الموصوفان بوسوسة الشيطان صلى الله عليه وسلم لقد انزلت
على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب الى الله ولا ارضى عند الله فيهما اليه وانا اعوذ بهما
وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والورد بكنه حقيقته الشاملة العامة من كل ما يكلم الذين

وتيلم اليقين او تعود في القافية بالندم او تقدح في الايمان بسوء اليقين والندم واسأله بخضوع
العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هما الشيخ
في الاسلام متوسلا بالتوبة المخصصة للاثام وبما نبت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومن
بعكة ومصابرتي على توكل من القوى وتخاذل من الحمى ثم اسأله بحق صلاته المستقيم وقرآنه
المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكد عن حقايقه المحلق عن
مضايقه المطلع على عوامضه المثلث في مراجعه الملخص لنكته ولطايف نظمه المستقر عن
فقر وجواهر علمه المكنز بالفوايد المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من
بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول والتجنب المستكن المتأول ولو لم يكن في
مضمونه الا ايراد كل شيء على قانونه للكفى به ضالة ينشدها محققة الاخبار وجوهر يتهافت
العثور عليها غاصة البحار وعاش في بيه ومجدي واختصني بكرامته وتوجدني في مخاريق
على يدي في مهبط بشاراته وتذرعه ومستقل آياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني
الحرم وبين يدي البيت المحترم حتى وقع التأويل حيث حل التنزيل ان هب لي خاتمة
الخير ويقيني مصارع السوء ونجاوزني قرطاني يوم التناد ولا يفضحني على رؤوس
الاشهاد ويحلني دار المقامة من تفضله بنواسج طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم
الرؤوف الرحيم ٥

المنشة

فصل

نجز تحرير هذا الكتاب بعون الملك الوهاب
وكان المنقول عن نسخة الشيخ العلامة
مزيد هن ووحيد عصره الامام المحقق والنحرير
المدقق قوام الدين الاثناري تغمد الله بغفرانه
واسكنه بحبوحة جنانه والله اسأل ان ينفع به انه
خير موفق ومعين حرره محمد ابن ابراهيم بن الحسين الكجوي
في اخر شهر جمادي الاولى سنه سبعين وسبعمايه حامدا لله ومصليا على نبيه والحمد لله رب العالمين

نسخة مقروءة ومسموعة على نسخة الاصل الاولى

وقد وقع